والسنوات.. أيضًا تموت

سيرة ذاتية

محمود قاسم

الكتاب:والسنوات.. أيضًا تموت

الكاتب:محمود قاسم

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

قاسم، محمود

والسنوات.. أيضًا تموت/ محمود قاسم

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٣٢٢ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى٥ – ٧٤٧ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع ٨٣٥٩ / ٢٠١٨

والسنوات.. أيضًا تموت





قال أبى لزوجته في مساء السبت التاسع من يوليو ١٩٤٩، الثالث عشر من رمضان١٨٦٣:

- لقد جاء محمود، كي يذهب محمود..

وذهب أبي عن عمر يناهز الثامنة والأربعين بعد ذلك التاريخ بسبع سنوات وشهر، حدث كل ذلك في الدور الثالث من العقار رقم ٢٧ حارة الفهد بكرموز، العنوان الذي ظل محلًا لإقامتي ومراسلاتي طوال خمسة وثلاثين عامًا، أي بعد أن تزوجت بعامين، هذا العقار الذي امتلكه أبناء جدى أحمد بدوى بعد رحيله عام ١٩٦٢، والذي يظل حتى الآن بيتًا عائليًا لم يسكنه أحد من الغرباء، وهو مستودع ذكرياتي طوال سنوات طويلة.

إلى هذا المنزل جاءت أسرتي في أواخر العشرينات من القرن الماضي، حيث تزوجت عائشة أحمد بدوى من زوجها محمود محمد قاسم، المضاف إليه أحيانًا النساج، جاءوا جميعًا من قرية تفهنا العزب بمحافظة الغربية، وجاءت أسرة والدة أبي من العرب، حيث أن اسمها صبرة العرباوية وحدث الزواج بتفاصيل لم أعرفها، وظلت عائشة هي الزوجة الوحيدة لرجلها وأنجبت منه أربعة عشر بطنًا بقى على قيد الحياة خمسة، صاروا كبارًا، ثم رحلت فتحية في عام ١٩٨٢ عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين، وكانت كثيرة البطون مثل أمها..

الرجل أسمر البشرة، طويل القامة، له صلعة صغيرة في مقدمة رأسه، كان يحب التدخين، وما يصاحبه. رجل كريم سخى على أصدقائه، وعرف بقسوته في داره، يضحى بأي شيء في سبيل مزاجه، تزوج في الحادية والعشرين من عمره، عمل قبل زواجه في محل بقالة، ثم سقاء، وملك عددا من الحنفيات وكانوا ينادون منزلنا أحيانًا "بيت السقايين"، ثم عمل بشركة الغزل الأهلية بكرموز، وأحيل إلى المعاش، بعد أن قضى فترة طويلة مصابا بمرض الكلى، وفتح دكانًا لبيع إطار السيارات، لكنه فشل، ومات إثر إجراء عملية جراحية في أغسطس ١٩٥٦.

قبل رحيله بعدة أشهر، شاهدتني معه في الحلم، نقوم بزيارة جدتي أم عبده، هي خالته، كانت سيدة عقيم، متقدمة في السن، هذا هو أبي يأخذني معه إليها حيث تسكن في غيط العنب، ورغم أن طريقنا لا يمر بالمقابر، فإنه حملني فوق كتفيه كما يحمل المرء خروفًا، واجتاز بي منطقة المقابر، خاصة في الناحية التي دفن بها، بدت المقابر بلا أسوار، ثم أخذني إلى المولد، وبيت أم عبده، وفي طريق العودة، حملني أيضًا فوق كتفَه كالخروف، وراح يغنى، في أعجب أحلام حياتي على الإطلاق..

بعد رحيله بسبع سنوات، رأيته قادمًا نحوى، في أحد الشوارع الخالية تمامًا، انطلقت نحوه أعانقه بحرارة، أحسست كما هو مارد ضخم. قلت له وفي عيني الدموع: لماذا غبت في سفرك الطويل يا

أبي؟.. ورجوته ألا يذهب، فأخذني مع أمي وجدتي، وأخي الأكبر عبد المحسن، وعاد بنا إلى المنزل، ولا أدرى ماذا حدث بعد ذلك.

هذا الرجل تزوج من امرأة لم استدل على تاريخ ميلادها عام ٢٠٠٩، قدرت ميلادها بأنه تم عام ١٩١٤، لكن المرجح أنه قبل ذلك بعامين، هي فتاة مليحه الوجه المربع، لم تتجاوز الـ ١٦٠ سم طولا، أهم ما يميزها أنف يميل إلى الكبر، وقرط على هيئة حلقة، هي مثل كل أم ريفية جاءت إلى المدينة، أولادها هم كل اهتمامها، مرتبطة بقوة بأسرتها، وأيضًا أهلها. بالغة العفة، كانت إذا زارت أحدًا، حتى لو ابنتها، فإنها تأخذ معها ما تأكله وتشربه أثناء الزيارة، لها من الأخوة والشقيقات: ندا، محمد، عبد العظيم، عبد الحليم، عبد المعز، زينب.

في أغسطس عام ١٩٣٠، أنجبت أم محسن، كما أحب أن أناديها، ابنها البكر، الذي امتلك معزتها كاملة، لكنها لم تقلل من مشاعرها قط نحو الآخرين، كان من أوائل شباب العائلة الذين تلقوا تعليمًا عاليًا، التحق بمدارس الأزهر، ثم سافر إلى القاهرة، وتخرج في كلية دار العلوم عام ١٩٥٧، زرته مع أمى في المدينة المتسعة وأنا صغير، فرأيت الموالد لأول مرة، وأكلت الحمص، واقتنيت شخشيخة، وذهبت لأرى القطار خارج القاهرة، في المنطقة التي تسمى الآن بالدويقة.

أبي هو أول من أخذني وأنا في الرابعة إلى السينما، إنها سينما النيل في كرموز، الصور لا تزال تتحرك في مخيلتي، هذه القاعة شاهدت بها أجمل أفلام طفولتي لسنوات طويلة، إلى أن تم تحويل قاعتها إلى شركة لإنتاج الغسالات، عن دور أخي محسن في حياتي، تحدثت في الفصل الأول من روايتي "وقائع سنوات الصبا"، وذكرت اسمه، وكانت مشكلة كبرى في حياتي، لا زلت أعاني منها حتى الآن.

الدفتر الذي ملأته بالكلمات، منذ عام ١٩٦٤، وحتى الآن، كتبت فيه وقائع ما قبل سن الخامسة عشر، قلت إن كل إنسان يمر بأحداث لا تبرح خياله قط، وأنها تؤثر في الإنسان طيلة حياته، فقد اصطحبنى أبي إلى شاطئ الأنفوشي، وأنا في سن الخامسة، وكانت معنا أختي الأكبر نعمة، جلسنا عند الشاطئ، وبعد قليل أخذنا أبي في مركب صغير، وركبت البحر لأول مرة في حياتي، ولا أعتقد أنني ركبت البحر قط طوال هذه الحياة.

هذا الرجل الحنون، الكريم، الذي ترك في الطبق أربع بيضات، وعددًا من الأرغفة بعد أن تناولنا الغداء في أحد المطاعم بالمنشية، هو نفسه الذي أمسك بي وأنا ألعب بالحبل على سلم البيت وراح يلسوع جلدي بعود ملوخية، كان الرجل عائدًا من المستشفى، بعد احتجازه لعدة أيام، ولا أعرف لماذا فعل ذلك. هل خاف على من السقوط، أم لأن المرض الذي آلمه قد استشرى في جسده؟.

الرجل نفسه، صاحبني إلى مدرسة طه حسين الابتدائية، وأنا في الصف الأول فيها، كان في طريقه إلى المستشفى. وقبل أن يذهب منحني قرشًا، أحسست أنه قرش الوداع، ورحت أبكى بشدة، سألتني أبلة نوال عن سبب بكائي، وحاولت أن تهدئ من روعي، وأحسست بما تتمتع به من حنو، وأردت أن أعبر لها عن تقديري لما فعلته معي، فمنحتها القرش الذي أعطاني أبي إياه، لكنها ردته إلى.. فتوقفت عن البكاء.

عندما عدت إلى المنزل، كان أبي هناك.. لم يدخل المستشفى.

انتقل الرجل بين أسرة المستشفيات، من المستشفى الأميري، إلى الفرنساوي، لكنه مات في مستشفى ناريمان بالحضرة، رأيته ينازع الموت، نائما فوق سريره، يبدو عليه الضعف وهو العملاق الذي لم نره إلا قويا رغم المرض، لا تزال عيناه قبل أن يرحل، وقد امتلأت بالبسمة.

والدموع تسكن عيناي المليئتين بالذكريات، ينظر تارة لأمي، ولمن حول السرير، اقتربت منه ومسحت بقعة الدم المنسالة من فمه، ثم قبلته فوق جبهته وعلى خده، وقلت: أدامك الله يا أبي.

بعد قليل، اصطحبني خالي عبد العظيم إلى منزل خالتي زينب، وكانت معنا نعمة، وفي السادسة مساء نفس اليوم بكيناه بقوة، بعد أن وصل الخبر، وظل البيت حزينا لعدة أشهر.

بدأ أبي كأنه سلم المسئولية إلى محسن، الذي كان يدرس في كلية دار العلوم بالقاهرة في السنة النهائية، وعقب تخرج أخي، جاءه خطاب التعيين مدرسًا في أبي حمص، كان عليه أن يذهب ويعود كل يوم، هذه المدينة الصغيرة التي هاجرت الأسرة كلها إليها أبان عدوان ١٩٥٦، لم تكن بعيدة عن الذكريات، لكن محسن أحس بالراحة أكثر حين تم نقله إلى كفر الدوار، لكنه بدافع الترقية كي يكون مدرس ثانوي، قضى ثلاث سنوات في مدينة أسيوط.

في هذه السنوات، اقتربت أكثر من جدى الشيخ أحمد محمد بدوى، إمام مسجد القومندان، الذي تخرج في الأزهر، وهو رجل متدين مستنير، قارئ نهم، يمتلك أكثر من كتب التفسير الجامع، ونستمع إليه يلقى خطبة المغرب، كتب لي الرجل في وريقة أوتوجراف "عزيزي التلميذ النابه أرجو لك مستقبلًا باهرًا يعرج بك إلى أعلي الدرجات".

رجل عملاق الجسد، بالغ الرقي، متعدد الثقافات، يحب الحياة، ماتت رفيقة حياته مريم فرج دبدوب عام ١٩٥٧، وعاش وحيدًا في غرفة بشقته التي سكناها معه في الدور الثالث من البيت، تزوج من زنوبة إحدى قريباته، لكنه افتقد الكيمياء معها، فعاد إلى العزوبية والكتب مرة أخرى، اصطحبته إلى الطبيب يوما، واتكأ على يدى الصغيرة، وعلى عصاه، وردد وهو يشاهد الشارع: ما أجمل الخروج إلى الحياة يا ولدي.

مات الرجل الجميل يوم الخميس ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٢، كان يومًا صعبًا بالنسبة لي، فعندما رجعت من المدرسة، رأيته يلفظ أنفاسه الأخيرة فوق الفراش، سألني خالي عبد العظيم، هل تريد منه شيئا؟ قلت: فقط كتاب تفسير القرآن.. أردت أن أقبله قبل الوداع، وأن ألمس يده، لكن يدى خذلتني، خرجت من الغرفة باكيا، وسمعت من ينوح "على عيني يا أبا"، وبكيت لموت والدي الأكبر، ومرشد حياتي.

رجلان في حيات دفعاني إلى القراءة، أخي، وجدى.. مصروفي الصغير اشترى به كل هذا العدد الكبير من مجلات الأطفال المتواجدة في تلك السنوات، سمير، ميكى، سندباد، كروان، وغيرها، ثم مجلة الهلال بشكل خاص، والكواكب، وآخر ساعة، والجيل، وذات يوم قال محمد بدوى، ابن أمين بدوى كبير موظفي محافظة الاسكندرية، عندما رأى مكتبتي وأنا في الرابعة عشر: ياه.. أنت غني للدرجة دي.

هذه أجمل عبارة قيلت لي في حياتي، كانت مكتبتي حتى هذا السن عامرة بكتب عباس العقاد، والمازني، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وإحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ، ومحمد عبد الحليم عبد الله، وأنيس منصور، وكاتب يدعي محمد أحمد أبهرني برواية عن الموت تحمل اسم "مركب الخلود".

لا أنسى ما فعله معي أمين مكتبة مدرسة رأس التين الاعدادية، وهو يعيرني أي كتاب أريد قراءته، لم يبخل على بالروايات التي تصدر تباعًا، في الوقت الذي كنت أستجلب الكتب من الباعة في شارع النبي دانيال.

أول مرة قررت أن أكتب، بعد قراءتي لروايتين، الأولى باسم "الكنز المفقود"، كنت في العاشرة ، والثانية رواية "ذيل الأرنب" المترجمة عن الإنجليزية، وهي التي غيرت حياتي تمامًا، حيث قررت أن أؤلف رواية على غرار المغامرة التي قرأتها، ولا أنسي انبهاري الشديد –حتى الآن– برواية "الكونت دي مونت كريستو"، وكانت تنشر في مجلة "سمير" على حلقات، قررت أن أجمعها في كراس، فنقلتها من المجلة، وعلمتني هذه التجربة، كيف أقوم من أسلوبي، وعكفت على التأليف، اكتب القصة القصيرة، والمقال، وأحيانًا الشعر، ولشدة اعجابي برواية "أحدب نوتردام" قررت أن أتعلم الفرنسية، وعرفت القواميس طريقها إلى البيت، وامتلأت صناديق أوراقي بمؤلفات صبى صغير "فرصة العمر"، "الخائنة"، "أصحاب الحب"، "جريمة عذراء"، "لن أيأس يا حبيبي"، و"ثورة قلب".

في هذه السنوات عرفت الحب لأول مرة، كانت صباح أول من أحببت، ثم جارتي "جميلة" التي ألهبتني كل مشاعر الحب، والكتابة وأنا في الصف الثاني الإعدادي، أنها قصة حب بالعينين فقط، لم أجرؤ أبدًا على محادثتها، ولم أستطع ، جميلة العينين، أعتقد أنني كنت حبها الأبدي،ومازالت أحس بواجب الاعتذار لها لأننا لم نفترن ، أما الحب الثالث فهو أفلاطوني عبيط لممرضة، كنت أراها في طريقها إلى مستشفى

العمال القريبة من مدرسة رأس التين، انتظرها صباحا، واتتبعها حتى تدخل المستشفى، أحيانًا ألقبها بـ "ذات الرداء الأحمر"، أو باسمها الذى سمعت زميلتها تناديها به "فاطمة".

كانت الكتب هي كل حياتي، لا ألعب الكرة مع رفاقي، لا في المدرسة، ولا شلة الستة التي تكونت منا نحن: نبيل، الدقة، أحمد عبد العظيم، أحمد عبد الحليم، محمد عبد الحليم، وأنا.. قبل أن أبلغ سن الخامسة عشر، اصطنعت لنفسي ما يسمى بـ "عيد القصص"، بمناسبة قيام أمين المكتبة بمنحى بعض الكتب لأقرأها.. في يوم التاسع عشر من ديسمبر ١٩٦٣، حاولت أن أقرأ كل كتب الدنيا في ساعات قليلة، وعندما عجزت أن أفعل ذلك، رحت أقبل كل الكتب التي امتلكها كتابا وراء آخر، وقررت أن أقرأ المزيد في العام الجديد.

كان أحمد عبد الحليم، هو أقرب الناس إلى في تلك الفترة من كل أصدقائي، هو من مواليد ١٩٤٩ مثلي، يحب القراءة، بالغ الذكاء، زاملته في مدرسة طه حسين، ومدرسة الارتقاء الوطنية، وأيضًا في مدرسة رأس التين الاعدادية، وقد نبهني يوما إلى أنه في كل عيد ميلاد جديد له، فإنه يحاسب نفسه، عم فعله طوال العام، من اكتسب من الأصدقاء، وماذا خسر، وحكى لي أن هذا بمثابة محاكمة داخلية لنفسه، ومحاولة للتصالح مع الماضي، والحاضر والمستقبل.

واستهوتني الفكرة، وقررت أن أنقلها إلى الورق، وصارت كراستي الخضراء الصغيرة بمثابة مرآتي منذ عام ١٩٦٤، حتى ١٩٧٧، ولما انتهت الصفحات، أتيت بدفتر كبير، صنعته من ملازم أوراق الامتحان، التي كنت أشتريها من سوق العطارين، وصار الدفتران هما مرآة حياتي، أخصص ساعات بعينها في اليوم الأخير من كل عام أكتب حصاد السنين، في السنوات الأولى لما أكتب بانتظام، ثم صارت الكتابة بمثابة الشهادة على كل ما يحدث لي، وما تنتابني من مشاعر نحو الآخرين.. وعلاقتي بالبشر، والكلمات.

هذه الكلمات كتبتها في أوقاتها، بكل صدق، وبدون أي مواراة، أعرف تمامًا أن أحدًا لن يقرأها سواي، وأنها سوف يتم دشتها عقب وفاتي، لكنني قررت أن أنقلها طبق الأصل إلا قليلًا بعد أن أقترح على الشاعر فتحي عبد الله أن أكتب سيرة ذاتية، وما زلت من الأشخاص الذين لا يتعاملون مع المرايا، لدرجة أنني شاهدت رجلًا غريباً عنى ذات يوم وأنا أدخل في المصعد، فأوليته ظهري، لذا لم أتعمد النظر إلى المرايا قط في أي مكان..

هي صفحات "بوح"، دونتها فوق الورق، للنشر فقط دخل ذاكرتي، ومحاولة لتنشيط هرمونات الذاكرة حين أعاود قراءتها.

لقد اكتشفت أن السنوات أيضًا تموت، حين يأتي الحادي والثلاثين من ديسمبر، وأنها تتطاير مع الزمن، وأن الكتابة هي الوسيلة الوحيدة، ليس لإعادتها إلى الحياة، بل لتثبيت الذاكرة، وتنشيطها.

ملحوظة: أغلب الأسماء في هذا الكتاب حقيقية إن لم يكن كلها.

الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٤

أصعب الأشياء هو الفراق، أما التلاقي فهو من أسهل الأمور، فراق الإنسان لقريته أمر صعبن فما بال فراق الأيام.

تمر الأيام بطيئة حينًا، وسريعة في أحيان أخرى، وفي العام ثلاثمائة وخمسة ستين يومًا، هذه الأيام تكون الأسابيع والشهور، وهناك سنوات تمثل النكبات للأمم مثل ١٩١٤، ١٩٣٩، أما عام ١٩٤٥، ففيه بعض السعادة للشعوب، وكان عام ١٩٦٣، بمثابة نكبة على الولايات المتحدة، أما سنة ١٩٦٤، ففيها مات عباس العقاد، وأيضًا مات نهرو.

لكن ماذا عن العام المنصرم بالنسبة لي، كان ملولًا في بدايته، لكنني في الحادي والعشرين من مارس وجدت نفسي أدخل في مشاجرة مع الأستاذ سعيد إسماعيل في المدرسة، راح يلهب أجساد التلاميذ بعصاه، وعندما لمسني، وجدتني أدافع عن نفسه، والتقط منه العصا، وأكاد أوقعه على الأرض ضربني أكثر، ثم ساقوني إلى مكتب الناظر محمد السيد النمر، وانتهى الأمر بذهاب أخي معي إلى قسم شرطة كرموز، وعمل محضرا ، وقد كان جسدي مزدحمًا بكدمات العصا، وفي اليوم التالي أجبر الناظر المدرس أن يعتذر لي أمام المدرسة بأكملها في طابور الصباح.

في أوائل هذا العام، قاومت حبي لإحدى بنات الجيران، وانتهيت من هذه التجربة، حين رأيت فاطمة أو ذات الرداء الأحمر فوق الرصيف

المجاور للمدرسة، فألهبتني بالمشاعر، وصرت أتتبعها يوميًا وأستمتع بأناقتها، وأكتب عنها القصص والقصائد، لذا اعتبرته عام سعادة.

وفي الثالث من فبراير انتهيت من كتابة قصة "أنوار وظلام"، حول شاب أراد الزواج فعاني من رفض أهله الذين رشحوا له إحدى قريباته، لكنه رفض أن يتزوج.

ظللت حريصًا على رؤية ذات الرداء الأحمر، حتى في أيام امتحانات الاعدادية، وأيضًا في بعض أيام الاجازة، كم رأيتها في الأحلام، وكي أستحضرها إلى غرفتي الصغيرة، فوق السطح، حتى أكتب قصصا بطلة كل منها تسمى فاطمة، ومن هذه القصص "لن أيأس يا حبيبي"، رزق أخي محسن بابنه الأول، في الثالث والعشرين من مايو، وفي سبتمبر دخلت المدرسة الثانوية لأول مرة، أنها المدرسة العباسية الثانوية في محرم بك، كان على أن أمشى من كرموز إلى محرم بك يوميا، وفي الطريق كنت اري الكثير من البنات ، فأدركت أن العالم ليسبت به فتاة واحدة فقط، ونحو أكثر من فتاة أغرمت بي لمجرد الرؤية، رحت أكتب قصصا ومقالات، ومثلما أحببت كثيرا، كتبت أيضًا عن كل واحدة منهن في دفاتري ، وفي التاسع عشر من هذا الشهر – ديسمبر– كان اليوم الموعود للاحتفال بالعيد الأول للقصة (الكتب) وبعد قليل، سوف أذهب إلى الشارع الذي به مستشفى العمال لاستقبال العام الجديد كي أدعو الله أن يجعله عامًا سعيدًا، وكي أغنى من أجل ذات الرداء الأحمر..

السبت ٣١ ديسمبر ١٩٦٧

ومرت السنوات حاملة معها بعض الذكريات والأحداث أثرت في شخصيتي وفي مجرى حياتي، وأفكاري وأهدافي، ومعاملتي مع البنات، وسوف أتحدث عنها الآن ببعض من التفاصيل.

أحببت فتاة تدعى فاطمة، تعمل بمستشفى العمال كممرضة، وكانت على قسط من الجمال والأناقة، وتكبرني بأعوام، لم أحدثها، لكنني رأيتها حوالى عشرين مرة، رأيتها هذا العام مرة واحدة، كونت لها هوية خاصة في ذهني، فهي بالنسبة لي جميلة الجميلات. تخلو دومًا من أي صفة سلبية، ولهذا السبب تعلقت بها، وهأنذا بعد ثلاثة أعوام ونصف لا زلت متيمًا بها، أو بالأحرى أحب ذلك الخيال الذي صنعته بنفسي، وجسدته في صورتها. لذا فإنني –كما يهيئ لي– قد أطيل فترة الحب حتى أصطدم يومًا بالحقيقة، لذا فإنني عندما رأيتها منذ بضعة أشهر، أدركت أنها قد تزوجت أثناء فترة عدم رؤيتي لها، وأردت أن أسير خلفها كالعادة، لكنني ما لبثت أن تحولت عن طريقي، لأنها تغيرت . خلاصة القول أنني صنعت من صورتها خيالا وأحببته، وحاولت أن أحب أكثر من فتاة في فترات متتالية، فلم أوفق إلى ذلك.

رأيت في طريقي إلى نفس المستشفى فتاة هيأت لي خيالاتي، أنها تؤام لها، تتمتع بنفس الجمال، تبدو شاردة دومًا.. اعتقدت، وما زلت، أنها أخت فاطمة، لذا فعندما كنت أراها، أجد نفسي أتتبعها، وكأنني أرى

ذات الرداء الأحمر، بأناقتها، وجمالها، وتكررت الحكاية طوال ثلاث سنوات، أركب الأتوبيس الذي تقله، أحاول أن أتكلم إليها، فشلت مرات عديدة، وبعد الكثير من المحاولات حادثتها، أبلغتني أن اسمها "أسماء"، وأنها منتسبة في كلية التجارة، وتعمل موظفة في المستشفى، وقد اندفعت كثيرًا نحوها، وتصرفت بغباء، وحاولت أن أتكلم إليها على مقربة من منزلها فعاملتني بالكثير من الجفاء..

أصدقائي في الحياة ليسوا كثيري العدد، من أقرب الأصدقاء إلى محمود أحمد على سالم، في السابعة عشر من العمر، ضخم الجسم، وتبدو عملقته حين أمشى إلى جانبه، بدأ تعارفنا بشكل خفيف للغاية في نهاية المرحلة الابتدائية، كان يصغرني بعام، وانتقلت إلى مدرسة رأس التين، وظل هو في مدرسة الارتقاء الوطنية، عند الاستاذ محمد ندا، ومن حسن الحظ أنه انتقل إلى مدرستي، وهناك زادت صداقتنا، وظللنا على تواصل إلى يومنا هذا، اعترته أعز أصدقائي، طيب القلب، لا يعرف كيف يتحدث إلى فتاة، يصارحني بكافة أسراره، لم أر منه يومًا شيئًا يسئ للمرء، لذا احتفظنا دومًا بصداقتنا على المستوى نفسه.

الصديق الثاني هو حسن عبد العزيز صبيح، يميل للبهجة، طيب القلب، لا يعرف المكر، تعرفت عليه في الصف الأول الاعدادي، ولا يزال يجمعنا قمطر واحد.. حتى التحقت بالمدرسة العباسية الثانوية، أما هو فالتحق بمدرسة الاسكندرية بشارع منشأ، القريبة جدا من مدرستنا.

أما ابن عمى أحمد عبد الحليم، فقد ظلت الصداقة بيننا قوية، حتى انتقلت أسرته إلى منزل في محرم بك، ومنذ ذلك الحين قلت مقابلاتنا، وصرنا نلتقي مصادفة، صار له أصدقاء آخرون، ووجد فيهم ما لا يتسم في شخصي. فأنا لا أميل إلى التدخين، ولا إلى السهر، أو ارتياد المقاهي..

في حياتي، هناك شيء يجعلني أفكر فيه دومًا، إنه ماثل أمامي، أنه الموت، فبعد أن مات ابن خالي أحمد عبد العظيم في حادث سيارة وهو خارج من مدرسة التجارة الثانوية في آخر يوم امتحان في الثاني من يونيه عام ١٩٦٦، أحسست أن الدنيا أرخص من حفنة تراب، فنحن لا نأخذ معنا حتى تراب الدنيا إلى المقابر، نحن نموت ولا نأخذ معنا شيئًا، مهما كسبنا، مهما غرقنا في اللذات، مهما سرقتنا.. مهما.. كل شيء إلى فناء، هذا الحادث المروع وجهني إلى طريق آخر في الحياة، وجعلني أتأمل أكثر في معاملة الناس للموت، رأيت الموت يكشف في الناس مشاعر متناقضة، فحتى ينزع خالي الألم من نفسه لفقدان ابنه، صار عليه أن ينساه على الأقل أمام أعيننا، رأيته يحترق من كثرة الألم، ثم بدا متماسكًا، وعرفت أنه لا يكف عن الصراخ والبكاء حين يخلو إلى نفسه.

علمتني وفاته كيف أكون حزينًا من الأعماق، ولم أستوعب كيف ذهب بعض من أقاربنا إلى حفل في اليوم التالي لرحيله، كما ذهب بعض أقاربنا إلى الشاطئ بعد أيام من وفاته، وصارت صلتي بهؤلاء ضعيفة، متمنيًا ألا يحوجني الله إلى واحد منهم، فلا شك أنهم سيفعلون الشيء

نفسه حين مماتي، ومن هنا تمنيت ألا يبكي الناس على يوم وفاتي، فقط أريد الذكري الطيبة، وأن أصنع لنفسي شواهد قبر تبقي بعد أن أموت، شواهد عديدة، أن أكتب كثيرًا.

حياتي العائلية، كما تقول أمي، مستورة، دخلنا الشهري حوالى اثنا عشر جنيها، مصدرها من نصف بيت تمتلكه أمي في شارع مسجد جبر، ومن أخي محسن، مبلغ يكفي أسرة من أربعة أفراد بصعوبة، في هذا العام بلغت الثامنة عشرة. حصلت في شهادة الثانوية العامة على مجموع ٥٣.٣% وقررت أن أعيد العام الدراسي، يقولون إنني طيب القلب رقيق الإحساس مرهف الشعور جدا، عاطفي، خيالي، بي شيء من الواقعية، بعيد النظر، لست خبيثًا، كريم النفس، وإن هذه الصفات ورثتها أنا وأخي عن والدينا، من هذه الصفات أيضًا أنني أكره العنف، وبي لمحة بسيطة للغاية من الغرور، صريح مثل الكتاب المفتوح، لم أنكر جميل أحدًا، ومتسرع في أعمالي، وفي الحكم على بعض الأمور، أمتلك حاسة سادسة، ضعيف البصر، أعاني من المعدة، ودائم إطلاق الغازات، معدوم حاسة الشم، أميل إلى النحافة.

كعاشق للأدب، فقد تغيرت كثيرًا خلال الأعوام الثلاثة الماضية، تحسن أسلوبي وتغيرت أفكاري، كتبت سلسلة من المغامرات بطلتها اسمها جاي وست، على طريقة أفلام جيمس بوند، أؤمن بالمستقبل، وقد كتبت عنه كثيرًا، ألفت قصة غرامية تسمى "الطبيبة الإنسانة" استوحيتها

من إنسانية طبيبة الأسنان التي أعجبتها صراحتي وأنا أحدثها أن أسناني لا تؤلمني، ورغم ذلك ذهبت إلى عيادتها.

ذات يوم، رأيت حلمًا غريبًا، أنني أسير في شارع مظلم، وقام بعض الأشرار بالهجوم على، إلا أنني تمكنت من الهروب، ثم ظلوا يطاردونني، وفجأة كفوا عن الجري، وراحوا يطلقون انذارًا، ويكررون عبارة "٤ ديسمبر"، بما يعني أنني سوف أموت، أو أهلك ذات يوم في هذا التاريخ.

في هذا العام، سافرت إلى القاهرة لأول مرة، يوم الأحد ١٧ سبتمبر، كي ألتحق بمعهد السينما، وكانت ذكرياتي هناك بالغة السوء، فقد أبلغوني أن ميعاد التقدم بالأوراق قد انتهى، حاولت أن أقابل عميد المعهد أحمد الحضري، فرفض تمامًا، وأبلغت مدير مكتبه أنني جئت من الاسكندرية، وأنني طالعت في الصحف أن الموعد لا يزال مفتوحًا، لكن أحدا لم يسمعني، وعدت إلى الاسكندرية في نفس اليوم بالغ الحزن.

في اليوم التالي نشرت جريدة الأخبار أن باب التقدم أعيد فتحه حتى الثالث والعشرين من سبتمبر. فسافرت للمرة الثانية مع صديقي سالم الذي اصطحبته معي في المرة الأولى أيضًا، وكان معه أخ له. وكانت الصدمة أن المسئول الإداري في المعهد أبلغنا أن الخبر المنشور كاذب، وقال بسخرية: لماذا لا نقدم أوراقنا للجريدة؟

هكذا كان انطباعي الأول عن القاهرة، أنها مرتبطة بالفشل، كنت أسافر وأعود إلى الاسكندرية مع صديقي محمود سالم في اليوم نفسه، فلم أتمكن من زيارة معالم القاهرة، لم أر ميدان التحرير، أو مسجد السيدة زينب، ولا المشهد الحسيني.

في الثامن والعشرين من الشهر نفسه، سبتمبر، أصابتني حمى نتيجة للتعرض لتيار هواء عقب خروجي من الحمام، ارتفعت حرارة جسمي، وسال العرق مني، وغيرت ملابسي أكثر من مرة.

وزالت الحمي بعد يومين، وشعرت بشيء من الراحة، لكنني تعرضت لتيار هواء للمرة الثانية، فكان السعال الشديد الذي استمر يومان، وبدأت أشعر بهزال شديد وضعف عام، أتعب من أقل مجهود، فذهبت إلى مستوصف، حيث انتقلت من طبيب إلى آخر، وطلبوا عمل أشعة، لم أستطع دفع ثمنها، وعند فحصي، قال الطبيب أنني مريض بماء على الرئة.

ذهبت إلى المستشفى كمريض للمرة الأولى، قضيت في المستشفى أيامًا لم أتصرف خلالها قط كمريض، ولكثرة حركاتي، قررت الدكتورة ابتهاج أن تكتب لي أمر خروج يوم التاسع من نوفمبر، خرجت بدينا بشكل ملحوظ، وألمني البنطلون الضيق الذي لبسته، وأنا ذاهب إلى سينما بلازا.

في هذا العام، كان هناك عم أمين، ذلك العجوز الذي تجاوز سن الستين، الذي التحق بكلية الهندسة، وكان أكبر عمرًا من الأساتذة، واتخذه الكثيرون أداء للسخرية، وبسببه تم اتهامي بالسرقة لأول في حياتي، حيث أراد أبوه أن يبعدني عنه، لم أكن أعرف أنه مصاب بحالة غريبة من العواطف، أنه يهيم بالرجال، مثلما يهيم الرجل بالمرأة، لكن دون أي اتصال جنسي، وأبلغ أبوه الشرطة أنني سرقت بدلة من منزله، وجاءت قوة ضخمة من الشرطة إلى ٢٧ حارة الفهد، كأنني زعيم عصابة من العتاة، وتفهم الضابط، اصطحبني إلى القسم، وأحسن معاملتي، وقال لي وهو يطلق سراحي: لو عرفت السارق، أخبرني..

الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٨

عام بأكمله عشته، وانصرم دون أسف، عشت فيه ثلاثمائة وست وستين يوما، ترى ماذا كنت عليه، وإلى أين وصلت؟.

استقبلنا العام، وأنا لا زلت مريضًا بالتهاب في البلورة، وظللت أعالج نفسي منها، من طبيب إلى آخر، وارتفع عدد الأطباء الذين ترددت عليهم، إلى أن أخبرني واحد منهم في شهر نوفمبر أن المرض قد زال والحمد لله، لكن، لا تزال معدتي تؤلمني، مع قدوم العام الجديد.

كان لحياتي في المستشفى الأميري عام ١٩٦٧ أثرًا كبيرًا، إذا اختلطت بناس جدد منهم أصحاب المراكز المرموقة، ومنهم المرضى الفقراء، صادقت الكثير من طلاب كلية الطب، اتسمت بالمرح، وكنت خدوما للجميع، غادرت المستشفى بعد ستة وعشرين يوما، كسبت الكثير من الصداقات، وانبهرت بشخصية الدكتورة ابتهاج، هزتني بإنسانيتها لفترة طويلة، إذا أنني لم ألتق بإنسانة لها من الإنسانية والعلم والتواضع مثلما رأيت الدكتورة ابتهاج تفعل هذا، بينما قال لي طبيب آخر إن الطبيب لا يعيش لنفسه، لكن من أجل الآخر.

لذا، تمنيت أن أدخل كلية الطب، وبدأت الاهتمام بمذاكرة دروسي ابتداء من أول شهر أبريل، بدأت أتردد على منزل زميل لي، لم يوفق العام الماضي، كنت أشرح لحمدي مسائل الرياضة، ظلت أفلام السينما تطاردني في كل أوقاتي، وفي عام واحد شاهدت ما يقرب من مائة وستين

فيلما أمريكيا، وأربعة وأربعين فيلما مصريًا، ورغم ذلك لم أهمل دراستي، وبذلت ما بوسعي كي أحصل على مجموع ثمانين في المائة وأكثر.

لكن، ما حدث لي في الامتحان كان غريبا، كنت أقرأ الكلمة في الأسئلة على أنها كلمة أخرى، وأخلط بين الأسئلة رغم بساطتها، لذا خرجت من الامتحان، متوقعا أن يكون مجموعي مقاربا لمجموع العام الماضي، ولم أدهش كثيرا، وأنا أحصل على ثلاث وستين في المائة، وتضاءل الأمل في أن أكون طبيبًا مثل الدكتور ابتهاج. بل تضاءل الأمل في دخول أي كلية تتناسب مع طموحي.

في هذا الصيف قمت بتجربة من نوع جديد، ذهبت مع حمدي هذا وثلاثة من الزملاء الآخرين إلى معسكر في أبي قير على نفقاتنا، ولم أتحمل حرارة الشمس، فلم أبق سوى ثلاثة أيام، أحسست كم أن الدنيا جميلة طيبة، بعيدا عن مشاكل الحياة، وأنني قريب من الانطلاق والمرح، واللا مسئولية.

لم أعد أقرأ الكتب بنفس الكم، والشغف، لقد أفسدت السينما على متعة القراءة، وانتهيت من تأليف رواية بعنوان "الوجه الصامت"، كما بدأت في كتابة "أبو الأدباء" حول عباس العقاد الذي قرأته كله بإعجاب شديد، كنت مولعا به، وبما كتب،كانت تجربة تجمع بين المتعة والصعوبة، وشعرت أنني نجحت في هذه التجربة إلى حد كبير.

ظلت فتاة مستشفى العمال هي ملهمتي الوحيدة، احتفل بذكرى أول يوم رأيتها فيه ١٣ أبريل ١٩٦٤، فعلت ذلك لمدة أربع سنوات على التوالي، ظلت موجودة فيما أكتب، قلت إنها "كانت أيام فلنغن لها" .كم أحسست أنني في حاجة إلى فتاة أحبها، فتاة ناضجة، موهوبة.

تشاجرت مع صديقي سالم لأول مرة، حين جاء يزورني في المنزل كالعادة، كان قلقا دون أن أعرف السبب، تضايق من عدم مبالاتي به، فنزل غاضبًا، وعندما ذهبت إليه في المنزل أكثر من مرة تنصل منى، فكتبت له كلمات شديدة القسوة، تركتها مع أخيه.. جاء لزيارتي، وخرجنا للتمشية في المدينة، كان معنا حسن صبيح، فجأة شتمني لسبب بالغ التفاهة، ثم كرر الشتيمة مما يعنى الحزن في قلبي، وقررت ألا أقابله بعد ذلك، ولم نتقابل حتى الآن، صديقي الوفي طيب القلب، شتمني. تحسنت أحوالي المادية إلى حد ما، فأخي محسن بدأ يعطيني جنيهًا كل شهر، وهذا شيء له قيمته، أخي متزوج، ويسكن في الدور الثالث من حارة الفهد، أما نحن فنسكن في الدور الأخير، أو فوق السطوح كما نحب أن نسمى هذا المسكن، ومحسن له أبناء أي يتولى إدارة عائلة.

شدتني السينما إليها بقوة، قرأت الروايات التي تحولت إلى أفلام، وكم اشتريت من مجلات السينما، وتعرفت على عم عجبان في نهاية شارع العطارين، الذي يبيع المجلات والكتب القديمة، بأسعار رخيصة، بالوزن، واشتريت المرتجع من مجلات سينما فرنسية منهامجلة cinerevue– ومجلة monde، حتى امتلكت مائة وثمان مجلة

سينمائية، وفي احتفالي السنوي بيوم الكتاب الخاص بي اكتشفت أنني أضفت إلى كتبي ٧٧ كتابًا في الأدب، والعلوم، وقد رزقني الله بمن سرق الكثير من هذه الكتب ما هو أكثر قيمة أدبية ومالية، مثل أعمال نجيب محفوظ، ومطبوعات كتابي، وغيرها.

في هذا العام عرفت شفتاي لذة التقبيل، خاصة متعة القبلة الأولى، حصلت على هذه القبلة وأنا أبلغ الفتاة التي قبلتها أنني أحبها، وما لبثت أن اكتشفت كم أنا كاذب، وأن كلمة "أحبك" كانت باردة مع فتاة دافئة لم أحبها، وبدأت أبحث عن إنسانة أحس بقيمتها، وأعماقها، وأن تشعر بما في داخلي، إنسانة قالت لي: أنت بتدور على حاجة ومش لاقيها.

وقالتها:

إنها أحدي زميلاتي في الجامعة، أجل.. الجامعة، لقد حدثت المعجزة، والتحقت بكلية الزراعة جامعة الاسكندرية، امتزجت الفرحة بالألم، فرحة أنني صرت طالبًا جامعيًا، مقرونة بحسرة أنني لم أدخل كلية الطب.. وآمنت أن المرء لا يختار حياته بنفسه مهما كانت طموحاته، وأن الظروف هي صانعة الإنسان.

في الكلية أبحث عن ضالتي المفقودة، لفتت نظري فتاة بيضاء على قدر بسيط من الجمال، كانت عيناها هناك، قريبة منى، ثم حدث اللقاء بيننا، في المدرج، ووسط الزميلات، قدمت لي قصيدتها التي قالت فيها:

لا، وألف لا، أنا لن أعود.

بدنياكم، بمثاليتكم، كفرت أنا بالقيود.

قلبي طائر ذبيح أدمته وأحرقته وعود.

ظننت أن قلوبكم كقلبي لا تقيده حدود.

فإذا هي ظلام مطبق، ولم أزود.

شعرت أنني الذي كتبت هذه القصيدة، التي دفعتني أن أحس أن كاتبتها هي ضالتي المنشودة، عبرت لها عن سعادتي البالغة، بما كتبت، وبدأت أشعر أنها تحبني وأنني أحبها، لم تقل عينانا شيئًا، لكن قال كل منا أثناء الحديث في موضوعات جادة أشياء كثيرة، قالت:

– انت تبحث عن شيء ولم تجده..

وحتى الآن، لم يبح أحدنا إلى الآخر بمشاعره، وربما سوف نقضى الوقت الطويل قبل أن يحدث البوح.

أطرف ما في الأمر أنني بدأت في ابريل في كتابة كتاب عن حياتي، بالتفصيل الشديد، منذ طفولتي حتى دخولي الجامعة، وللآن لم أتم فصوله.

كل ما أرجوه في عام ١٩٦٩، أن أتم كتابة "أبو الأدباء" وأن أعيش تجربة حب كي يكون ذلك منهلًا لخيالي وكتاباتي.

الأربعاء ٩ يوليو ١٩٦٩

بلغت اليوم العشرين من عمري، خمس قرن، عشرون عاما في حياة إنسان حافلة بأشياء كثيرة، خاصة السنين التي عشتها، منذ طفولتي، ثم المراهقة، ومرحلة الشباب.

ترى ما هو إحساسي تجاه الحياة بعد أن عشت فيها عشرين عاما، بشكل عام أنا راض عن هذه الحياة، وأؤمن أن الدنيا يجب أن تمتلئ بالسعادة، والأحزان، والابتسامات، والعبوس، وكل المزيج الذي نعرفه، وكما قلت على لسان بطلة "الوجه الصامت"، أننا يجب أن نرتدي من الحياة الزي الذي يناسبنا، فلا نرتدي أكبر من أحجامنا، فنسخط عليها، وأصغر منا فنسخر منها.. وهذه هي رؤيتي للحياة، فقد بكيت وضحكت، وجريت ووقفت، عرفت الصحة، والمرض، النشاط والخمول، النجاح والفشل، الطيبة، والخبث، الكرم والبخل، الأسرف والشح، علمتني الحياة في عشرين عاما أشياء كثيرة، لكن الكتب علمتني كل شيء، إنها أبي بعد وفاة الأب، والجد، وهي الأم التي لم تستطع أن تعلمني، وتحتاج من أبنائها أن يعلمونها.

عشت عشرين عاما، عرفت السعادة في سنوات الدراسة، وعندما انتهى من كل عام أو عند قراءة كتاب، أو بعد رؤية فيلم جيد، قد أشاهد الفيلم نفسه أكثر من مرة، لم أدخن في هذه السنوات أي سيجارة، لم أضعها في فمي، لا مشتعلة أو مطفأة، لا أحب الشاي، ولا المكيفات لم

أجلس عند المقهى إلا بعد أن تجاوزت الثانية عشرة، ولم أكررها بعد ذلك ، أحب السير في الخلاء وحدى، أو مع صديق مخلص، والأصدقاء نادرون، ليس لي سوى سالم الذي عادت مياهنا إلى مجاريها يأتي بعده كل من حسن صبيح، ومحمود عبده زميلي في القسم، وحمدي زكى، لكنها صداقات لا تصل إلى قوة علاقتي بسالم، الذي يوافقني على كل شيء، إنه بالغ الطيبة.

أحببت ثلاث فتيات، وفشلت هذه القصص فشلًا ذريعًا، قرأت حتى اليوم ٣٣٩ كتابًا عربيًا، بصرف النظر عن دواوين الشعر والمجلات، قرأت ما يزيد على الأربع آلاف مجلة من مختلف مطبوعات العالم: مجلات أطفال، مجلات سينما، مجلات فن، مجلات سياسة، رأيت حتى اليوم طوال العشرين عاما ٥٦٨ فيلما عالميا، وما يزيد عن هذا العدد من الأفلام المصرية، في مكتبتي اليوم ٥٨٠ كتابا باللغة العربية، في مختلف أنواع المعرفة: أدب، تاريخ، فلسفة، وفي حوذتي من المراجع والقواميس والكتب الفرنسية ما يقارب المائة كتاب، انتهيت اليوم من قراءة أول كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان "خالي والقس".. إنها اللغة التي علمتها لنفسي، رغم العقاب المتكرر الذي حل على وأنا في الصف الأول الاعدادي من المسيو إسماعيل خالد ، بسبب ضعفي الشديد في اللغة، لقد تعلمت.. بنفسي.

حققت لي حياتي المادية ما يرضيني، إذ أنني رغم شدة فقري، فإنني أحمد الله على هذا وأحس براحة البال، أحب الاستماع إلى

الأغاني، أم كلثوم، وفريد الأطرش، وعبد الوهاب، وعبد الحليم، وليلى مراد، أحب في السينما العالمية شون كونرى، ومارلون براندو وأودرى هيبورن.

تلك حياتي التي عشتها حتى اليوم، أنا إنسان مهزوز الشخصية نوعًا ما. لا أحب أن أجرح إحساس الآخرين، لا أميل لزيارة منازل الناس خشية أن تتم الزيارة في وقت غير مناسب.

تجاوزت مرحلة الشك في الدين، وأحببت الله حبًا لم يعرف من قبل، أصلى في فترات متقاطعة، وهذا من عيوبي الشديدة، أحب الوفاء بالوعد، متهور، أحس أن الحياة سوف تنتهي الآن، ولذا أحب استعجال الأمور، فاليوم أفضل من الغد لأن العمر له متطلباته.

الصدمة الأكبر في حياتي، يوم أن مات ابن خالي أحمد عبد العظيم، لم أبك مثلما فعلت بعد وفاته، ولم يشغلني أمر مثلما حدث بعد رحيله، ربما كان موته من أسباب زهدي في الحياة، ومن الأمور التي دفعتني للتعرف على حياة الزاهدين مثل بوذا، وغاندي.

اشتد ضعف بصري طوال العشرين عاما، من كثرة القراءة ومشاهدة الأفلام، أحببت الناس أينما ذهبت، في كل مكان، في المدرسة، الكلية، المستشفى، لم أحس أن هناك عدوًا لي، ولكن هناك من لا تعجبه أفكاري حول التمرد، تبدو أفكارًا غير مألوفة، أرى أن الدين ليس في السلوك الظاهر، وأن الوعاظ الموظفين، الذين ينالون أجرًا عن أعمالهم

يسيئون إلى الدين، لم أعرف قط أن جدى أحمد بدوى قد حصل على مليم واحد عن نشاطه كإمام في مسجد القومندان، كان يردد أنه عمل تطوعي لخدمة الإسلام.

هذه أفكاري البسيطة، عن عشرين عامًا انتهت اليوم، فماذا أحب أن أكون في العشرين، عامًا القادمة؟

أولا، أحب أن يرعاني الله، وأن يجعلني أحيانا حقًا، أحيا عشرين عامًا كاملة، بصحة طيبة، وأن يقيني شر أي مرض، وإذا انتقلت إلى جواره، أن يتم ذلك بهدوء شديد.

أدعو الله أن يحقق لي أمنيتي الكبرى، وهي أن ألتحق بالإذاعة كمذيع، وأن ينشر لي ما لا يقل عن عشرة كتب طوال العشرين عامًا القادمة، إذا شاءت لي الحياة.

أدعو الله أن يحقق لي المكاسب في هذه الحياة، وأن أحقق شهرة على الصعيدين العربي والعالمي، وأن أقرأ الأدب الفرنسي، والإنجليزي بلغتيهما.

أدعو الله أن يمكنني من العيش بسعادة، وأن أرى أهلي ووطني بخير، وأن يبعد عني المتاعب وأن يمكنني الله من إنسانة طيبة، وأبناء طيبين، الولد اسميه باسمي، والبنت اسمها فاطمة، كم أحب هذا الاسم.. فقط لأنه اسم جميل.

أدعو الله أن يوفقني إلى الكتابة حول الأديان والإسلام، وأن أنشر بنفسي هذه الكتب.

الأربعاء ٣١ ديسمبر ١٩٦٩

عندما تمنيت بعض الأمانيات العام الماضي، لم أكن أعرف أنها سوف تتحقق ، فقد انتهيت من كتابة "أبو الأدباء" حول عباس العقاد، وأكدت تفوقه كشاعر، وباحث، وكاتب سياسي، وكقاص ، وكاتب مقال، لقد أنجزت كتابا عن رجل أحبه وأنا دون العشرين من عمرى، حدث أن زارنا صديق لأخي محسن، بدا شقيقي متباهيا بي، وعندما جلست إلى الضيف، رحت أريه مسودة الكتاب عن العقاد، وقرأت له أول جملة من الكتاب، وهي تقول "خلاصة ما يقال عن شعر عباس العقاد، أنه الشعر المناسب لعصره والذي كان يجب أن يظهر في تلك الآونة".. اتهمني مفتش اللغة العربية التي اقتبست هذه الجملة من كاتب آخر، فكأنه بذلك يكون أول من يمتدح أعمالي، حيث أنني لست من هواة أن يقرأ أحد مسوداتي.

كما أنني انتهيت من روايتي الجديدة "الربيع الذي رحل" . هذا العام حل على وأنا أعاني كثيرا من معدتي، ولا زلت أعاني حتى الآن من آلام المعدة، رغم أنني قضيت العام بأكمله في حالة رضاء نفسي فلم تصادفني مشاكل جسيمة إلا قليلا، وكم صددت بروحي الطيبة الكثير من المتاعب التي حلت على، لقد رسبت في مادتين في القسم الدراسي الأول، لا لشيء، إلا لاستهتاري في الامتحان، فقد تعاملت مع ورقة الإجابة بدون مبالاة. لذا أزعجتني نتيجة القسم الدراسي الأول، وانتابني القلق خوفا من الرسوب في أي مادة في القسم الدراسي الثاني، أنه أول

رسوب في حياتي، وكنت معرضا بالفعل للرسوب، خاصة أن حالتي المادية تجعلني غير قادر على شراء الكتب الجامعية، ولا أريد أن أحمل أم محسن المزيد من الضغوط، لم أكن أحب نوع الدراسة، وكانت معجزة من السماء أن أنجح في نهاية العام.

الأيام التي سبقت النتيجة هي الأكثر قلقًا، كما كان الأسبوع الذي ظهرت فيه زميلتي الشاعرة لا مبالاة تجاه عواطفي نحوها من أسوأ الأسابيع، لم أعرف كيف أسرب إليها أنني أحبها ولعلها أحست أن أفضل الأمور أن تأتي معها بزميلة كي تقطع على حالة البوح، ونجحت في ذلك، فقررت مقاطعتها، وبدأت في المعاناة وحدى.. حاولت أن تحادثني، لكن جرحًا في أعماقي أبعدني أكثر عنها..

ومع أنني فشلت حتى الأعماق في هذه التجربة العاطفية المنشودة، إلا أنني نجحت في كتابة رواية طويلة لم تكن زميلتي أي أثر لإلهام في أي سطر فيها، مثلما حدث في أعمالي السابقة مع ذات الرداء الأحمر.

كانت كتاباتي محدودة في هذا العام، فلم أكتب سوى كتابي المشار إليهما، وبعض فصول من كتاب عن السينما، وفصول جديدة عن قراءتي في العشرين عامًا بعنوان "قرأت وسمعت ورأيت"، ورغم هذا فقد كان لنصيبي في القراءة، عددا كبيرا من الكتب المتنوعة، حيث قرأت في المسرح لأول مرة، كما قرأت في السينما، والرواية، والفلسفة، وفي

العقائد، ومواضيع أخرى مختلفة من خلال خمسة وسبعين كتابا من أبرزها "العجوز والبحر" لهيمنجواى، و"الغريب" لألبير كامي، هذان الكتابان سوف يغيرا مجرى حياتي تماما، وأنا أكتشف روايات مختلفة النوعية مما قرأته في روايات الهلال، والروايات العالمية، وفي السينما شاهدت أكثر من مائة وعشرين فيلما من أبرزها "أوليفر" و"مدرسة المشاغبين".

الجو دائما مكهرب في المنزل، ولولا تقبلي للظروف بلا مبالاة، لتعقدت الأمور أكثر، لكنني أجابه كل الظروف التي تعجبني من خلال انغماسي في قراءة الكتب، لتقعدت أكثر، لكنني أجابه كل الظروف التي تعجبني من خلال انغماسي في قراءة الكتب، ومشاهدة الأفلام، أنه هروب جميل.

عشت أيام السنة على وتيرة واحدة، وكان أبرز ما فيها، نشاطي الأدبي غير العادي، فقد بدأت أعرف في الكلية أننى أهوى القراءة والكتابة، وازداد احساسي بالثقة في نفسي، رغم أنني لم أكتسب المزيد من الصداقات. أقصد أن تكون هناك صداقة لها نفس قوة علاقتي بسالم مثلا.. كان حسن صبيح قد سبقني إلى الكلية نفسها بعام واحد، وإن كان هذالا يمنع أن الزملاء كانوا كثيرين من حولي.

كانت زميلتي الشاعرة التي صدمتني هي أبرز شخصيات العام، أوهمت نفسي أنها ليست شاعرة، ولعها تكون قد نقلت قصائدها من أشعار كامل الشناوي، واحتفظت بصداقتي لسالم، واقتربت من أساتذة

بارزين في الكلية، مثل الدكتور جمال الدين حسونة، والدكتور إبراهيم حمادة، الذي قال لنا في إحدى المحاضرات إن السيارة في الجراج لا تحقق مخالفات مرورية، وأن من الأفضل للإنسان أن يخرج إلى الحياة وألا يعيش في قوقعة.

ظلت حالتي المادية متقلبة، فهي مرتفعة أحيانًا بشكل نسبي، ومنخفضة في كثير من الأحيان، وصار عدد الكتب في دولابي الأبيض٧٨٢ كتابا، أي بزيادة مائتين وسبعة كتب.

هذه أيام عشتها مع الناس، وأضفتها إلى رصيدي في الحياة من تجارب جديدة وأنا على عتبة عام جديد، قد أعيشه أو لا أحياه، وكل ما أتمناه من الله أن أكون مطمئن النفس، سعيد، ناجح، طيب الصحة.

الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٧٠

أول ليلة في العام الجديد، كنت هناك عند الكورنيش، مع سالم، نشهد احتفال الناس بالعام الجديد، رحنا نأكل ونشرب ونضحك، وعندما دقت الساعة الثانية عشر، قبلت صديقي على خده متمنيًا له عاما جديدًا سعيدًا، والمدينة غارقة في احتفالاتها المدهشة.

لكن العام الجديد كان أيضًا عالم الخصام، حدثت بيننا مشادات، أخطأ فيها كلانا في حق الآخر، بدأت المشكلة عندما حاول إهدائي حذاء جديد أعجبه، وعندما عدت إلى المنزل لم يعجب الحذاء أم محسن، وعندما أخبرته بذلك غضب بشدة، وبدا البرود يعلو تصرفاته نحوى.

ورفض أن يأخذ منى الجنيه ونصف ثمن الحذاء، كانت حديقة الخالدين هي المكان الذي التقينا فيه لآخر مرة، رفض أن يأخذ ثمن الحذاء، وبصق على وذهب مع زميله في المدرسة محمود الذي حاول أن يكون حمامة سلام، رأيت سالم صديقي بعد ذلك العام ثلاث مرات، ولم نتحادث.

إنه السلوك نفسه الذي أسلكه مع الجنس الآخر، لا يمكن أن أبادئ شخصا ما بالحديث، بعد أن أعطيته الفرص كي تتحسن العلاقة، حدث هذا مع سالم عندما أرسلت له خطابا مع صبيح كي نلتقي في

التاسع والعشرين من يونيه في حديقة الخالدين، ولم يأت، ولذا لن أتحدث إليه بعد ذلك.

زميلتي الشاعرة، تصرفت معي ببرود عاطفي في أبريل ١٩٦٩، ومن يومها لم نتحدث بعد ذلك، كل هذا جعلني ازداد إحساسًا بالغربة، وأشعر كأنني واحد من "ميرسو" بطل رواية الغريب، رغم وجود ناهد التي كانت تزورنا بين وقت آخر في البيت، كانت تأتي إلى غرفتي الصغيرة التي تملأ جدرانها صور المطربين ونجوم العالم كما تنشرها مجلة salut les copains تذوقت طعم قبلاتها، وتحسست بطنها، كان حضورها متقطعًا، لكنني تعلمت منها لغة اللمس بعد أن فشلت في لغة الرومانسية، ورغم ذلك فإنني قاطعتها عندما أخلفت موعدا، ضربته لها..

الفراغ العاطفي يغمرني، أبطال الروايات التي أقرأها، والأفلام التي أشاهدها يعيشون قصص حب أتوق أن أعيش مثلها، هذا الفراغ هو نتيجة لإحساسي الشخصي وتجاربي مع الجنس الآخر سواء تجاربي أنا أم أصدقائي ومن أعرفهم، وأكاد أجزم أنني لن أمر بتجربة ما قبل خمس سنوات على الأقل.

لم أسال نفسي لماذا.. وهل أنا قادر فعلًا على الخروج مع إحدى البنات، أدعوها لتناول مشروب في كازينو الشجرة، أو كازينو الشاطبي، أو أن أركب سيارة أجرة إلى أي مكان بعيد، هل أمتلك نقودًا تجعلني أفعل هذا؟

في هذا العام أنجزت روايتين، ورغم أنني صرت أقل ممارسة للكتابة، إلا أنني أفلحت في تأليف روايتي "أنا عائد حاملًا قلبي بين يدي"، وفيها تطور لأسلوبي الذي كتبت به رواية "الوجه الصامت" عمل رومانسي بسيط، ووسط الكتابة كنت قد قرأت ١٢٤ كتابًا طوال العام.

كان أول الكتب عن طاغور وآخرها رواية ليوسف السباعي، إنها كتب متنوعة في الفلسفة، والدين والرواية، والمسرح والسينما، وقد قرأت أكثر في النقد الأدبي، ولعل أهم ما قرأته هو الجزء الأول من "تفسير الأحلام" لفرويد، رغم لغته الصعبة، أما أهم رواية فهي "عبودية الإنسان" لسومرست موم، وكتابين عن رامبو وبودلير، وكتابين باللغة الفرنسية.

شاهدت ١٢٢ فيلمًا، واشتركت في نادي السينما، ومن أهم الأفلام التي شاهدتها "ذهب مع الريح" الملون و"فهرنهيت" ٤٥١".

تخلصت من الكتب التافهة في مكتبتي، وصرت تاجرًا لأول مرة في حياتي، عندما استأجرت من خالي عبد الحليم بدوى محل المانيفاتورة في سوق باب سدرة، وقررت أن أبيع الكتب القديمة، وطوال أربعة عشر يوما لم أبع سوى كتابا واحدا، ورغم فشل التجربة، فقد أمسكت أول نقود جاءتني بسبب اجتهادي.

نجحت هذا العام في الصف الثاني بكلية الزراعة، جامعة الاسكندرية، وانتقلت إلى الصف الثالث، نجحت في كل المواد التي

تخلفت فيها في السنة الأولى، ومواد السنة الثانية دون أن اشترى كتابًا دراسيًا واحدًا. وكان هذا فضلًا كبيرًا من الله.

لا زلت أعاني من مشاكلي العائلية الخاصة، التي أتهرب منها، ولا أميل أن أكتب عنها شيئًا في هذا الدفتر، سافر أخي محسن إلى ليبيا، ومعه عائلته في إعارة تستمر أربع سنوات، وسافرت مرتين إلى القاهرة، لإنهاء تأشيرات خاصة بأخي.

الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٧١

ومات عام آخر من عمر الإنسان، وهأنذا أجد نفسي مجددًا أدون وقائع العام المنصرم في هذا الدفتر.

أنا الآن في السنة النهائية بكلية الزراعة، صحتي لا بأس بها، وإن كنت استقبل العام الجديد بآلام في المعدة، وزكام حاد، أما من ناحية المادة، فالله يسترها والحمد لله.

مجرد سنة عادية، أهم ما يميزها أنني توليت مسئولية الأسرة، عملت مدرسًا لتلميذة في الصف السادس الابتدائي، أذهب من أجلها إلى الحضرة، سيرًا على الأقدام واستطعت أن أدبر عشر جنيهات كل شهر، أشارك بها في إدارة شئون البيت، أمي بخير والحمد لله على ذلك، عاد أخي وأسرته من ليبيا أثناء أجازه الصيف وقضى معنا شهرين، ثم عاد إلى طبرق حيث يعمل..

لا زلت في حالة خاصة من الجفاف العاطفي، لم أجد من توقظ مشاعري، أو من تتفق مع أفكاري، ذات يوم شاهدت فتاة في أتوبيس "٩" الذي يأخذنا من كرموز إلى محطة الرمل، كانت جالسة ومعها النسخة الفرنسية من رواية "دروب الحرية" لسارتر، عجزت أن أخبرها أنني أحاول قراءة الرواية نفسها في هذا الأسبوع، خمنت أنها قد تتزوج جزارًا لا يفهم فيما تحمله من كتب، بينما أظل محرومًا من مجرد التفكير في مثلها، فقد اختفت ولم أرها مجددًا، الآن أحكم على نفسي، فيما

يخص مشاعري تجاه زميلتي الشاعرة، أنني كنت أكثر سذاجة بما لا يتفق مع ما أتصوره عن نفسي من نضج. حاولت في نهاية العام الدراسي أن أعيد شيئًا ما انقطع، لكن الخيط كان مقطوعًا، ورأيتها برفقة زميل لها، لا يكاد أن ينفصلا فعرفت أن الأمر قد وصل إلى نقطة "اللاعودة"، وأنا الآن ما زلت أعاني من جفاف عاطفي، ولا أجد من تتوافق معي، أو العكس.

الراديو الصغير الذي اشتريته في النصف الأول من العام، كان سببًا في أن يرويني عاطفيًا، ظل يلازمني ليل نهار، وهو يصب على الأغاني العاطفية التي تشبعني، وتحسسني بالظمأ، والارتواء معًا.

كان للراديو أثرًا كبيرًا على من ناحية القراءة والتركيز. فأنا لا أذاكر إلا والراديو بجانبي يعمل. أما بالنسبة للقراءة فلا أستطيع الجمع بين الاثنين. ولذلك قلت قراءتي عن السنة الماضية بكثير، حيث لم أقرأ سوى ٧٣ كتابًا، وهو أقل عدد الكتب التي قرأتها في صيف السنة الماضية فقط. وما يعزيني أنها أكثر عمقًا وجدية، وتتفق مع ذوقي الأدبي الجديد، من أهم عناوين الكتب "أبناء وعشاق" لورانس، و"الصخب والعنف" لفوكنر، وهو كتاب أكثر إثارة من الرواية الأسبق، بالرغم من أهمية كل رواية على حدة من توغل في النفس الإنسانية، كما قرأت بالفرنسية بعض الكتب، منها مسرحية "الأيدي القذرة"، لسارتر، والجزء الأول من رواية "دروب الحرية" التي كانت تقرأها الآنسة راكبة الأوتوبيس رقم "٩".

شاهدت هذا العام أربعة وستين فيلمًا، وقد قل ذهابي إلى دور السينما عن العام الماضي، لأنني عكفت فترة لا بأس بها على كتب كلية الزراعة، كي ألخص ما بها، وأعيد الكتب مرة أخرى إلى أصحابها، ومن أهم الأفلام التي شاهدتها "الموت في فينسيا" لفيسكونتي، وقد أثار الفيلم في داخلي الكثير من الأسئلة، حول الموسيقار آشنباخ الذي يعاني من قصور في العلاقات الإنسانية.

أما الفيلم الثاني فهو "راعى بقر في منتصف الليل" لجون شيلزنجر، ثم فيلم "العسكري الأزرق" لرالف نيلسون، وأيضًا فيلم "الهروب من القدر" لشيلزنجر، الذي فيه مشهد رائع، حول رجل يهيم حزنًا على حبيبته في الغابات، يتألم لأنها تزوجت من رجل آخر، أما هي فإنها تعيش أجمل أوقاتها الجنسية مع زوجها الذي فضلته على رجل يحبها، هذه العلاقة تعلمني أن أحب من تحبني، وألا أنفعل حزنًا من أجل من لا يشعر بي.

بلغ عدد الكتب التي في حوزتي ٨٣٤ كتابًا باللغتين العربية والفرنسية.. وانتهيت من تأليف روايتي الجديدة "لماذا"، وهي تعتبر جديدة في صياغتها الأدبية، التي بدأت في اتباعها، بالإضافة إلى المضمون، حيث تدور حول سبعة أشخاص يبدون آرائهم المختلفة في صورة فتاة في العشرين من عمرها، رآهم كل منهم بطريقته، إنهم يمثلون أعمار الإنسان السبعة، من العاشرة حتى السبعين، كي نكتشف في النهاية أنهم الشخص نفسه في مراحل متعددة من العمر، أي أن الإنسان

يتجدد، مع كل ساعة تمر عليه في الحياة، وأتمنى لو اشترك بها في العام الجديد في مسابقة "نادي القصة" بالقاهرة.

لا جديد في عالم الصداقة ، جاءني حسن صبيح بالأمس لقضاء وقت في زيارتي، ورغم أنني أستعد اليوم لامتحان نصف الفصل الدراسي، إلا أنه ظل معي حتى الساعة الثانية والنصف، هو الآن أفضل أصدقائي وأكثرهم قربًا مني، بعد أن انقطعت علاقتي بسالم، الذي عرفت أنه تم تجنيده بعد حصوله على دبلوم التجارة، واكتسبت صداقات جديدة تمثل كل من السيد زكي، إبراهيم، حسن الذين يسكنون أطراف كرموز، أنهم ثلاثي بالغ الطيبة، والمرح، كم ذهبنا معا إلى شاطئ المندرة وقضينا أوقاتًا سعيدة، واستمعت إلى إبراهيم يروى لي عن جارته حبيبته التي يكتب لها قصائده الملتهبة.

ما زلت أرى الحياة في الجامعة مليئة بالتناقض، لذا فأنا أعيش على الهامش، حاولت ممارسة بعض الأنشطة الثقافية لكنني لم أستمر، حررت مجلات حائط ناجحة بعنوان "الغاضبون" استوحيت عنوانها من كتاب نشره كامل زهيري في "كتاب الهلال"، وتوطدت علاقتي أكثر مع أمين اللجنة الثقافية الدكتور إبراهيم حمادة الذي ترك أثرًا قويًا في شخصيتي.

الثلاثاء ٩ يوليو ١٩٧٤

بلغت اليوم سن الخامسة والعشرين، مبلغ لا يستهان من العمر، ماذا فعلت حتى الآن، لا شيء، بكالوريوس زراعة وتجنيد في الجيش، إذن لم أحقق شيئا، فتحت عيني صباح اليوم على عقارب الساعة، إنها الخامسة والعشرين، إذن أنا فاشل الآن حتى أحقق لنفسي ما كنت أصبو إليه، كل ما أوده ومستقبلا أدبيًا، ونجاحًا فنيًا، وفكريًا بدرجة طيبة تجعلني أرضى عن نفسي.

بكالوريوس الزراعة إذن ليس شيئًا بذي بال، وليس هدفًا لي..

من أنا الآن؟

لست أكثر من إنسان لم ينجز شيئًا، لا أمتلك مليمًا واحدًا، لا أنوى الزواج في الفترة القريبة القادمة، ربما إلى أن أعثر على من أبحث عنها، إنسانة هادئة، طيبة، مثقفة، على درجة من الثراء، وجميلة. الجمال صفة مهمة في الأنثى، أنوثتها، ملامحها، لذا لا أنوى الزواج قريبًا. لم أمارس الجنس حتى الآن، وهذا أفضل بكثير. انحصرت علاقاتي في لمس أجساد ثلاث فتيات بدرجات مختلفة، أتعمد أن أرفض أي تجربة جديدة تمس بكبريائي، لذا انتهت كل قصصي، مع جارتي، ثم مع زميلتي، ولا زلت أنتظر، ربما تأتى ملهمتي الجديدة، وقد لا يحدث ذلك.

أكسبني الجيش نوعًا من الجفاف العاطفي، العلاقات في الجيش بلا روحى ، الحياة في الجيش غريبة، لذا أتمنى أن تنتهي مدة تجنيدي وأنا محتفظ برومانسيتي، لذلك فأنا ما زلت أسير الجفاف العاطفي، وبالتالي من جفاف إنساني، وليكن الله في عوني.

علاقاتي في المنزل كما هي، أخي محسن قضى أربع سنوات في ليبيا، شب أبناؤه قليلا عن الطوق، لا زال يسكن في المنزل نفسه، الذي نعيش فيه، ولا زلت أحبه بالدرجة نفسها، أحترمه، وأكن له درجة التقديس إياها.. يعمل مصطفى الآن بشركة مصر للتجارة الخارجية أتاحت له وظيفته أن يتحرك بشكل أفضل، إنه يختلف عني، فهو يحب الإسراف، ويدخن، ويرتاد المقاهي، أما نعمة الآن، فهي أفضل من ذي قل، ربما لأنها صارت أكبر سنا، أو لأنها مريضة بالقلب، خرجت من المستشفى منذ شهر بعد إخراج كيس دهني، أمي تجاوزت سن الستين، لا تزال تتمتع بصحة طيبة، رغم أنها تشكو من السكرى، والسعال المستديم، أم محسن تعلمت من الفقر الشديد أن تكون حريصة، لقد أورثتني الفقر، وتشبعت منه.

ثم تجنيدي في السابع من أكتوبر عام ١٩٧٢، عشت فيه حياة قاسية خشنة، في أول الأمر ذهبت إلى مركز التدريب في الجبل الأحمر، وفترة تدريب راقية، ثم تم ترحيلي إلى الغردقة، أعاني الأمرين، من زملائي الذين جندوا معي، لم أجند كضابط احتياط، ربما بسبب نظري الضعيف، جندت كجندي، ولم تتم ترقيتي حتى الآن، أما دخلي المادي فهو

محدود للغاية، رغم شعوري الوطني العالي، إلا أن الحياة قد تعلمك أن الآخرين أنانيون، وأن الموت إذا جاءك أولًا، فخذه، فربما لن تناله مرة أخرى، علمتني الحياة أن النفس الإنسانية في الظروف غير الطيبة تجعل البشر ينهشون لحوم بعضهم البعض، وربما أكتب رواية باسم "سلام سلاح" أروى فيها وقائع أيام التجنيد.

في هذا المكان عشت شهرًا ونصف أثناء حرب أكتوبر، مات زملائي الذين خرجوا من الغردقة إلى سيناء، ولم يعودوا أبدًا.

أصدقائي الآن، هم حسن صبيح، محمود سالم، السيد زكى. حسن صبيح، يزداد احترامي له، ومحبتي يوما وراء يوم. أحس أنه مكافح مثلي، وبيننا الاحترام المتبادل، سالم إنسان طيب، صالحته منذ عدة أشهر، وربما عام تقريبا، ازدادت أسرته ثراء، ولم يتغير كثيرا، نخرج أحيانًا للتمشية. هو حكاء، وملئ بالتلقائية، يحدثني عن الأموال التي يمتلكونها، يبدو أكثر خبرة منى، قام بأداء العمرة مرتين، السيد زكى كان صديقا لسالم، ومن هنا ازدادت الصلة بيننا، وتنامت صداقتنا مع الأيام، إنسان طيب وبسيط، تخرج في كلية التجارة، وتم تجنيده في العام الماضي.

لا زلت مولعًا بالأدب، ولا أتصور نفسي بدون الكتب، لذا اقرأ هذه السنوات كثيرا، آخذ معي الكثير من الكتب لقراءتها في المعسكر، كما أنني أكتب بين الحين والآخر، أجد اهتمامي ينحصر في المقام الأول في

الرواية والسينما فقط، قرأت حتى اليوم ٨٩ كتابا، من أهمها في الفترة الأخيرة "مدام بوفاري"، و"الفولكلور في العهد القديم" لجيمس فيرزر، و"دراسات في الاتجاهات الحديثة للرواية"، و"بابيت" لسنكلير لويس، و"لورد جيم" لجوزيف كونراد، أما أفضل ما شاهدته من أفلام، فهناك "مولى ماكجواير"، "الأب الروحي"، و"الأصدقاء".

كما قلت، فإنني استيقظت من النوم، ونظرت إلى الساعة، وأنا أبلغ الخامسة والعشرين واكتشفت أنني لم أحقق شيئًا، ولا يسعني الآن سوى أن يكون لدى الأمل في أن نعمل على تحقيق آمالنا، وطموحاتنا..

الأربعاء أول يناير ١٩٧٥

لم أحتفل بالعام الجديد منذ ثلاث سنوات، بالأمس احتفلت بهذه الليلة مع بعض الزملاء من الجنود والضباط بالغردقة، لا زلت مجندًا منذ أكثر من ستة وعشرين شهرا، لم يعجني هذا النوع من الحياة، وأنا الذي أحب الحرية على طريقة جان بول سارتر.

حياتي العاطفية في خواء خاصة بعد أن قيلت الكلمة الأخيرة في علاقة الشاعرة التي تزوجت من زميلها مصطفى، لن أنكر أنني أحببتها، وأنني فرضت عواطفي عليها، وافتقدت إلى الذكاء ، القصور في تجربتي لا يرجع إلى فشل مني بقدر ما هو إن الظروف لم تهيأ لي أن أتزوج بمن أحب.. أنا سعيد أن علاقتي قد انتهت، رأيتها في الحلم منذ عدة أشهر تشكوني أنني سرقت منها شيئًا ثمينًا، فأعدته إليها، لم أتأكد ماذا يكون هذا الشيء، لا زلت أفكر فيها بين وقت وآخر.. إنها حالة مرضية تصاحب الفراغ العاطفي دومًا.

لم تتغير خريطة أصدقائي حتى الآن، حسن صبيح، ومحمود سالم، والسيد زكى، اكتسبت منذ عدة أشهر صديقًا في الجيش، ما لبث أن نقل إلى مكان آخر، اكتشفت أن هذا النوع من الحياة لا يبقى على أصدقاء دائمين، صبيح يعمل مهندسا في قسم الفاكهة بزراعة الاسكندرية، لا زلنا متفقين في الكثير من الأمور، ولا زلنا يحترم كل منا الآخر.

بلغت أمي الثانية والستين، أتمنى لو أرد لها شيئًا من الدين، لا أنسى قط كيف تألمت وبكت حين سافرت إلى البحر الأحمر لأول مرة، كأنني سأذهب بلا عودة، ولن أنسى أبدًا يوم أن عدت بعد انتهاء الحرب بعدة أسابيع، راحت تصرخ وهي تنزل السلم ، ارتفعت نهنهتها مناديه باسمي وأنا أبتسم في هدوء، عانقتني، وبكت، لم تبخل على قط بمال. سقطت منذ عدة أيام من فوق السلم، وذهبت معها إلى مستشفى الجمهورية، لتجبيرها، وهناك قابلت جارتي التي أحببتها وأنا في الرابعة عشر، أمسكت بيد، وهي لا تصدق أننا قد نلتقى مصادفة، تكلمنا لأول مرة معًا، بدت جياشة وهي تراني، واهتمت بأمي كثيرا، وعدت إلى المنزل مع أم محسن، غير مصدقا ما حدث..

مصطفى الآن في أحسن حال، دخله كبير، ومصروفه أيضا، تغيرت أموره، فصار يأكل، ويرتدى ملابسه بشكل أفضل، لا يميل إلى حمل المسئولية، رغم تحسن ظروفه، يدفع أربعة جنيهات للبيت كل شهر، كما أنه يدبر الفواكه وأشياء أخرى للمنزل، غير ناجح عاطفيا، وأن كان قد عرف أكثر من فتاة، ومنهن جارة لنا سبب لنا مع أهلها الكثير من المشاكل واشترى لها شبكة بأكثر من مائة جنيه، يحب أمه كثيرا. يمنحني ملابسه أحيانا، اشترى لي منذ عدة أشهر بنطلونًا بدلا من بنطال سرق منى في الوحدة، حاولت أن أتخذ منه صديقا وما زلت أحاول.. فالأمر ليس سهلا.

أما أخي الأكبر، فأكن له الاحترام والمودة على أساس أنه الأكبر، وهو الذي علمني الكثير، وأعطانا المزيد، قد يحدث بعض الاختلاف أحيانًا، إلا أنني من الطراز الذي لا يسعى إلى اتساع الهوة، هو من الطراز التقليدي، متعلق بالقديم، يؤمن بالحسد وأن الآخرين قد يسعون لا لحاق الضرر به، وأنه محط أنظار الناس، ومع مرور الوقت، بدأنا ننفصل عنه، وعندما تحسنت أحوال مصطفى بدأ يترك له المسئولية، فإن أحوال الأسرة على ما يرام، أحاول أطاعته دوما، ربما حتى لا يعتقد أنني أخ عاق، في بعض الأحيان قد تتوتر العلاقات معه، ولكنني أحبه دوما، ولم يحدث بيننا شيء قط يستحق الندم..

نعمة، تحسنت كثيرا عما سبق، دخلت المستشفى منذ عدة أشهر وزرتها عدة مرات، تجاوزت سن السابعة والعشرين ولم تتم خطبتها بعد، كان الله في عونها، أما فتحية فقد رزقها الله بستة أبناء، صارت ضامرة، وتزداد وأسرتها عوزًا، أزورها دومًا، ولن أنسى قط استقبال زوجها لي عندما عدت من الحرب، كان شديد القلق على مثل زوجته، ربما أكثر من أخ، أتمنى أن أراها في أحسن حال، بالغة البساطة والطيبة، ولذا أحبها أكثر.

لا أنسى أيضًا عندما استقبلني خالي عبد العظيم عند عودتي من الحرب، وزوجته أم محمد، أحب أولاده الصغار، مثلما يحبونني، خالي محمد تاجر المانيفاتورة يحبني كثيرًا، وأحترمه، عمى عبد الحليم لم يسال عنى قط أثناء وجودي في البحر الأحمر، خاصة ابنه أحمد الذي

عين معيدًا في كلية العلوم. كنا يومًا الأكثر تفاهمًا، لم نكن نفترق إلا قليلًا، ثم بدأنا نتباعد، ولم أره منذ عامين، لكن لا أنسى لعمى الأسبوع الذي استضافتني فيه وسط أسرته وأنا في الثانوية العامة. قابلت أحمد عبد الحليم منذ حوالى شهر مصادفة، حاولت تجنبه لكنه صالحني، وتمشينا قليلًا وتبادلنا الحوار في أمور كنا نتجادل فيها، واستمتعنا بلذة النقاش.

تخرجت في كلية الزراعة عام ١٩٧٢، وأثناء وجودي في الجيش، تم تعييني في الشعبة القومية لليونسكو التابعة لوزارة التعليم العالي، وهي وظيفة جيدة أهداني الله إياها، تقع في حي الدقي بالقاهرة.

لكنني حتى الآن، لم أكسب مليمًا واحدًا، لم أحب أيامى في المعسكر، حريات مكبوتة، الدنيا تتمثل في أوامر من هم أقدم منك، عندما ضايقني الإحساس بأنني محاط بكل هذا القدر من الأمور، وأن ما يحدث من حولي يتناقض مع ما قرأته في كتب سارتر، خاصة في سيرته الذاتية "الكلمات" فكرت في الانتحار، لكنني لم أجرؤ ولم أكن شجاعًا، وكانت فكرة سخيفة، ومرت فترتها بسلام، إنها الأيام الأولى من وجودي في مركز التدريب، كنت أخرج من المعسكر بين الفترة والأخرى، لمشاهدة الأفلام في مصر الجديدة، أو أقرأ كمحاولة للتوائم مع ظروفي، عشت صلعوكًا يقفز بين القطارات، ويهرب من المحصلين، والتخفي من الشرطة العسكرية، والهروب من الخدمات الليلية، وجاء نصيبي أن أذهب إلى الغردقة، في البحر الأحمر، كنت أعتقد أنها أكثر بعدًا من

القمر، عشت في الغردقة أكثر من عام، بعيدًا عن المدينة التي أحبها، لا يوجد سوى الرمال والسماء، الأوامر، والحياة الرتيبة، واللاسلم واللاحرب، صادقت بعض ضباط الوحدة ، محبوب على مستوى الزملاء ، أقضي أغلب وقتي إما في القراءة أو الكتابة، قرأت هناك أكثر من مائتي كتاب في عام واحد، وهناك عشت تجربة حرب أكتوبر، كانت الحرب بعيدة عنا، لكن جنودًا من كتيبة الإشارة شاركوا في الحرب، عشت أيامًا قاسية وظللنا أشهر بدون أجازات، كنت أحترق، الجيش مدرسة للعلاقات الإنسانية، التعامل مع الآخر يأتي بشكل مباشر، تحاسب على خطأ هذا الآخر. لذا فالخصومات تتولد، والمصالح، قابلت أنواعًا من البشر لم أستطع التآلف معهم، رأيت كيف يتصرف البشر في أدنى حالاتهم، يفعلون أي شيء مقابل تصريح أجازه، لم أنزل إلى مدينة الغردقة مرة واحدة طوال أقامتي هناك، قالوا إنني ذو ابتسامة دائما. هكذا وصفوني في الجامعة، وهكذا أعجبت بي زميلتي الشاعرة، وهايدى، وهكذا وصفوني في الجيش، ميزة كبيرة أتمنى أن تدوم. من الذين احترمتهم وتعلمت منهم في الجيش رقيب متطوع ماهر الحسيني، كفاءة يدوية ونضوج فكري وأخلاق حسنة، علمني كيف أستخدم يدي في مهارات آلية، بجانب استخدام الذهن ليكون المرء في أحسن حالاته.

نعم، قرأت كثيرًا جدًا أثناء وجودي في الجيش، في مختلف المعارف والثقافات، في الفلسفة والتاريخ والأدب، والدين، والمسرح، والعلوم، بعد عام ونصف كتبت رواية إباحية باسم "العادات السرية"،

هناك كتب بعينيها علمتني كيف تكون الحياة، على رأسها "أسطورة سيزيف" لألبير كامي، الذي صار كتابي المفضل الأول، تعلمت منه أن الحياة عبث، وبلا معنى، أعجبتني مسرحيات يوجين أونسكو، وكتابات هارولد لاسكي، في السياسة، ورواية "المنارة" لفرجينيا وولف، وكتاب عن دوستويفسكي تأليف رينيه لينيل.

نتيجة لوجودي في البحر الأحمر، لم أشاهد المزيد من الأفلام، عشرين فيلمًا فقط طوال عامين، كتبت مقالًا عن الأفلام اللامضادة، أي التي تساهم في تغييب الشعوب، وأرسلته إلى مجلة السينما، ولم ينشر. ترجمت أقاصيص لهيمنجواى، ومسرحية "الأيدي القذرة" لسارتر، و"الطابور الخامس" لهيمنجواي، قرأت الكثير من الكتب باللغة الفرنسية، مثل "الأحمر والأسود" لستندال، و"وداعًا للسلاح" أكثر من ثلاث مرات.

لا أستطيع أن أكتب عن كل شيء حدث معي طوال ثلاث سنوات، ويهمني أن أقول إنني متدين بعقلي، وتربطني بالذات الإلهية قوة فكرية عظمى، أتمنى أن تزداد مع الزمن..

الأربعاء ٣١ ديسمبر ١٩٧٥

قال لي أحد زملائي اليوم، وبدون داع: على فكرة.. أنت نقى، لكن فيك نوع من الهبل.

قلت له مصححًا: ليس هبلًا، إنه خفة حركة، يحكم الآخرون عليها خطأ.

واقتنع.

قال عنى ماهر وعبده في الجيش كلامًا مشابهًا، كل من اقترب منى في الجامعة والوظيفة، والجيش قالوا إنني طيب، ونقي.

أسوق هذا الكلام وأنا أتحدث عن العام الذي "يموت" الآن، ويلحق بالأعوام السابقة إلى مقابر الذاكرة، ينزلق رغم أنوفنا، بشره وخيره.

قد تتاح لي فرصة دخول تجربة عاطفية رقيقة، ليست الأنثى التي في طريقي الآن بالطويلة، أو البيضاء، أو المثقفة، لكننى أحس أن بها صفات كثيرة كنت أبحث عنها في الأنثى التي أتمناها، خرجت من الجيش، أصبحت أكثر حرية، لم أوفق بعد في حياتي الأدبية، رغم أنني نشرت أول مقالاتي في عدد أبريل هذا العام من مجلة "السينما"، بدأت أحاول رد بعض الدين للمنزل، قضيت نصف السنة، وأنا على قوة الجيش، أتوق إلى الحرية، عرفت فيه الكراهية لشخص كما لم أكره

إنسانا في حياتي، وأحببت فيه شخصا لم أجد له مثيلا.. الأول اسمه عبد الوهاب، شديد البخل، بالغ الدناءة، والثاني هو ماهر الحسيني، مثال للأخلاقيات، وحسن السيرة، والمهارة لذا اعتبرته مثلي الأعلى..

اكتسبت في الجيش الكثير من الصداقات الطيبة، على رأسها خميس من أسيوط، والضابط أحمد بركة، أما المقدم محسن كريم فهو من أهم الشخصيات التي تركت بصماتها على في هذا العام، في الثانية والثلاثين، مثقف، راقي في كل ما يفعله، علمني حسن الاستماع، عندما نشرت أول مقال في حياتي، قدمته له، وباعتباره رئيس عمليات الكتيبة، منحني ثلاثة أيام زيادة بالإضافة إلى أجازتي الشهرية، كي أنزل إلى القاهرة لمتابعة نشر المزيد من المقالات، اتصلت به في الهاتف، وسألته أن يوقف الإجازة حتى لا يثير ذلك غيظ زملاء لي، فحدثني بحدة أن هذا أمر واجب التنفيذ.

استمرت علاقتنا بعد خروجي من الجيش، زارني في اليونسكو، ودعاني لمقابلته في نادى التوفيقية وهناك قدم لي زوجته.. مهندسة، متحدثة لبقة، واجتماعية، أعربت عن إعجابها بمقالي حول السينما.

هطل المطر بشدة فوق الغردقة في أواخر فبراير، ونزلت أجازتى عن طريق قنا، رأيت الصعيد لأول مرة.. تجولت في قنا، وفي أول يونيه نزلت إلى نفس المنطقة مجددًا وزرت الأقصر، لمدة ثلاثة أيام وأعجبني الصعيد، كان سبب السفر هو شراء هدايا لحفل نهاية فترة التجنيد.

كانت فكرة الاحتفال بيوم الماركوني من أهم الأحداث، التي كنا ننتظرها كل شهر كي نحتفل بها نحن أفراد الطاقم، برئاسة ماهر، نضحك ونغني، ونصفي قلوبنا على شرف طعام يعده ماهر ونحس أننا جميعًا نعيش في صفاء، لذلك أعجبت بماهر. وفي يوم الماركوني الخامس والأخير كنا نستعد لمغادرة الغردقة، ويومها تبادلنا عبارات الوداع، والإعجاب والتهاني، وفجأة قام أحدنا بتشغيل المسجل على أغنية "الوداع" لشادية إنها نفس الأغنية التي غناها مسجل آخر في حفل الوداع الذي أقمناه في اليوم الأخير لنا بكلية الزراعة، فسببت لي المزيد من الشجن. عندما سمعنا الأغنية نفسها في يوم الماركوني، رأيت ماهر ينظر نحوى، وجدت نفسي فجأة أجلس فوق الدرج وأجهش بالبكاء كالأطفال حتى هدأت بعد فترة، وفي صباح اليوم التالي ركبت الأتوبيس دون وداع للآخرين، لأنني لا أكره شيئًا قدر هذه اللحظات، ركبت الأتوبيس لعدة ساعات، اعتراني خلالها إحساس شاعري غريب، بالعالم الذي أنا مقبل عليه.

التقيت بزميلتي الشاعرة في الخامس من مارس، رأتني وهي تقل ترام الرمل، تجاهلتها كعادتي، بدت مشدوهة، وانتابني ارتياح ولم أرها بعد ذلك، حلمت بعد عدة أشهر أنها جاءت مع خطيبها كي تصالحني وأحسست يومها بالسرور بأن عقدتي، والنحس الذي كان يلازمني قد تلاشيا.

استلمت وظيفتي في القاهرة يوم الأول من يوليو، وتمردت عليها بعد ثلاثة أيام من استلامي لها، أنها عمل روتيني وكتابي، ولن تمنحني كادر المهندسين الزراعيين فضلا عن ضآلة مرتبها، لذا كم حاولت طوال الأشهر الماضية البحث عن عمل آخر يتلائم مع طبيعتي وشهادتي، لقد جئت إلى القاهرة كي أبحث لنفسي عن مكانة في عالم الأدب.

حصلت على شقة في منطقة أبو قتادة، يؤجرها قريب لأسرتي متطوع في الجيش، هو عبد السلام الضليفي، رجل كريم، وبالغ الرقة، لذا فأنا أعيش في القاهرة منذ أول يوليو، عيشة العازب غير طيبة بالمرة، لكن القاهرة تستلزم المزيد من النقود، وإلى صديق، وصديقة، تعرفت على سعيدة في المترو ولم أرها بعد ذلك، كما تعرفت على سوزي والتقينا أكثر من مرة، وخرجت إلى المدينة وشاهدت الأفلام الجديدة.

في العمل، لم أكتسب صداقات عميقة، سوى مع عامل التليفون عاصم، كونت مجموعة من الشباب تضم أميمة وسامية وأسماء، توطدت أواصر العلاقات بيننا رغم كرهي الشديد لهذا النوع من الوظيفة.

لا تزال علاقتي بحسن صبيح طيبة كسابق عهدها، رغم أنه انشغل كثيرًا في مهنة التصوير، والدراسة، إلا أننا نلتقي بين الوقت والآخر، أما سالم فقد زادت علاقتي به، وكنا لا نفترق عند نزولي إلى الاسكندرية، وفي الفترة الأخيرة لم أعد أراه، لقد تحسنت أمور أسرته في التجارة، وتشييد العمارات الجديدة، وأصبحت مشاغله كثيرة.

قرأت الكثير من الكتب في النصف الأول من العام، وبعد أن عدت إلى الحياة المدنية، لم أقرأ كتابًا واحدًا، بلغ مجموع ما قرأته حتى منتصف يونيه واحد وخمسين كتابًا، أما الكتب الثانية التي قرأتها في الفترة الباقية من العام فليست لها أي قيمة ثقافية، مشاغلي في القاهرة، وعدم استقراري بين القاهرة والاسكندرية جعلني لا أقرأ كثيرًا، وبدأت في الثاني والعشرين من يونيه في كتابة روايتي الجديدة "أوديسانا"، ولم أنجز منها حتى الآن سوى عشر صفحات لا أكثر..

تعتبر رواية "دكتور زيفاجو" أهم ما قرأت تقريبًا، ولم أشاهد سوى ثلاثة وعشرين فيلمًا عالميًا، ومن أجمل ما شاهدت "الحى الصيني" لبولانسكي، و"الناب الأبيض" عن رواية لجاك لندن، و"الموت حبًا"، أما الفيلم المصري الذي شدني فهو "لا شيء يهم"، و"على من نطلق الرصاص"، أديت امتحان القبول في معهد التذوق الفني، وأغلب الظن أني لن أقبل فيه لكثرة العدد المتقدم، وكثرة الوسائط.

أعيش حالة أشبه ببطل إحدى القصص القصيرة، التي ترجمتها عن هيمنجواى، حول خواء يعيشه أحد الجنود بعد عودته من الحرب.. لا أعرف ماذا أفعل، وأسعى لإيجاد صحبة، لا تهمني مسألة الزواج بالمرة، وإن كان يهمني أن أعيش تجربة عاطفية، كان من الممكن أن تكون فتاة المترو هي المنشودة، إلا أنها هربت منى بسبب اختلاف العقيدة، فعانيت من حاجة لعاطفة رقيقة، حدثتني أختي فتحية أكثر من مرة في أمر الزواج من إحدى بنات العائلة، ألحت أكثر أن صفات البنت طيبة،

وأنها مؤدبة وجميلة، ترددت كثيرًا، فهي لا تزال تلميذة وليست فتاة أحلامي، وأمام الحاح أختي التي أحبها كثيرًا اقترحت أن أشترى الدبل، وأن يتم ذلك بعد انتهاء دراستها، وترددت عليهم بصفتي مدرس لغة فرنسية، وبدأنا نتقارب، رحت أنتظرها وهي عائدة من المدرسة، وأحسست بالرغبة لرؤيتها وأنا في القاهرة لكنني لم أحبها بعد.

الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٧٦

بالأمس مات خالي عبد الحليم..

ماتت أمي منذ شهرين تقريبا، يعكس هذا إلى أي حد كان هذا عامًا حزينًا، مقترنًا بالموت، موت أمي بالنسبة لي حدث لا يمكن أن تعبر عنه الكلمات، فأنا لا أصدق حتى الآن، أنها غادرت البيت دون أن تعود إليه، وأن هذا المنبع العظيم من الحنان والحب والحيوية، والتدفق، قد تلاشي من الوجود، لم أحب أحدًا مثلما أحببت أمي، أعرف تمامًا أنها في رحلة وستعود، لذا لم أقم بزيارة مقبرتها حتى الآن، دائم الصلاة من أجلها، لا تتلاشى صورتها من أمامي، طيبة، جميلة، متدينة، كانت تحبني إلى درجة لا يتصورها عقل، كانت كل أمنيتي أن أرد لها بعض الجميل، وأن أنتزعها من حياة الفقر التي عشناها كل هذه السنين، لذا قليلا ما عصيتها في السنوات الأخيرة، هي ابنة واحد من الأزهريين المتدينين بقوة، أمية لا تجيد القراءة والكتابة، تستمتع إلى قرآن السادسة صباحًا، وتحفظ القرآن بالسليقة دون أن يقوم أحد بتحفيظها، تردده مع إذاعة القرآن الكريم منذ الصباح، حتى تغلق المحطة بثها في الحادية عشر مساء، إنها امرأة مباركة، عاشت بالبركة، تملأ البيت بالقرآن والصلاة والأدعية، عندما سافرت معي إلى القاهرة لمدة ثمانية عشر يومًا، تحول مسكني إلى كتلة من البركة والخير المتدفق، ذهبنا معًا إلى المسجد الزينبي، وإلى مسجد الحسين، ملأت المكان حبًا وحيوية ونشاطًا.

هذه الأم انتقلت إلى جوار ربها، ولا زلت غير مصدق، أصابها مرض سريع، فأخذها دون أن تعاني طويلًا من الأمراض المزمنة، لم أحضر جنازتها، وهذا أفضل، من يومها وأنا دائم الصلاة، وقراءة القرآن الكريم، بدأت في المواظبة على الصلاة، كي أجعل من موتها نقطة تغير في حياتي، عدت إلى المنزل من السفر، فلم أجدها، فانهمرت في البكاء، وحدث ذلك أيضًا يوم أن وجدت نفسي عاجزًا عن زيارة مقبرتها صباح عيد الأضحى، فأنا لا أحتمل رؤية مقبرتها حتى لا أصدق أن أمي قد ماتت.

إنها تسهر حتى الفجر، تقرأ القرآن، ونحن نيام، أسمعها تسعل كأن شيئًا ما في جوفها، عندما خرجت معها إلى المستشفى الأميري، نظرت إلى المنزل لآخر مرة، كأنها تعرف أنه يحتاج الكثير من النقود، فالأمل معقود، قرأ الطبيب الإجابة في وجوهنا، فنحن أسرة فقيرة، لا تستطيع أن تدبر، ولا أن تطلب دينا، وليس لديها شيء يباع، أخذوها إلى غرفة العمليات، خرجت، وقد عملوا فتحة في رقبتها، بدت كأنها تضع صفارة هناك، صارت تتكلم إلينا بعينيها، لم أحتمل منظرها، وجدت أن عودتي للقاهرة لحضور امتحانات الدبلوم في كلية الإعلام وسيلة وحيدة للهروب من رؤية أمي على هذا الحال، جاءتني برقية سلمتها لي جارتنا على استحياء.. رددت قبل أن أقرأ البرقية "لقد ماتت"، وعدت إلى الاسكندرية، ولم ألحق جنازتها، لم يكن لدينا المال لعمل صوان، وأقمنا العزاء في شقة خالي عبد العظيم، وبكيت على كتف عمى عبد الحليم، ورحت أعاتبه كأنني أسأله لماذا تركوها تموت.

بالأمس مات خالي عبد الحليم بدون بعد مرض ألزمه الفراش أسبوعًا، لم يصدمني موته كثيرًا، فموت أمي قد أشبعني حزنًا وصدمة، عقب رحيل أمي بأسبوع لحقت بها ابنة عمتها حميدة، وقبلها بشهرين زوجة عمى محمد قاسم، بعد وفاة أمي بأسبوعين كنت في مأمورية انتخابات مجلس الشعب بمحافظة الشرقية، ورأيت كيف يعيش المصريون ديمقراطيتهم الكاذبة، وكيف يمكن لناخب أن يدخل نفس اللجنة أكثر من مرة ببطاقات هوية مختلفة، في المساء، انزلقت بنا العربة التي تحمل الصناديق نحو الترعة، ووسط الظلام راح كل منا يبحث عن وسيلة للخروج من نافذة الحافلة، ورأيت الموت وجهًا لوجه، وحدث ما لم يصدقه عقلي، حين استطعت أن أسبح في مياه موحلة، وفي يدي نظارتي، وفي الأخرى راديو، وكنت أول الناجين، انتابتني نوبة ضحك وسخرية العائد إلى الحياة، وارتفعت روحي المعنوية، وعندما وصلت إلى المستشفى تقدم شخص نحوى وقدم لي حقيبتي السوداء، التي تحدت قانون الطفو، وطفت فوق سطح الترعة، فتحت الحقيبة، وأخرجت ملابسي الجافة، وشعرت أن قرينة نعمة كانت إلى جواري، تساعدني، وعدت في اليوم التالي إلى القاهرة بعد أن عرفت طعم الموت، في نفس اليوم، حدث في الاسكندرية أن تعرض وجه نعمة للحريق، ولا تزال تعالج مما حدث لها.

هذه بعض المآسي التي طلت علينا خلال هذا العام، لا تزال أمور كثيرة دون أن تتغير، اعمل في الشعبة القومية للونسكو، لم يتغير وضعي المالي كثيرًا.. بدأت نعمة تقوم بدور الأم والأخت في المنزل، تغيرت

بشكل ملحوظ، بينما انشغل مصطفى بأموره الخاصة، أما أخي الأكبر فقد قل اهتمامه بنا، بعد أن كبر أبناؤه وبعد أن صرنا نحن ناضجين، تأثر مثلي كثيرًا بموت أمه.

فشلت خطبتي لإحدى بنات العائلة، حاولت أن أجعلها تفكر وتعيش، إنها أصغر من أن تتم خطبتها، مرتبطة بأبيها كثيرًا، طلبت هي فسخ الخطة عقب معاملتي معها بعنف، وبدا الأمر كأنه على هوايا، حاول البعض إعادة المياه إلى مجاريها لكن يبدو أنه لم تكن مياه من الأصل.

تعرفت على عدد كبير من الفتيات، صداقة مع أحلام التي تعرفت عليها في معهد التذوق الفني، وسوزي التي قابلتها في مترو مصر الجديدة منذ عام.. وأيضا بشرى زميلتي في كلية الإعلام، الأردنية الميسورة الجميلة صداقة زميلتي اعتدال في المعهد الايطالي، وعزة في نفس المعهد، وأيضًا كل من ديدي، وميرفت ونادية.

ديدي كانت مريضة في السرير المجاور لسرير أمي في المستشفى، زارتنا في المنزل منذ أسبوعين، ثم زارتنا في الموعد الذي آتي فيه من القاهرة، قبلتها في أول يوم التقينا فيه، شعرت بارتياح شديد ناحيتها، وتجاه أسرتها، وهي راقدة فوق فراش المرض، إثر إجراء عملية زائدة دودية، تبدو ودودة، وبيننا بعض المودة، تأمل أن تتزوجني، مثلما وعدتها نعمة أن يحدث، لا أعرف هل أنا صادق معها أم لا، تبدو كأنها مرت ببعض التجارب، وحديثها كله كلام إنشاء مما يجعلني أنساها بمجرد أن

تذهب هي جميلة، وخفيفة، ومليئة بالحيوية، بالطبع جميع من أصادقهن جميلات مثل عزة، واعتدال، وبشرى، وأحلام، وسوزي، ووفاء.

مينرفا رئيستي في العمل، متزوجة، ترتدي ملابس لا تظهر أي جزء من جسمها، (محجبة)، تصلى، مثقفة، لم أتصور أنها يمكن أن تكن لي المشاعر التي بدأت أراها في عينيها، وسلوكها، تدافع عني في كل مكان، تعصبت على أكثر من مرة، مع أنها هي الشيء الذي يمتلك تفكيري في الأيام الأخيرة، ربما لأنني وددت أن أنقل من القسم، فتمسكت بي، وراحت تدافع عني، وهي تهيمن على العمل بتسلط ورقة.

أما نادية فهي الفتاة التي يمكن أن تكون ملهمتي الجديدة، مثل الشاعرة التي عرفت أنها تزوجت، انها زميلتي في المعهد الايطالي، على جانب ملحوظ من الجمال والرقة والثقافة، في كلية الطب بالسنة الثالثة، أنيقة، أبوها الليبي شديد الثراء، وأمها ايطالية، وددت أن يحدث بيننا شيء يقربنا كثيرًا. فتعمدت في البداية أن أضايقها بشكل غريب، بدأت تجلس إلى جواري، وصارت زميلتي، وأخذنا نتقارب، شعرت أنها الفتاة التي بحثت عنها سنوات طويلة، صارت تأتى إلى المعهد من أجلى، وليس من أجل أن تتعلم اللغة لتتواصل مع أمها الايطالية، كانت تحضر وهي في أشد حالات المرض، جاءت يومًا من المستشفى إلى المعهد مباشرة، آنذاك لم تكن تذهب إلى الكلية، وانقطعت عن مواصلة دروسها من أجلى، سألتها أي هدية تفضل بمناسبة شفاءها، في البداية رفضت، ثم قبلت، وبدت سعيدة بالمصحف الذي اشتريته لها، قدمت لها دراسة

عن الجانب الشخصي الإنساني، الذي اكتشفته فيها، وكتبت لها رسالة، بدأتها بعزيزتي نادية، غصت فيها إلى أعماقها، بدت نهمة للغاية، وهي تقرأ الرسالة، وتحولت في أسابيع قليلة من شخص كتوم إلى ضحوكة، بالغة الظرف، وبدأنا نتعامل كصديقين حميمين، وكم أدعو الله كثيرا في هذه الأيام أن يوفقني في تجربتي مع نادية.

أصبحت محبوبًا في وظيفتي، من الجميع تقريبا، يسمونني "زعيم الشباب"، استطعت أن أضفي من شخصيتي المرحة المنطلقة على نظام العمل، كونت مجموعة من الشباب، خرجنا معًا في رحلات إلى القناطر وحلوان والفيوم، مما جعلني أرمى التمرد على وظيفتي أرضا.

وبدأت أعمل برضاء شديد تحت ريادة منيرفا. وازدادت علاقة الزمالة مع كل من أميمة وسامية، ورضا، ومحمد، وعبد العزيز ثم عاصم، عملت بقسم الاعلام في أول العام مع منيرفا، جادة في العمل بشكل ملحوظ، حدث بينها وبيني أكثر من صدام خفيف حول العمل، فاستطعت أن أكتسب خبرة لا بأس بها، أصدرت مجلة حائط لاقت في أعدادها الست إقبالًا منقطع النظير، وخاصة في عددها الأخير، علاقتي طيبة أيضًا بزميلي محمد السيد سعيد الذي يعمل في الشئون العربية، وهو غير راض عن وضعه الوظيفي.

لم تتحسن أموری المادية كثيرا، قل رصيدي في البنك فصار أربعين جنيها بعد أن كان ٣٥٠ يوم خروجي من الجيش، تم استدعائي إلى

البحر الأحمر، في أوائل يوليو لمدة ثلاثة أسابيع، وكانت فترة عصيبة بعد أن اعتمدت على الحياة المدنية، تقدمت لأكثر من مسابقة بحثًا عن وظيفة لم أوفق فيها جميعا، وفقني الله في مسابقة المرشدين السياحيين، في البداية ترددت في التقدم لهذه المسابقة، لأن رسم دخول الامتحان خمسة جنيهات، المستوى الاجتماعي للذين تقدموا معي لهذه المسابقة بالغ الرقي ، لذلك فإن نجاحي أشبه بالمعجزة، أحاول الآن أن أمارس هذا العمل، كمرشد سياحي، نجح فقط عدد قليل، وصار نجاحي مصدر سعادتي، وهي النقطة الوحيدة المشرفة في هذا العام، التحقت بدراسات الدبلوم العالي بكلية الاعلام قسم العلاقات العامة، وأقوم بدراسة اللغة الايطالية، محاولًا أن أعود مرة أخرى للتقدم لمسابقة المذيعين، مثلما فعلت عام ١٩٧٣ أثناء وجودي في الجبل الأحمر، أدرس اللغة الايطالية كي أتمكن من العمل مرشدا باللغة الايطالية.

عن طريق السياحة، تعرفت على أمير اسكندر، ابن أحد المهندسين الميسورين، يسكن في شقة فخمة إلى جوار نادي هليوبوليس، لا يعرف أي نوع من الخبث أو المكر، بالغ البساطة، به كثير من البله والهوس، الازمه كثيرًا، فهو يساعدني في علاقاته بالشركات السياحية، انقطعت صلتي بماهر الحسيني إلى حد ما، لم ألتق بالمقدم محسن كريم منذ فترة، وإن كنت أراسله وأتصل به أحيانًا بالهاتف، لم ألتق كثيرًا بحسن صبيح، لكن صداقتي بالسيد زكى ازدادت إلى حد كبير، في المعهد الإيطالي صار عمر من أصدقائي الجدد، فيزداد الارتباط بيننا يومًا وراء يوم.

"قارئة الفنجان" هي أفضل أغنية عربية سمعتها هذا العام، أما أغنية "الجنوب" le sud فهي من أفضل ما سمعت من أغان فرنسية، شيلا هي مطربتي المفضلة، فردريك فرانسوا، وداف، وجون فرانسوا ميكائيل، هم المطربين المفضلين، لا يزال شون كونرى، وكيرك دوجلاس، ومارلون براندو، وراكيل والش واودري هيبورن هم نجومي المفضلين.

حياتي الأدبية لم تعرف أي تطور، لم أعد أقرأ كسابق عهدي، ولم أعد أكتب كثيرا، نشرت مقالًا عن فيلم "الدكتور زيفاجو" أعجب الناقد مصطفى درويش الذي تعرفت عليه، ووعدني يوسف جوهر بنشره ولم يحدث حتى الآن، أخبرني يوسف جوهر أن مستقبلي سيكون مرموقًا، ترجمت سيناريو فيلم "بيبي دول" لتينسي ويليامز، ولا يزال في مكتب يوسف جوهر، مجلة السينما لم تنشر مقالاتي التي أرسلتها إليهم، انحصرت قراءاتي في التاريخ الفرعوني بمناسبة دخولي امتحان المرشدين السياحين، وبدأت أبحث عن عصر النبي موسى، أعجبني كتاب عن ويليام فوكنر، كما قرأت سبع روايات باللغة الفرنسية أعجبتني جميعها ومنها "موبى ديك"، "المرحوم ماتيا باسكال"، و"الساعة الخامسة والعشرين"، أما الكتب التي قرأتها باللغة العربية فلم يزد عددها عن الأربعين كتابًا.

لم أخط سوى صفحات قليلة في روايتي "أوديسانا" التي أتكلم فيها عن أودسيوس ما بعد حرب أكتوبر، فإذا كان أوليس قد عاد من حرب طروادة منتصرا، ووجد زوجته تنتظره، فإن اوديسيوس العصر

الحديث عاجد ليجد أزمة السكن، والغلاء، ولم يعثر على بنيليوبي الخاصة به.

شاهدت خمسين فيلمًا، من أبرزها "دكتور زيفاجو"، "٨.٥"، وشاهدت "سبارتاكوس" للمرة الثانية، كان أظرف فيلم مصري هو "عالم عيال عيال"، أما "الكرنك" فقد أثر في لمدة طويلة وأنا أكتشف مأساة الوطن الذي دافعنا عنه.

هذا هو عام انصرم من بين أصابعنا، وأصبحت بشرًا جديدًا.. أفكر، وأحس بطريقة تختلف عن العام الماضي، صرت أكثر نضجًا وأصالة، وثقة بالنفس.. وليس هذا أبدًا من الغرور..

السبت ٣١ ديسمبر ١٩٧٧

لم أزاول عملي كمرشد سياحي، لأنه يحتاج إلى كفاءة معينة، وآلية خاصة تختلف عن عملي الحكومي، البطاقة في جيبي، كأنني مرشد مع وقف التنفيذ.

صدمة العام الكبرى أن نادية قد ذهبت بلا عودة، الغريب أن سبب انفصالنا هو رئيستي منيرفا، التي ذهبت إليها، أو أرسلت إليها إحدى النساء كي تبعدها عني، وابتعدت نادية غاضبة حسب الكلام الذي قالته منيرفا.

كل منهما كانت تكن لي عاطفة خاصة، ازددت اقترابًا من كليهما، خاصة نادية، حيث ازداد كل منا تفاهمًا مع الآخر، لدرجة أنها بدأت تنصاع لكل ما أطلبه منها، وبدونا أكثر شاعرية وتفاهمًا.. وحبًا.

وبشهادة الزملاء والزميلات في المعهد الايطالي أن وجودنا معًا كان شيئًا يبعث على الفرح، في آخر لقاء لنا كنا أكثر اقترابًا، لكن نقطة الضعف عند نادية أنها تصدق الآخرين بسهولة، ومينرفا بالنسبة لها لم تكن أي آخرين، اكتشفت أنها كانت تقوم بالتدريس لنادية عندما كانت هذه في الصف السادس الابتدائي بإحدى المدارس الداخلية، حاولت أن أجعل من منيرفا أمًا بديلة تمنحها الحنان فحكيت لها عن كل ما أحس به نحوها، وأبلغتها أنني أسعى لإرسالها إلى أمها في ايطاليا، وأننا اتفقنا على ذلك، وذهبت منيرفا إليها كي تقطع أي علاقة تربطني بنادية، وفي الوقت

نفسه قدمت لي راديو هدية قبل أن تلحق بزوجها في إحدى الدول العربية، لقد فعلت فعلتها، ثم راحت ترضيني، وتتقرب إلي، كانت تغضب عندما تعرف أنني أقدم لنادية الهدايا في الوقت الذي تغرقني بهداياها الرمزية.

بعد أن انقطعت نادية عن الحضور إلى المعهد كتبت لها قصيدة قلت في بدايتها:

في يوم الاثنين الماضي،

سألوني عن نصفي الثاني

سألوني إن كنت هجرت

كل هذا الكون السامي

سألوني إن كنت يأست

من عالم تملؤه أماني

لم أجد تفسيرًا لغياب نادية بعد هذا التقارب سوى أن الأمر حدث بفعل فاعل، واجهت رئيستي فأنكرت أنها فعلت، مر كلانا بمرحلة نفسية مؤلمة للغاية، وشهد جميع من حولنا أنها صارت أكثر عصبية وقلقًا، بدأت تتودد إلي وتحاول أن تصالحني، أما أنا فلم أكن أنام الليل، وشاركتني الكوابيس مرقدي، وظللنا على هذا الحال، أنا أبحث عن نادية لأصالحها، وهي ترفض مصالحتي، بينما منيرفا تحاول أن ترضيني، حتى

بحت لها بكل شيء في الحفل الذي أقاموه لها قبل أن تسافر إلى زوجها، بدت كأنها تحاول الهروب من حالتها النفسية إلى مكان آخر، وبعد الحفل، انفردت بي وراحت تتوسل لي ألا أبحث عن نادية، ووجدت نفسي ضعيفًا، حائرًا، ثم منحتني راديو هدية، وهي التي تعرف حبي للراديو، إلا أنني قررت أن أعيده إليها عندما ترجع، وبالفعل، فإنني بعد أن تم نقلي إلى الاسكندرية، لأعمل في مكتبة المعهد الفني التجاري، عدت يومًا إلى القاهرة وتركت الراديو مع إحدى زميلاتي، كي تعيده إليها، لقد سرق مني الراديو الأصلي، لكن اصراري على إعادته إليها جعلني أشترى جهازً آخر..

بحثت عن نادية.. لكن عبثًا، حداني الأمل في مقابلتها كي أشرح لها الحقيقة، لكن الأمل خبا، وتضاءل، وصارت نادية بالنسبة لي مجرد فتاة تعاني من مشاكل أتذكرها بالخير، وأدعو الله أن يزيح عنها متاعبها وأن يوفقها.

منيرفا كانت تحبني ما في ذلك من شك، لكنني كنت أعرف أن طريقنا مسدود، وعندما أدركت هي ذلك، قررت أن تحطم معبدي أنا ونادية، ونجحت في تدمير كل شيء، خاصة علاقتي الطيبة بها.

هذا في رأيي أهم ما عشته هذا العام، وإذا كانت القصص العاطفية قد ملأت على حياتي، بعد طول انتظار، فإنني عشت كل هذه القصص. حيث أن هناك أسماء كثيرة تأتي بعد نادية، ومنيرفأ، ثم ديدي وسعاد،

فقد تنامت العلاقة بيني وبين ديدي، إنها الفتاة الوحيدة التي استمرت علاقتي بها أكثر من أربعة أشهر، وهانحن نستمر معًا، فأغلب علاقاتي السابقة لم تدم أكثر من عدة شهور، لكنني أعرف ديدي منذ أكثر من خمشة عشر شهرًا، وما زلنا نلتقي رغم كافة العقبات. أعطتني المزيد من الحب، مارسنا الحواس السبع، في حدود ما، بكافة أنواعها وأنقاها، وعلمتها التفاهم الحسي، لذا ازداد ارتباطنا، فإذ أغضبتها طاردتها كي أعيدها إلي، أما سعاد التي تعرفت عليها في المعهد، فقد تعلمنا هذا التفاهم من أول زيارة قامت بها، تعرفت عليها منذ عشرة أيام فقط، وسرعان ما تبادلنا القبلات، ومارسنا الحب الخفيف بصورة أكثر شاعرية وحساسية من تلك التي بيني وبين ديدي التي اختفت دون سابق انذار، ولما ظهرت سعاد أعطيت لنفسي العذر في أن تدخل هذه حلبة حياتي، وقلت لنفسي:

"ديدي عصبية ونكدية، أما سعاد فرقيقة وهادئة، وعلى مستوى جمال ديدي".

هناك أسماء عابرة، بعضها، مثل بشرى زميلتي الأردنية في كلية الإعلام، حيث صرنا صديقين مقربين إلى حد بعيد، وهناك أسماء أخرى، منها الأمريكية كرستين، الألمانية ماجدة، ثم اللبنانية اعتدال، ثم لا لا، وماجدة في كلية الاعلام، وأسماء، لم أعد أتذكرها رغم أنها كانت قريبة مني.

تغيرت أمور المنزل بعد أن ماتت أمي، جاء لمصطفى عقد عمل في السعودية، فتغير الموقف أكثر بعد سفره، وصار لزامًا على أن أعود إلى الاسكندرية، نجاحي في كلية الاعلام، وقلة مواردي المالية، وانتقالي من الشقة التي عشت بها عامين إلى غرفة أخرى حقيرة غير صحية.. وبالطبع استحالة استعادة نادية مرة أخرى، كل هذا دفعني للعودة إلى الاسكندرية، لأعمل رئيسًا لقسم المكتبة ندبًا بالمعهد الفني التجاري. عمل روتيني، لكنه في مدينتي قريبًا من منزلي، وبدأت أشعر بارتياح عائلي، جعلني أتقبل هذه الوظيفة لفترة، حتى أحصل على الدبلوم، نجحت في كلية الاعلام بتقدير مقبول، وكان نجاحي معجزة شكرت الله عليها، بأن صليت له شاكرًا طوال ثلاثة أشهر، خاصة أنني أديت الامتحان في ظروف نفسية قاسية، وكنت أذهب من العمل إلى الامتحان مباشرة، أذاكر فقط ليلة الامتحان..

تغيرت أشياء كثيرة، وبدأت نعمة تلعب دور الأم البديلة، ونجحت إلى حد بعيد أن تجعلني أشعر أن أمي لم تمت، أما مصطفى فقد تغير أثناء وجوده في السعودية، حسبما كتب لنا في الخطابات، ليلة أن سافر مررت بظروف مؤلمة وأصابني القلق عليه.

الملاليم المتناثرة في ملابسي جعلني محلى سر.. فصرت أكره الوظيفة، لا أستطيع أن أشترى لنفسي منديلًا، من أين.. يا حسرة.. وعلى قدر منديلك مد يدك.

قرأت هذا العام ثلاثين كتابًا كان أهمها "الحضارة المصرية" لجون ويلسون، لم أقرأ بالفرنسية سوى كتابًا واحدًا لم أنته منه بعد، وهو رواية لشتاينبك، رأيت هذا العام ما يقارب مائة فيلم تتسم جميعها بقيمة فنية عالية، ولذا من الصعب المفارقة فيما بينها..

بعد أن اختفت نادية، واظبت على الحضور في دروس المعهد الإيطالي، وكان حفل توزيع الجوائز، وحفل التخرج من أهم ما فعلناه هنا، اكتسبت صداقات طيبة من أهمها حياة، وأسامة، وفاطمة الكردي، وعندما عدت إلى الاسكندرية، بحثت عن المعهد الإيطالي، وهناك تعرفت على مجموعة من الزملاء والزميلات، لكنى ارتباطي بهم لم يكن بنفس القوة كالتي كانت في القاهرة.

هزني موت كل من عبد الحليم وزميلي سيد نصار، حليم هو المطرب الذي عشقته منذ طفولتي، ولا أنسى يوم اشتريت صورة كارتونية له، ووضعتها فوق الحائط، وأنا في سن التاسعة، وكنت أهب من النوم لأرى الصورة تضحك، بالتأكيد على.. إنه الأول الذي يسبب له شجنًا في السنوات الأخيرة، وأغنيته "قارئة الفنجان" من أروع ما سمعت في حياتي، يهيئ لي أن هذه الأغنية لا تنطبق على إنسان قط، مثلما تنطبق على نادية وقصتي معها، تهزني كلمات الأغنية، حين يقول حليم:

فحبيبـــة قلبـــك يـــا ولـــدى ليس لها أرض أو وطن..أو عنوان

نادية هي هذه المرأة، لم يعد لها بالنسبة لي عنوان، أو وطن، وقد سمعت أن أباها، أعادها إلى وطنها فصارت بعيدة أكثر، أما حليم فلعله غنى هذه الأغنية من أجلي، ثم مات، كما مات الغناء تقريبًا في مصر على الأقل لفترة طويلة.

سيد نصار، كان زميلًا طيبًا، وفلاحًا أصيلًا، بين لحظة وأخرى فقدته أسرته، سافرت إلى الاسماعيلية، لأول مرة لدفنه، ورأيت كيف يوارى الفلاحين موتاهم في لحد دون أثر، كان موته مفجعًا بالنسبة لي، وخاصة أن الموت تم في فترة فارقتني فيها نادية، وسافر أخي مصطفى، ومات حليم، وكنت على خصام مع منيرفا..

الأحزان لا تأتي فرادى..

أنا الآن مجرد موظف على الدرجة السادسة، أعمل رئيس قسم المكتبة ندبًا، لكنها أشياء لا ترضيني، لم أصنع لأكون موظفًا، أنا مخلوق لأكون أديبًا، وأنا بطئ الخطوات للغاية.. فعلًا، لقد نشر لي أكثر من مقال في مجلة "السينما"، وجريدة "السينما والفنون"، ونشرة نادى السينما بالإسكندرية، لكنه تقدم بطئ ولا يسرني بأي حال، فأنا أكثر ثقافة من الكثرين الذين يعملون بالمجلات والصحف وهذا يسوؤني، اشتركت في أكثر من ناد للسينما، وأثبت كفاءتي، وثقافتي في هذه الأماكن خلال فترة قصيرة، وأصبح لي أصدقاء عديدون في أقل من أسابيع..

إذن، مطربي المفضل هو حليم، وأيضًا فردريك فرانسوا، وميشيل ساردو، وشيلا، أما النجم المفضل فهم الأسماء نفسها: براندو، كونري، دوجلاس، أودري، راكيل والش، وفي هذا العام انضم إليهم جاك نيكولسون.

الأغنية الأجمل هي قارئة الفنان، وأغنية فرنسية تقول إنه لا توجد زهور فوق القمر، والكثير من الأغنيات التي تذيعها إذاعة الشرق الأوسط.

لم أنته بعد من روايتي "أوديسانا"، لم أكتب سوى بضع صفحات، لكن أعتقد أنني سوف أعطيها اهتمامي في الأشهر القادمة، وأنني قد أقطع شوطًا كبيرًا بها في العام الجديد، إنها أهم ما كتبت منذ رواية "لماذا" أفكر في إعادة صياغة هذه الرواية لا لشيء إلا كي أضع بعض الرتوش كي تناسب ذوقي الحالي، قليلون هم الذين كتبوا رواية على نفس المنوال.

ما يعجبني في نفسي الآن أنني أواظب على الصلاة، منذ أن ماتت أمي، وألوم نفسي على الفروض التي تفلت مني..

هذا هو عام آخر في حياتنا، ينصرم مني، يموت، انزلقت أيامه بين يدينا، نصبح أكثر نضجًا، تنسال الشعيرات من رأسنا، ويصب الجسد أكثر هرمًا، ونصبح أكثر همًا ومسئولية، ونزداد حسرة كلما ابتعدنا أكثر عن البراءة، تمر الأيام والسنون ونجد أنفسنا نذهب إلى نهايتنا، لدى

الإحساس أنني سوف أموت خلال عام ١٩٨٠، أي بعد عام تقريبًا، كم أتمنى حين أموت أن أدفن في البحر، أو أن يحرق جثماني وتزر الرياح رمادي.

الأحد ٣١ ديسمبر ١٩٧٨

أهم ما في هذا العام هو علاقتي بالمرأة، لا تزال الأسماء الأنثوية متعددة، منيرفا لم تكن أهم الأسماء مثلما كانت في العام الماضي، لم أرها منذ ٢١ مايو ١٩٧٧، هربت من المكتب يوم زرته لأعرف هل وصل الراديو إليها أم لا، يكاد يكون هو اليوم الأسعد في حياتي، فرحت كثيرًا عندما عرفت أنها تضايقت والراديو يعود إليها، ليلتها، أحسست أن السيارة التي أعادتني إلى الاسكندرية لو صدمت بشيء، أو انقلبت بي، لكنت أسعد الموتى ، حاولت دومًا أن أعرف أخبارها، إلا أن درجة حنقى عليها تضاءلت بمرور الوقت، بعد أن نسيت نادية تدريجيًا.

نادية، هي أعظم وأروع حب في حياتي، ومع ذلك بدأت أنساها، بل إنني فعلت ذلك، خاصة في الأشهر الأخيرة بعد أن استقامت علاقتي بديدي، لكنني، خاصة في النصف الأول من العام، كنت لا أكف عن التفكير فيها، والتألم من أجلها، والسعي دائمًا للسفر إلى القاهرة من أجل رؤيتها، تضايقت حينما مزقت صورتها، من أجل إرضاء سعاد، تألمت أيضًا يوم أن حادثتني قارئة فنجان عنها بكل صدق وقالت إنها إنسانة حزينة، تألمت أكثر عندما عرفت أنها عادت إلى بلادها بلا عودة، وإنها لم تعد تدرس بالقاهرة، كم ذهبت إلى كليتها بحثًا عنها، كم اشتقت لرؤيتها لكن بلا فائدة وانتهى شوقي الجارف إليها يوم أن تأكدت أنها لم تعد تسكن القاهرة.

وبرحيل نادية انتهت قصة حب جميلة، وأستطيع الآن أن أغلق صفحة حلوة عن أحلى وألذ وأروع فتاة يمكن أن يقابلها إنسان في حياته، تجربة سجلتها في "أوديسانا"، وصرت مثل جوته، يسجل التجربة في كتاب وينساها، ذات يوم كنت في عناق ملئ بالنشوة مع ديدي ووجدت نفسي أجهش وأردد: "باحبك يا نادية" أكثر من مرة، ووسط قوة العناق لم تنتبه إلى ما قلته.

وعلى عكس تجربة نادية، كانت هناك سعاد، هي الفتاة الأفضل التي منحتني من المتعة، والنشوة، فتاة من السهل أن نقابلها أكثر من مرة في حياتنا، إنها أساتذة في التعامل مع الرجل، على أن تظل محتفظة بعذريتها، لذا اقتصر الأمر على القبلات، وخلع ملابسها حتى بطنها، لكن، والحق يجب أن يقال، إنها أروع قبلات يمكن أن يتذوقها إنسان من فتاة، في ضحكتها جاذبية، تعصر شفتيها حين تقبلني ثم تهمس في أذني وجسدي، ورغم ذلك انتهت العلاقة بسرعة مثلما بدأت، وظل مذاقها الرائع يحوطني، لكن لكل امرأة شياطينها، فهي شديدة الغيرة، وصارت غيرتها من نادية، ومن ديدي سببًا في نهاية علاقتنا، ورغم أنني حاولت مصالحتها أثناء الصيف حين غابت ديدى لعدة أشهر، فإنها لم تستجب، وانتهت صفحة فتاة رقيقة حسية، هي علاقة لم تستمر أكثر من شهر ونصف وانتهت نهاية غير مؤلمة.

أما بشرى، فلا تزال تربطنا صداقة عميقة، رائعة استمرت منذ أكثر من عامين زرتها في القاهرة، وزارتني في الاسكندرية، تعرفت على أختى،

لم تتعد صداقتنا حدودها، حكت لي أن أحدًا لم يفهمها سواي، وأنى عاملتها كما يجب أن تكون العلاقة، منذ أيام زرتها في القاهرة، لكنني لم أستطع أن أراها، رسبت مثلي في كلية الاعلام، لكن أظن أنها نجحت في الدور الثاني الذي لم أحضره.

وجدت نفسي أنا المحروم دومًا من العواطف، وسط الطلاب والطالبات، في سن يقاربني، وأنا رئيس المكتبة أتعامل بنفس روح الطلاب، وأحس أنني أعوض أيام الجامعة الضائعة، فاندمجت مع المعهد، وأحاطني الطلاب وخاصة الطالبات، وتصورت أحيانًا أن هناك من انشغلت بها، لكن كانت هناك ديدي في الشهور الأخيرة.

"ديدي" هي الفتاة الوحيدة التي لم أخصص عنها كراسًا كاملًا، أدون فيها كل ما حدث بيننا، فعلت هذا مع الشاعرة، ومع نادية، ومنيرفا، وتحدثت بالتفاصيل عن علاقتي بكل واحدة منهن، ووجدت أن هذا أفضل، فقد انتهت علاقاتي مع كل واحدة منهن قبل أن أغلق صفحات الكراس، وأنا أتمنى أن تطول علاقتي بـ "ديدي"، وأن أتزوجها رغم أنها ليست في جمال نادية أو بشرى، إنها عصبية المزاج ومصابة بالصرع، لكنها تصلح أن تكون زوجتي.

في الأشهر الأولى قاطعت ديدي، وشغلتني سعاد، وعندما انتهت هذه العلاقة عدت إلى ديدي، ورحت أبحث عنها وأنا أشعر بأنني ظلمتها، أحسست بالندم لما مارسته مع سعاد، وبالفعل فقد عادت

العلاقة بيننا طيبة دافئة، لكن ديدى انقطعت من جديد عن زيارتي لمدة شهر ونصف، ثم عادت لمقابلتي، وما لبثت أن غابت بلا سبب خمسة أشهر كاملة، وعندما ذهبت لأبحث عنها وجدتها تنفر من لقائي، وكررت المحاولة معها، ثم أخبرتها إن لم أزرها خلال أسبوعين، فإن كل شيء قد ينتهي، وذهبت وقد عقدت العزم على عدم العودة إليها، ورتبت نفسي على أن ديدي قد انتهت، وبدأت أسعى للارتباط بأخرى في القاهرة، لكن هذه الفتاة تحضر دومًا في الوقت المناسب كي تفسد على علاقاتي بالأخريات، فقد أتت إلى عقب أن تعرفت على سعاد، وعادت أيضًا بعد أن تعرفت في القاهرة على فتاة تدعى حورية وذهبت لخطبتها، لكن.. أمام ديدي كل شيء يهون، عادت إلى، أكثر حبًا ونقاءً.

العجيب في علاقتي بها، أننا بدأنا علاقة حسية مليئة بالانجذاب، فنحن لم نتبادل أيًا من العناق الحسي قط خلال عام ٧٨، وبدأت الأمور تأخذ صورة طيبة نقية، تحولت العلاقة إلى ما يشبه ما ربطني بنادية، وعليه فقد أرسلت أختي كي تخطب "ديدي"، إلا أن أباها راح يسوف الأمر، فبدأت أشعر بالقلق.

ديدى، خفيفة الظل، في الثانية والعشرين من عمرها، متوسطة الجمال، تخاف على أموالى، وعلى، وهي أصلح من عرفت للزواج، تذهب معي إلى نادي السينما في المتحف، رأتني أقدم ندوة، وأحسست، وهي هناك، أنني أتكلم إليها وحدها، وأن القاعة المزدحمة

خالية إلا منها، عندما أخبرتها بمشاعري، رددت في صدق: إنه شعوري نفسه.

ورغم كل ذلك أحس أن زواجي بها محاط بالكثير من الصعاب، وإنني ربما لن أتزوجها رغم قوة هذه العلاقة.

عاد أخي مصطفى من السعودية، في أجازه لمدة شهر، بدت عليه من جديد أعراض التغير المادي، لذا فكر في أن يخطب، وسرعان ما تقدم إلى فتاة، لم يشعر بالارتياح إليها بعد ذلك، بعدة أشهر، صرف الكثير على الفتاة التي اختارها، نزل في أجازه عيد الفطر من أجلها، وصرف الكثير، إنه الحب الذي يتولد من خلال خطابات الذين سافروا ويشعرون بالحرمان، منحني بعض الملابس، وأعطى لنعمة نقودًا من أجل البيت، ووجد نفسه محاطًا ببعض أقاربه الذين أطلقوا عليه لقب "السعودي"، وراح يصرف عليهم من الأموال التي كسبها أثناء السفر، أحسست بالغضب لأنه صرف كثيرًا على خطيبته، التي حاولت استغلاله، لذا لم أعد أكتب له الرسائل، نعمة تمت خطبتها منذ شهر، وهي تلعب دور الأم البديلة، بدا العام سعيدًا، وقد أدى مصطفى فريضة الحج عن أمه، وهو أمر أسعدنا جميعًا، قال في خطابه إن أمه كانت معه وهو يؤدي الشعائر، ورغم ذلك فإن موقفي المالي لم يتغير، كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا.

والدنيا تضحك علينا، كسبت قرابة ثلاثين جنيها في كتابة مقالات على مدار العام، لكن رصيدي في البنك لم يزد، بل قل.

صار من الصعب أن أتابع الدراسة في كلية الاعلام، وأن أحضر المحاضرات، ففشلت، كذلك لم أستمر في المعهد الإيطالي بالإسكندرية، ربما كنت أبحث عن نادية جديدة، فلم أجدها.. أما وظيفتي، فإنها من النوع الثابت، لا يحقق فيها المرء طموحه، هي مجرد مكان مناسب للاطلاع والقراءة، وإن كنت لا أكف في البحث عن مكان في إحدى الصحف، تحركت أموری في عالم الأدب ببطء شديد خلال العام المنصرم، نشر لي نحو خمس عشر مقالا في أكثر من مكان، بعضها في مطبوعات واسعة الانتشار، مثل مجلة السينما، ونشرة نادي السينما بالقاهرة، كما أنني سوف أنضم إلى جمعية كتاب ونقاد السينما بالقاهرة.

نعم إنني أعمل في مكتبة، لكنني لم أقرأ طوال العام سوى ثلاثين كتابًا، وخمس روايات باللغة الفرنسية، بالإضافة إلى مئات المقالات العربية والفرنسية، ومن بين الكتب التي شدتني "اللامنتمي" لكولن ويلسون ورواية "صحراء التتار" لبوتزاتي.

شاهدت مائة وخمسين فيلما عالميا، وأتاح لي انضمامي إلى نادي السينما بالمتحف فرصة مشاهدة أفلام عالمية قبل عرضها الجماهيري، خاصة أن أغلبها ممنوع من الرقابة، وقد استطاع أحد أعضاء النادي أن

يحضر من إدارة الرقابة أفلام للعرض مرة واحدة، ثم أعادتها إلى القاهرة في اليوم التالي، من هذه الأفلام التي شدتني "طارد الأرواح الشريرة" ج٢، "زاردوز"، "الليالي الملتهبة"، و"جوليا"، و"هولوكست ٢٠٠٠"، و"اورفيوس" وغيرها.

كان من المقرر أن أنتهى من "أوديسانا" خلال الأيام الماضية، كتبت فيها عن تجربة محارب يعود بعد نهاية الحرب ليصطدم بالواقع، كانت هناك فصول عن نادية، وسوف أنتهي من كتابتها خلال الأسابيع القادمة.

مات خالي عبد العظيم في شهر مارس، جاءت الميتة سعيدة وغير متوقعة، الرجل طيب، بالغ الصلادة، كان بالغ الكرم بالنسبة لنا، هو وزوجته الباتعة، وقد رأيتها قويًا في أشد حالات الضعف.

لا تزال "قارئة الفنجان" هي أغنيتي المفضلة، بالإضافة إلى أغنيات فريق "بي جيز" في فيلم "الليالي الملتهبة"، مطربي المفضل هو عبد الحليم حافظ بالإضافة إلى ميشيل ساردو، وميشيل تور، وشيلا، كما أن نجومي المفضلين لم يتغيروا قط.

لا زلت أواظب على الصلاة، وإن كنت غير منتظم في صلوات المغب والعشاء، ولم يضايقني هذا التقصير، عدت إلى القاهرة أكثر من مرة، كم أحب هذه المدينة كثيرًا، لكن من الصعب العيش فيها بمرتبي المحدود مثلما فعلت من قبل.

ومر عام ٧٨..

أو بالأحرى لفظ هذا العام أنفاسه، ومات، تمر الأيام، ونفقد الكثير من براءتنا، وربما قدرتنا على بث الضحك، يتحدث الناس عن أعمارنا، وأننا أصبحنا في عداد الناضجين، يؤلمني أنني أتخطى سن الشباب، فكم أحب أن أعيش صعلوكًا، بلا مسئولية، لكن هناك قيودا كثيرة تعوق المرء من أن يكون صعلوكًا..

سوف أموت حتمًا في العام الجديد، وأتمنى أن أموت بلا مرض، أو حادث كبير.. إنه إحساس ينبض بداخلي.

الاثنين ٩ يوليو ١٩٧٩.. ١٤ شعبان ١٣٩٩

عندما بلغت سن العشرين، انتابني قلق شديد، فقد انتقلت من مرحلة إلى أخرى، دون أن أحقق شيئًا، وعندما وصلت إلى الخامسة والعشرين تضاعف التوتر ، أما اليوم، فأنا في الثلاثين، في قمة القلق، فبلوغ الثلاثين أمر بالغ الجسامة ، لا يستهان به، خاصة أنني لم أحقق شيئًا بعد مما كنت أسعى إليه، وإن كنت أحس أنني أمشى الخطوة الأولى فقط في طريق طويل.

بالأمس، كنت في غاية التأثر والقلق، وأنا أقضى الساعات الأخيرة من سنوات العشرينيات بالنسبة لي، هذا العام تكرر التقاء تاريخ ميلادي الهجري والميلادي للمرة الثانية في حياتي.

دعوت الله كثيرًا في غاية التأثر والقلق، وأنا أقضى الساعات الأخيرة من سنوات العشرينيات بالنسبة لى، هذا العام تكرر التقاء تاريخ ميلادي الهجري والميلادي للمرة الثانية في حياتي.

دعوت الله كثيرًا بالأمس، أحس أن هناك علاقة جوانية خاصة بيني وبين خالقي، أراه صديقي الأول، أحكى له كل أسراري التي يعرفها، وأعبر وأنا أناجيه عن مشاعري.

في الثلاثين عامًا السابقة، حققت بعض الأشياء.. شهادة، وظيفة، لكنني لم أحقق الكثير بعد، وكم اقتتل في سبيل تحقيق ما أنشده، أنا من

القنوعين جدا ماديا، لكن مستقبلي الأدبي يقلقني كثيرًا.. وأقولها مجددًا إنني لو قرأت في طالعي أنني لن أكون شيئًا في هذا العالم فمن الأفضل أن أموت، لكنني سأحاول بقوة الله.

لم أعرف الترحال في هذه السنوات، ولم أركب طائرة، أحببت الكثير من البشر، لكن أمى هي حبي الأول، وكانت نادية هي أهم علاقاتي العاطفية.

أتمنى أن أعيش أعوامًا قليلة جدا أحقق فيها بعض طموحاتي الأدبية، لا أريد أن أرى نفسي عجوزًا ولا كهلًا، أو حتى رجلًا بعد سن الأربعين.

الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٧٩

هناك موعد دائم بيني وبين هذا الكراس.. إنه قدري.. فعندما أعيش حدثًا ما أقول لنفسي إنني سأسجل عنه في هذا الكراس الذي صار بالنسبة لي مؤشرًا على صعودي أو هبوطي، إنه يحمل خلجاتي ومشاعري، وأفكاري ونبضاتي، منذ أن أصبحت واعيًا بالأشياء حتى الآن..

كم أحب الحديث دومًا عن علاقتي بالمرأة.. كنت خلال هذا العام أكثر استقرارًا ونجاحًا، بدأت ديدي أكثر ترويضًا، فبعد أن كانت علاقتنا متذبذبة، وبعد أن كنا ننقطع عن اللقاء عدة أشهر، وبعد أن كنت ألحظ عليها النفور والصد في بعض الأحيان.. بدأت ديدي تدخل إلى عالمي، وصار بيننا حب جارف، هو أقرب إلى من أي فتاة أخرى.. فأنا لم أعرف سواها في هذا العام. صارت هي كل عواطفي، أفكر فيها، وأقرر الارتباط بها. ليس الحب هنا جارفًا مثل الذي أحببته يومًا لنادية، لكنه حب أكثر عقلًا واتزانًا، وسرعان ما تطورت الأمور، بدأنا نمارس عواطفنا بمتعة أعمق.

ولذا فكرت أن أتزوجها، وفعلًا، زرت بيتها في صحبة أخي محسن، وكان اللقاء سلبيًا مع أبيها، حصلت هي على الدبلوم، وازدادت العلاقة قوة، كانت تشتري لي أشياء وهدايا من مصروفها الذي يعطيها لها أبوها،

اشترت يومًا خاتما كي أقدمه لأبيها كهدية الخطبة، اتفقت مع أبيها منذ أسبوع على بعض الاجراءات بالنسبة للزواج ولا يزال الأمر معلقًا.

بالأمس الأول، خرجت من المنزل غاضبة، وهكذا تأتي رأس السنة، ونحن على خلاف، لكن في إمكاني أن أقول إن ديدي الآن هي أكثر من أمتعتي، حب أقرب إلى الحواس السبعة التي تحدثت عنها في إحدى رواياتي، لسنا مبتذلان، كل يبحث عن إرضاء الآخر وإسعاده.

لا يزال مصطفى في السعودية، أدى فريضة الحج عن أبيه، كما فسخ خطبته الأولى، وارتبط بفتاة أخرى، ظل يراسلها بعد عودتها إلى أبها، كي يعود مرة ثانية، ويعقد قرانه عليها، عن طريقه دخل بيتنا التليفزيون لأول مرة، لم تجذبني مشاهدة التليفزيون كثيرًا، فعيناي اعتادتا على مشاهدة الشاشة الكبرى في السينما، يصرف مصطفى نقوده بالكثير من البذخ والتبذير، كم اختلفت معه، وأنا الذي أعرف قيمة النقود، ومدى الحاجة إليها.. وها هو الآن يستعد للزواج.

نعمة لا تزال تلعب دور أمها، فسخت خطبتها بعد أشهر قليلة ، فتحية مرت بظروف صعبة للغاية بسبب مرض زوجها الذي رأينا يصارع الموت، وألقينا عليه النظرة الأخيرة، لكنه لم يلبث أن عاد إلى الحياة فيما يشبه المعجزة، قال إنه شاهد في مرضه ملائكة تعيده إلى الدنيا، يصلى ويعمل عملًا صالحًا، وفعلًا، الآن هو في حال لا بأس به.. وسبحان الله..

ظروفي المالية لم تتغير، كسبت من خارج وظيفتي عن طريق كتابة المقالات أكثر من مائة وخمسين جنيهًا طيلة العام خاصة من مهرجان الاسكندرية السينمائي، وهو مبلغ لا بأس به، يسد رمقي. أما دخلي من الوظيفة فهو ضعيف للغاية، وسط حاجة أن أصرف الكثير.. لذا حاولت أن أغير وظيفتي بأي طريقة، عملت أكثر من خمسة أشهر كصحفي تحت التدريب في مكتب مجلة أكتوبر بالإسكندرية، عن طريق توصية من مصطفى بدوى، ابن عم أمي الذي يعمل سكرتيرًا لمحافظ الاسكندرية.. لكن الأمر لم يروق لي، فعالم الصحافة لا يجذبني، أما عالم الأدب فهو الأكثر متعة، وإنسانية، خدعني مدير المكتب الذي كنت أعمل معه، وحاول خنق مواهبي، كانت ديدي أكثر سعادة بهذه الوظيفة، وأحست بالفخر لو أنني تقدمت إلى أبيها على أنني صحفي، بعد أشهر قليلة من الضغط المهني، وجدت نفسي أقرر عدم العودة إلى مكتب المجلة، دون أن أفقد الأمل، فلا زلت أسعى لانتشار وتواجد أكبر، أحاول التعامل مع أكثر من قطاع، مثل المجلات العربية، ومجلة الهلال، ومجلات أخرى، نشرت مقالات في نشرة نادي السينما، وهذا يعتبر نصرًا كبيرًا. نشرت لي مجلة "السينما والمسرح" مقالين في كل عدد، وهذا أمر لا يحدث مع نقاد كبار. كتاباتي جيدة باعتراف من يقرأها، ويقال إنني أحد أهم الأسماء التي برزت في عالم النقد مؤخرًا، لذا تمت الاستعانة بي في أنشطة مهرجان الاسكندرية السينمائي، كما شاركت في أنشطة مهرجان القاهرة السينمائي، نشرت مقالات في مجلة

"الموقف العربي"، وكانت سعادتي لا توصف لأنها عن الأدب وليس السينما، أحاول دومًا أن أكون كاتبًا أدبيًا أكثر منه.

أشرفت على تحرير نشرة مهرجان الاسكندرية الأول، وأصدرت سبعة أعداد كتبت فيها أكثر من أربعة عشر مقالًا عن السينما، وكانت نشرة ناجحة، كان وجودي في المهرجان بمثابة دفعة لي، فقد تعرفت على الكثير من العاملين في حقل السينما، وأصبحت مقربًا إلى أكثر النقاد، وبدأ البعض يعي أهميتي كمثقف. انضمت إلى جمعيتين للنقد السينمائي، لكن هذا ليس مشرفًا مثلما كنت أتصور فيما قبل، فهذه الجمعيات لا تصنع مثقفًا، وبها الكثير من الأدعياء..

لم أكن في أحسن حالاتي كقارئ، حيث اعتبر أن القراءة مقياس لتقدمي، لأن قراءة المقالات لا تمثل شيئًا في استيعاب ثقافات جديدة، قرأت أربعة وأربعين كتابًا، أي أكثر عددًا من العام الماضي، أغلبها كتب أدبية، مثل مجموعة أعمال كولين ويلسون، و"القصر" لكافكا، و"الأدب المقارن"، أما الكتب الفرنسية فهي ثمانية أغلبها عن السينما.

شاهدت الأفلام في نوادي السينما بالإسكندرية والقاهرة، ارتفعت أسعار التذاكر في دور العرض، رأيت ٩٦ فيلمًا أجنبيًا، كما شاهدت أفلامًا مصرية عديدة في التليفزيون، من أجمل الأفلام التي رأيتها "البريء"، و"امرأة متحررة"، و"الطبلة"، و"لقاء من النوع الثالث"، وقد كتبت مقالات عن بعض هذه الأفلام.

انتهيت من كتابة أهم رواياتي "أوديسانا"، اودسيوس هنا يعود من الحرب كي يصطدم مع الواقع، إذا كانت مصر قد انتصرت في الحرب، فإن جنودها قد انهزموا في أرض الواقع، من خلال احباطات في الدخل والوظائف، وارتفاع الأسعار، خاصة المساكن، استغرقت أربع سنوات في كتابة هذه الرواية، وهي بمثابة سيرة ذاتية عن حياتي التي عشتها منذ عودتي من الجيش، حيث أنه في قطار العودة إلى الاسكندرية، قابلت إحدى زميلاتي في كلية الزراعة، كانت عائدة من عملها في دمنهور.. حكيت لها في القطار عن أيام التجنيد والحرب، وهكذا بدأت أحداث الرواية، ثم انتهت بخيبة أمل كبيرة أمام الواقع.

ليست لدى أفكار عن روايات جديدة، لكنني انتهيت من كتابة فصول عن السينما الأمريكية، وأسعى إلى نشره، أنه كتاب عن الظواهر الموجودة الآن في السينما، مثل الكوارث، والخيال العلمي، والثنائيات.. هذه الأشياء تسبب لي سعادة بالغة.

أول الأمس مات خالي عبد المعز، وهو اليوم نفسه الذي رحل فيه أخوه عبد الحليم قبل ثلاثة أعوام، تلقيت الأمر ببرود شديد ولم أذرف دمعة واحدة، كثرة الموت من حولي، جففت نهر دموعي، في المساء كنت أستمع إلى الراديو كأنما خالي لم يمت، أعتقد أن هذا بداية لموجة من الوفيات تشهدها عائلتنا كل أربع سنوات، وسوف يكون عام ٨٠ هو موسم الموت من حولي.

لا توجد أغنية بعينها تجذبني، لم يعد الغناء رائعًا مثلما كان من قبل، لم أستمع إلى "قارئة الفنجان" مرة واحدة هذا العام. لا زلت أحب النجوم الذين أحببتهم دومًا. أصبحت أميل لاستماع الموسيقى الكلاسيكية وهي أمر لم أكن أميل إليه من قبل..

ولا زلت أواظب على الصلاة دون انتظام في فريضتي المغرب والعشاء. أسافر كثيرًا إلى القاهرة، هي مركزي نحو الانطلاق لتحقيق طموحاتي الأدبية.

لا جديد في الحياة.

تنصرم الأيام، بدأت أفتقد لذة الأشياء.. فهمت جيدًا لعبة الموت والحياة والفناء. واللهاث وراء العبث، لذا فإن شعوري دومًا هو "لا شيء يهم"، ما زلت متأثرًا بقوة كتاب "أسطورة سيزيف"، وهو ناموسي، مما يتفق مع لامبالاتي، وبساطتي، لم يعد لي أصدقاء محددين، مشاغل الحياة قطعت بيني وبين من كانوا أصدقائي، خاصة حسن صبيح، أما سالم فقد صار من كبار رجال الاستثمار، والعقارات في الاسكندرية.

الأربعاء ٣١ ديسمبر ١٩٨٠

إنه أسوأ والعن عام مر على طوال حياتي، منذ أن ذقت يومًا طعم الحياة، يلازمني السوء، وتلاحقني اللعنات، والقلق، والعلاقات المضطربة، صاحبني هذا الشعور في أمور عديدة.

مرت بي أيام بأكملها عرفت خلالها كافة ألوان القلق والتعاسة. وضعي الأسرى سبب لي الكثير من هذا القلق، وقلة المال هو السبب الأول، وموقف "ديدي" السلبي من موضوع الزواج سببًا مهمًا أيضًا وأسباب أخرى عديدة.

علاقتي العاطفية بديدي غريبة الشكل، أعرف تمامًا أن هذه العلاقة ستنتهي إلى فشل مؤكد، وإلى عدم الزواج، فهي تعمل ألف حساب لأبيها وتخاف منه، لا تستطيع أن تحسم الأمر.. رغم أنها تحبني بعنف شديد، هذا الحب سبب في ان تبقي علاقتنا، فهي أفضل من عرفت وارتبطت بهن عاطفيًا بعد نادية. قلت لها يومًا إنها يجب أن تدافع عن مشاعرها وأن تساعدها في النمو والاكتمال، بالدفاع عنها ضد الأخطار، بدا أبوها أنانيًا سخيفًا ورجعيًا في زيارتي له في أول أغسطس الماضي، أصر أن نقرأ الفاتحة، وطلبت منه عقد القران، لأن شروطه جعلتني أشك في نيته، ولأن ابنته كذبت على في هذا الشأن، أحسست أنني كالحائط الاحتياطي، لذا قررت أن اقطع علاقتي بها، إلا أنها كانت تبكي، وتطاردني، وتمر بظروف نفسية شديدة الصعوبة، وأمام هذه المواقف

المتناقضة عدت إليها، إنها عودة واهية أعرف من خلالها أن هناك ظروفًا تحوطنا سوف تفرق فيما بيننا، وأننا لن نتزوج.

بدت بالغة السلبية، تذكرت يوم أن أبلغتني كيف أنها تفعل المستحيل كي تخرج لمقابلتي، وأنه يضربها أحيانًا بقسوة ملحوظة، قالت لي: كلم بابا واتفق معه على الشبكة.. علمًا بأنه ليس معي ثمن الشبكة "حاول أن تتنازل".

وقررت ألا أقابل أباها بعد ذلك مهما كان الثمن، وفي هذه الأيام، كعادتنا في الفترة الأخيرة من كل عام، نمر بظروف سخيفة أقرب إلى قطع العلاقات، فخلال شهر بأكمله لم أستطع رؤيتها سوى مرة واحدة بعد الظهيرة، لأن السيد الوالد لا يغادر البيت، وأنا الآن سأعود إلى القاهرة، وهي لن تحدد إذا كانت ستذهب معي أم لا، لأن أباها هو الذي يحدد، وبالفعل، تعصبت عليها صباح اليوم بأسلوب بالغ الوقاحة، وكدت أن أضربها، وذهبت لحالي وغلياني يحرقني.

نمر دومًا بظروف متوترة، نتيجة لتبريراتها الضعيفة وأفكارها الغريبة، لكنني عند لحظة بعينها أتنازل عن كل غضبي، مقابل لحظة حب شفافة، وما كان أكثر هذه اللحظات، كنت فيها حنونًا للغاية، عاشقًا طيبًا، صادقًا، سرعان ما أنسى الإساءة، لكن شبح أبيها يقف بيننا، وفي بعض الأحيان تحاول أن ترضيني فتسبه، دون أن تذكر اسمه.

التحقت ديدي بشركة يقع مكتبها في المنشية، كنت أنتظرها في محطة مصر، وأصحبها إلى المنشية مشيًا على الأقدام، في السابعة صباحًا، نقول أحلى الكلمات، نتغازل، ونتراضى، وأشترى لها طعامًا، وأستمع إلى تعليقاتها خفيفة الظل، وعند الرجوع من العمل، أنتظرها، ونقطع المسافة بشكل عكسي حتى أقرب مكان إلى بيتها.

إلى أن رآها أخوها معي في العطارين، بكل هدوء اتجهت نحوه، ولم أحاول أن أفعل شيئًا، وكان هذا تبريرًا جديدا كي نفتعل حكاية، أنني ذهبت إليها كي أبلغها أنني قادم إلى الدار، وانتظرني الرجل، ولم يكن هناك ما يمكن أن نقوله.

لم أعرف أي فتاة أخرى غير ديدي.. لا، أستطيع أن أقول إن سميرة التي تعرفت عليها في هيئة الكتاب بالقاهرة في دورة تدريبية، هي فتاة في حياتي، كنت قد تعرفت عليها في العام الماضي، أخبرتني هذه المرة أنها تريد أن تفسخ خطبتها، تعاملت مع الأمر باستخفاف من أجل حبيبتي، الكثير من الفتيات اللاتي أعرفهن تمت خطبتهن، وتزوجن، أما أنا فإن ديدي وأباها يضعونني على الرف وأنا في الحادية والثلاثين.

ديدي إذن، هي أهم العلاقات التي سببت لي الكثير من الألم، وألهم في هذا العام الحزين، رغم كل ما قضيناه معًا من لحظات بالغة الرقة، كنت أعرف خلالها أن كل شيء سوف ينتهي يومًا وأننا لسنا سوى ركاب في قطار سينزل منه أحدنا حتمًا في إحدى المحطات، وسيستمر

الآخر إلى نهاية المطاف حتى يأتيه الموت، ويومًا ما سوف أعيد قراءة هذه الكلمات، وأضع تحتها خطًا لأثبت صدق أحاسيسي.

مرت بي ظروف أخرى داخل الأسرة، جعلتني أقرر العودة إلى القاهرة، ودفعت مبلغًا كخلو رجل للشقة التي أقمت بها في أبو قتادة لمدة عامين، وشاركت ديدى معي بمائة جنيه، باعتبار أنها ستكون شقة زوجية.

موقفي المالي الضعيف هو سبب لقلقي، فلو أن معي نقودًا، لتصرفت، تزوجت، ووجدت مسكنًا وهجرت كل هذه المتاعب التي وجدت نفسي فيها داخل المنزل، وما كنت طلبت نقودًا من أي شخص كقرض، أعطاني مصطفي مائتين وخمسين جنيهًا، إلا أنه كان يمكن أن يقرضني مبلغًا كي أهرب من هذه المتاعب، ولا شك أن والد ديدي قد لمس عدم قدرتي المالية، فلم يشأ أن يعدني بالزواج من ابنته، ورغم أنني كسبت بعض النقود من مجلات كتبت فيها، إلا أن هذه المبالغ الصغيرة لم تستطع أن تحل مشكلة واحدة، فهي في مجموعها بسيطة وكنت آخذها متفرقة.

إذن، كان الموقف المالي هو ثالث الأشياء شديدة السوء، التي مرت بي خلال هذا العام إلا أنني يمكن أن أقول إن المجال الذي حققت فيه توفيقًا ونجاحًا هو علاقتي بالكتابة، فمع أنني لم أكتب سوى سطور قليلة في رواية جديدة فاشلة إلا أنني كتبت كثيرًا في مجالات

عديدة، نشرت لي مجلة "الفنون" مقالات بشكل منتظم، نشرت مجلة "الهلال" مقالين، نشرة نادي السينما نشرت لي أكثر من سبعة عشر مقالًا طوال العام، جريدة "المساء" نشرت أكثر من ثلاثين مقالًا عن بعض الأدباء الجدد في العالم، هناك احتمال أن تنشر لي بعض المجلات العربية مثل "الفيصل" السعودية، ومجلة "الأقلام" العراقية.

قدمت روايتي "أوديسانا" إلى لجنة النصوص لقراءتها، أحاول أن أجد مكانًا لنفسي كأديب وروائي، لم أقرأ كتبًا كثيرة هذا العام، ستة عشر كتابًا لا أكثر، لم أقرأ كتابًا واحدًا منذ ثمانية أشهر، حالة سيئة من عدم التكيف، أو فلنقل إنه غثيان روكنتان عند سارتر، أفضل ما قرأت هو رواية "قريتي في ظل الألمان" للفرنسي جان لوى بورى، وهو أيضًا ناقد سينمائي.

تغيرت حياتي بشكل جذري، حين تعرفت على بائع مجلات جديدة، يأتيه المرتجع من مؤسسة الأهرام، فتجد كافة الصحف والمجلات والكتب التي لم تباع، منزوعة الغلاف، اختار ما أشاء، وأتعرف على الثقافة العالمية خلال الشهر الفائت، إنه كنز عظيم، الكيلو من هذه المرتجعات بستة قروش، أنفقت عليها القليل من المال الذي معي، وأحتاجه، جنون رائع مفيد، تعرفت من خلاله على كل الأدباء المعاصرين، الذين جاءوا بعد البير كامي، وسارتر، ومن أشهرهم باتريك موديانو الذي انبهرت به كثيرًا، وبدأت أكون أرشيفي الخاص في الأدب والسينما، لكل كاتب ملف يتضمن كل ما وقع تحت يدى مكتوبًا عنه

وعن مؤلفاته، وصارت لدى مكتبة جديدة ليس لها مثيل، مجموعة من الملفات تساعدني وأنا أكتب مقالات، قام أحمد وإلى المشرف على الصفحة الثقافية في جريدة المساء باستقبال المقالات التي أرسلها له بحفاوة ملحوظة.

شاهدت خمسة وتسعين فيلمًا أجنبيًا، وضعف العدد تقريبًا من الأفلام المصرية، أهم الأفلام التي رأيتها هو "جحيم في الباسفيك" لجون بورمان، "والبطل" لزيفيريللي، و"الملف ٥١"، والغريب أنني خلال هذا العام شاهدت الأفلام في دور السينما رغم ارتفاع أسعارها، وقد كتبت مقالات عن أغلب هذه الأفلام.

واجهت الكثير من المتاعب في عملي، فأنا لست الموظف الممتثل، المطيع، الذي يبحث عن المكافآت أو إطاعة رئيسه، واهتم كثيرا بنشاطي في مجال الكتابة، ولذا أواظب على التأليف . وعملي في المكتبة مفيد للغاية، وكانت هذه المتاعب أحد أسباب اضطرابي.

لم يأتيني الموت خلال عام، كما توقعت. لكنه كان موتًا حقيقًا في داخلي، خبت ماتت أشياء كثيرة، ماتت ارتباطي بآخرين، ولم أعد أضحك كثيرًا مثلما كنت أفعل وأنا أضحك من الأعماق، الأصدقاء تسربوا إلى مصالحهم. حسن صبيح هاجر بصفة نهائية إلى كندا، لم أودعه، لعدة أسباب. أعتقد أنني لن أراه قبل سنوات، يوم رحيله جلست أسترجع كافة الذكريات التي جمعتنا معًا منذ عام ١٩٦١، تألمت كثيرًا

للأيام الجميلة التي ولت بلا عودة، وذهب حسن، وماتت كل هذه السنوات في مقبرة الذكرى.

عاد السيد زكى من إيطاليا بعد سفر استمر ثلاث سنوات، الآن فإن الدكتور محمود مصطفى هو أقرب أصدقائي، إنسان مهذب ومثقف، وصاحب موقف، ساندني في الكثير من مشاكي، تعرفت عليه في خلاف حول إدارة نادي السينما بالمتحف، صرنا نتقابل في دور العرض، وساندني في مشكلتي مع "ديدي"، وكم أود أن أرد له الجميل، أرسل لي من البلاد التي سافر إليها مائة وعشرين دولار كمساعدة كي أتمكن من الزواج، ولم أرد له هذا المبلغ حتى الآن، وأنا الذي أكره الديون، وجدت نفسي أمد يدي لأكثر من شخص، دون استجابة

الكلام حول الذوق الفني لم يتغير عن الأعوام المنصرمة، لم أعد أسمع أغنيات جديدة، ولم تصادفني أغنيتي المفضلة "قارئة الفنجان" مرة واحدة، ما زلت أنام مبكرا وأستيقظ مع شروق الشمس، أنا إنسان نهارى، لازلت أواظب بصفة منتظمة على أداء فروض الصلاة، خاصة الثلاثة الأولى، لا أعرف لماذا أتكاسل عن صلاة المغرب والعشاء، إلا أن علاقتي بالدين بدأت تزداد آصرة في الفترة الأخيرة

لا يوجد في الحياة ما يستحق أن نعيش من أجله.

نحن أبنائها، لكنها كثيرا ما تتطاوح بنا. أحيانا تعذبنا، وتقلقنا وتجعلنا أشد ألما، قلت يوما إن الشفاه نفسها التي تعبس الآن هي التي

كانت تبتسم قبل قليل، والحياة مهما لعبت بنا، ومهما جعلتنا نكسب أو نخسر، ومهما بلغت كميات الخسارة أو المكاسب فإننا في النهاية نترك كل ما خسرناه، ونذهب إلى مقابرنا في رضوخ تام، دون اعتراض أو تمرد.

الجمعة ١ يناير ١٩٨٢

بالأمس مات "رحل" أسوأ عام مر على في حياتي كلها، لم أكن أتصور أنه سيكون به هذا القدر من الحزن، مسكين هذا "الأنا" وأنا أجتاز عامًا بكامله حاملًا كل هذه الأيام والمعاناة، والمتاعب والقلق النفسي، أتألم وحدى، وتصيبني الصدمة تلو الأخرى، أحيانًا أتألم، وأحيانًا أخرى ابكى، وينتهى العام كي تبقي منه مجموعة من الذكريات شديدة السوء علينا أن نعبر عنها بكلمات أطيب من الأحداث نفسها، لكن ماذا تقول؟

ابتدأ العام، وفي يوم ١٣ يناير، استدعتني المحكمة متهمًا أنني ضربت أختي، في هذا اليوم ذقت من المذلة والمهانة الكثير، مجرد إحساس أنني في محكمة، لم أفعل شيئًا، دافعت بضربي أختي عن كرامتي وشرفي. وحاولت الدفاع عن نفسي، ولن أستطيع طوال حياتي أن أنسي ذلك اليوم.

لن أنسى الأشهر الطويلة التي رقدت فيها أختي فتحية في المستشفى مريضة بالسرطان، تتألم، نزعوا عنها صدرها، أراها تعاني من آلام لا يحتملها بشر، تتألم وحدها، نواسيها، ثم انقاذها من الموت الحقيقي، لكنها لا تزال راقدة فوق الفراش، تتألم بشدة، مرضها خطير، لم أكف عن زيارتها في المستشفى أو البيت، إنها الآن أشبه بخرقة بالية راقدة فوق الفراش.

نعمة تزوجت، مصطفى تزوج، انتقل مصطفى إلى شقته الجديدة، اقترنت نعمة برجل اختارته بنفسها، أنام وأعيش في غرفتي الصغيرة، وحدى دومًا، خسرت تجربتي العاطفية الكبرى، لن أتكلم عنها من بعيد أو قريب، فهي سبب آلامي الكبرى منذ السادس من يونيه الماضي، آلام ومتاعب نفسية لا حدود لها، خاصة أنها سعيدة في خطبتها، وأنا غير سعيد.. بالمرة.

بدأت ألطش.. كثيرًا.. هنا، وهنا، أبحث عن عروس، أفشل، تقدمت لخطبة أخت أحد زملائي ثم تركت منزلهم بلا سبب، كي أعقد قراني على أخت زميل آخر لم يسبق لي أن رأيتها من قبل، تماثلني في العمر، تحاول أن ترضيني، أما أنا فكأنني أنتقم مما فعله ديدي بي، عقدت عليها قراني في التاسع والعشرين من أكتوبر، في حفل عقد القران، وجدت نفسي ارتدى بدلة، كانت "ديدي" قد انتقتها لي، وتم تفصيلها على يديها، وأنا أنظر إلى نفسي في المرأة بهذه البدلة، اجهشت بشدة، أسقطت كل أمطار الدموع التي اخترنتها من أجل هذه اللحظة، وجدت نفسي بلا حيلة.. ماذا أفعل، ليس لدى أي نوع من الاختيار، تحولت إلى إنسان يختلف تمامًا عن المثقف الذي أعرفه، لولا مصطفى، ما عقدت قراني، دفع لي المهر، ودفع لي ثمن خلو رجل شقة أبو قتادة، أصبحت لي شقة في القاهرة، بعد طول معاناة، أود الزواج، من مشروعاتي أن أنتقل إلى القاهرة، لكن كيف سيتم النقل، لا أعرف، هل مع زوجتي أم وحدى؟.. اشترت هي غرفة نوم ثمينة، ولم أشعر بأي سعادة أو رضاء.

في حديثي عن وقائع عام ١٩٨٠، قلت إنني حتمًا سوف أنفصل عن ديدي، وأن أحدنا سينزل من قطار الآخر، وقد حدث فعلًا، لقد خانت كل عهودي، وتزوجت من زميلها الشاب الذي تمتلك أسرته المزيد من المال..

صدمتي جعلتني أحاول البحث عن البديل مع أي فتاة، سعيت إلى سميرة في هيئة الكتاب، لكنها بدت مترددة، أما نفيسة، تلميذتي الجميلة المثقفة، فقد أدبت ارتياحًا معي، ونحن نذهب إلى معهد جوته لنشاهد معًا فيلم "فاوست"، تمت خطبتها، أبلغتني في إحدى زيارتها عقب تخرجها، أنها لا تحب خطيبها، أغلب الفتيات يقلن هذا الكلام في مثل هذه المناسبات، أشعر بالأسف لأنني لم أستكمل تجربتي مع نفيسة.

في النصف الثاني من العام صارت علاقتي مع نعمة في أحسن حالاتها، خاصة بعد أن تزوجت وانشغلت بحياتها، مصطفى لا يمكنني أن أرد له جميله، زوجته سيدة ممتازة، تساندني كثيرًا، وكما دافعت عني، ووقفت إلى جوار مصلحتي، مصطفى أخ ممتاز، لقد تغير كثيرًا في السنوات الأخيرة.

دكتور محمود مصطفى هو أقرب الأصدقاء لي، وقف معي بقوة في محنتي العاطفية، إنه صنوي في التفكير، ساعدني في طموحي الأدبي، وحضر معي جلسة المحكمة التي خرجت منها بريئًا، عاد مرة أخرى إلى

السعودية، أرسل لي خطابًا منذ أيام عبر فيه عن سعادته بما أحقق من تقدم في عالم الأدب، وعن رغبته في مساعدتي لنشر كتابي، أزور منزلهم كثيرًا أثناء غيابه، فأمه تعوضني عن أم محسن التي فقدتها.

عاد السيد زكى من إيطاليا كي يسافر مجددًا ويرجع، لم أقابله كثيرًا، لكنه أقدم أصدقائي الآن، هناك صديق تعرفت عليه في نادى القصة هو مصطفى نصر، أستريح إليه كثيرًا، وأيضًا محمد عبد الله عيسى، لقد صار لي أصدقاء من الأدباء.

حصلت أخيرًا على شقتي في القاهرة، منذ عدة أشهر، كي تصبح بيتًا للزوجية، بالأمس بدأت في إلقاء محاضرات في نوادي السينما التابعة للثقافة الجماهيرية، خاصة في مرسى مطروح، وصرت طوال العام من علامات المدينة، يأخذني الأتوبيس طوال أربع ساعات لأجد نفسي أنظر إلى الأفق، وأتذكر حبيبتى التي تركتني من أجل رجل آخر، وفى مرسى مطروح اكتسبت صداقات جديدة مع شباب لديهم أيديولوجية أختلف معها كثيرًا، وهم ممتازون على المستوى الإنساني، خاصة عبد اللطيف، وإبراهيم . نشرت مقالات في جريدة "الأهرام"، وفي مجلة "الهلال"، وفي مجلة "الأقلام" بالعراق، وفي مجلة "الحياة السينمائية" بسوريا، ومجلة "الفنون" وجريدة "الأنباء" بالكويت، وتوقفت عن النشر في جريدة المساء منذ منتصف العام، بعد أن أسندت الصفحة إلى صحفي آخر غير أحمد والى، وشاركت في مهرجان "القاهرة السينمائي"، وفي ليالي السينما بالإسكندرية، وظهرت لأول مرة بالتليفزيون لمدة ثلاث

دقائق في برنامج "مجلة التليفزيون" يوم الأحد ٢٩ سبتمبر، حققت نجاحًا رائعًا، وصرت مرجعًا للكثير من نقاد السينما.

في نهاية العام، صدرت روايتي "لماذا" بها بعض الأخطاء المطبعية، لكن التجربة أسعدتني كثيرًا، وزعت النسخ بنفسي، ربما يصدر لي كتاب على نفقة الناشر بعنوان "الاقتباس في السينما المصرية".

ما زلت أكتب في نشرة نادى السينما، وسوف أحاول نشر روايتي التي انتهيت منها بعنوان "الثروة" تأثرت فيها بكل من كافكا، وبوتزاتي، حول انتظار ما لا يمكن انتظاره، وحضور من لم يكن يمكنه الحضور. هي رواية فلسفية حول علاقة الإنسان بالزمن والعبث.

صارت القراءة أضعف بكثير، من الكتب الجميلة "مواطنة متلبسة بالقراءة" لغادة السمان، ومن الأفلام التي أحببتها "الملك لير" لبولانسكي، و"ذهب الراين"، و"سيزار وروزالي"، ثم "الموت على الهواء"، تعرفت على الكثير من النجوم والنقاد والفنانين أثناء المهرجانات، لا تزال علاقتي رائعة بمحسن كريم، أرسل لي رسالة يسأل عني، لم أخسر أحدًا خلال العام، علاقتي في العمل لا بأس بها، القليل من المشاكل والكثير من التسهيلات من أجمل أمورى الخاصة، صار عملي هو ملجأي الأخير وسط مشاكلي الخاصة.

حتى الآن لم أدخن سيجارة، ولم أشرب الخمر، وعلاقتي بالله تزداد قوة، أدعو إليه كثيرًا، خاصة في الأزمات.

الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٨٢

أخيرًا ماتت فتحية..

ماتت قطعة البراءة التي رقدت بفعل مرض خبيث، فوق سريرها أكثر من عام كامل غير قادرة على الحركة، وتتألم بما لا يحتمله بشر، حيث تبدو الدعوات إلى السماء غير مجدية، وأنت تعرف أن مصير المصاب بهذا المرض، وبالفعل شعرت بارتياح وهي تودع آلامها، وتنتقل إلى جوار ربها. الحياة لا تتكيف مع مثل هذا المرض الميئوس منه، لذا، فإنني عرفت، منذ فترة طويلة، أن فتحية سوف تلاقي ربها، آجلًا أم عاجلًا، إنه نفس المرض الذي أصاب أمها، لكن في مكان آخر من الجسد، ولاقته يوم الحادي والعشرين من يوليو، ثاني أيام عيد الفطر، وانتهت صرحة جديدة من الآلام التي تقابلنا.

الآلام هي التي تصنعني أكثر من اللحظات السعيدة، إنها تساعد في أن تصهرني وتحولني إلى أتون ملتهب، ومن عرف الآلام العظيمة تطهر أكثر.

بدأ عام ٨٢ وأنا أهرب من تجربة، ومع بداية العام حدث موقفان أو ثلاثة أعادت للأشياء بعضًا من توازنها، رأيت ديدي مع عريسها، تحولت إلى كتلة من المكياج، وفقدت بساطتها التي عهدتها فيها. لم ألحظ في رفيقها ما يميزه عني، وقد عرفت فيما بعد أن شهادته متوسطة مثلها. عندما رأيتهما أحسست بالاشمئزاز. لم تعد تعنيني في شيء،

وماتت تدريجيًا، وبعد شهر من هذا اللقاء بدأت كتابة روايتي عنها باسم "البديل"، لم أعد أتألم كثيرًا بسبب ما فعلته.

ولم أعد أشعر بأية غيرة أو ضيق. لكن شيئًا ما يدفعني أن أدعو الله أن ينتقم لي مما ارتكبت.

فترة زمنية قصيرة مرت بعد أن تركتني، وبدأت أبواب الحياة تتفتح أمامي، فإذا تركنا الجانب العاطفي، أو موضوع الزواج الذي أنا فاشل فيه على طول الخط، فإنني حققت نجاحًا. أو بالأحرى وفقت.

الحدث الثاني، هو البرود الشديد الذي تعامت به خطيبتي معي، ولعلى كتبت في نهاية العام الماضي أن الأمور لم تكن في أحسن حالاتها، إلا أنها تحركت من سيئ لأسوأ، لم أشعر بأي تقارب معها، لعلي كنت أحاول أن أرى فيها ديدي، أو بديلًا عنها، إلا أنها في الأسبوع الأول من العام تحدثت معي ببرود شديد فقررت عدم العودة إلى منزلها، ورغم محاولات المصالحة، إلا أن الأمور كانت أكثير تعقيدًا، وقضيت خمسة أشهر وأنا شديد القلق دون أن يتمكن أحد من معالجة المشكلة، لذا قمت في لحظة شجاعة بالذهاب إلى المأذون، ومعي اخي مصطفى، وأرسلت لها ورقة الطلاق، وشعرت بارتياح حقيقي، وتركت كل ما دفعته أو اشتريته، وانتهي الأمر من الطرفين، دون اللجوء إلى القضاء.

لم يساعدني أحد في تخفيف آلامي، ولا في أسباب سعادتي التي تمثلت قدر وصول مقالاتي إلى مجلة "العربي" بالكويت، حدثنا الكاتب

عبد الله هاشم أن أحمد بهاء الدين، قد تباكي في مقال له على أحوال الثقافة، وأنه لم يعد هناك كاتب يتابع الآداب العالمية، وسرعان ما أرسلت إلى المجلة مقالات لي منشورة في جريدة المساء، ومعها مقال جديد عن "باتريك موديانو"، فجاءني خطاب من فهمي هويدى، مدير التحرير، أن أرسل المزيد من هذه المقالات، وأن مقالي عن موديانو سوف ينشر في يناير، وقد حدث هذا بالفعل، وشعرت بفرحة غامرة، وأحسست أن الأبواب فتحت أمامي على مصراعيها، بكل قوة، فهي مجلة لها قيمتها توزع على أعلى المستويات وأوسعها في الوطن العربي، ثم انهم يرسلون لي مكافأة طيبة مع نهاية كل شهر، نشرت مقالات عن أنتوني بيرجيس، واريك سيجال، وخوسيه دونوسو، وجويس كارول اوتس، وغيرهم، وهم أدباء معاصرون من لغات مختلفة، وقد ساعد في هذا أن أفتح حسابا في البنك بالجنية الاسترليني.

جلب لي هذا النجاح المزيد من التقدم، بدأت أكتب شهريًا، عدا يونيه ويوليو، لأسباب خاصة بمقال لي عن جونترجراس، نشر من قبل في مجلة البيان بالكويت، وسرعان ما حلت المشكلة، وعدت أكتب بانتظام أيضًا في مجلة الهلال ابتداء من شهر يونيه الماضي، حيث قابلني رئيس تحريرها الجديد بألفة ومودة ملحوظة.

دفعني هذا النجاح أن أنشر روايتي الثانية "أوديسانا" على نفقتي الخاصة، بطريقة الماستر، التي لم تعجب النقاد، ربما لكثرة أخطاء طباعة الماستر، وعدم تصحيحها لغويًا، وربما لأنني لست من الذين ينضمون

إلى المحافل الأدبية، ولا أحضر الندوات، حيث عرفت أن قصور الثقافة هي التي تصنع الكتاب في الأقاليم، وتتيح لهم فرصًا جيدة لمناقشة أعمالهم وإرسالهم إلى القاهرة.

شعرت بالامتعاض وأنا أتردد على هذه القصور، وسرعان ما وجدت نفسي غريبًا عنهم، خاصة ما يسمى بحادث الدكتور يوسف عز الدين، الأديب، ومؤلف المسلسلات الناجحة، الذي يعتبرونه عميد أدباء الاسكندرية، والذي إذا حضر ندوة، باركها بتواجده، وفي إحدى ندواته، سمعته يمتدح الكاتب فتحي الأبياري، ويقول أن استخدامه لفعل "كان" كثيرًا في ما يكتب هو سمة متميزة، وأن الكاتب الأمريكي ويليام فوكنر من كثرة اعتزازه بهذا الفعل، إن كتب رواية، أو أقصوصة باسم "was"، وبدا الأستاذ الذي كان يدرس لدفعتنا في الصف الأول من كلية الزراعة مادة الحيوان، أنه فتح النيران على نفسه، فسرعان ما قاطعته، وأبلغته أن فوكنر لم تكن له قصة بهذا الاسم، وإن ذلك ليس مبررًا لأي كتاب آخر أن يستخدم هذا الفعل بكثرة..

ثم نشرت مقالًا بهذا الشأن، وتولدت خصومة، وبدوت منبوذًا في قصر الثقافة، لا يشركوني معهم في أنشطتهم، وأحرجوني بشدة عندما جاء فتحي العشري لمناقشة روايتي، فلم يستضيفوه، وتفهم الرجل الأمر، وتولدت صداقة جديدة بيني وبينه، وانتهت علاقتي للأبد بهذا المكان الثقافي.

عرفت أن أنيس منصور قد أبلغ مدير مكتب مجلة أكتوبر بالإسكندرية أن يقوم بتعييني، ويبدو أنهم بحثوا عني، أو لم يبحثوا، لكن تم تعيين اثنين من الشباب بدلًا مني، ورغم ذلك لم أندم، رغم حاجتي إلى هذه الوظيفة.

كان نجاحي المتدفق يرضيني، أسافر كل أسبوع إلى مرسى مطروح لمناقشة فيلم يعرضه نادي السينما في قصر الثقافة، وهناك صارت لي صحبة جديدة، نتكلم في السياسة، والثقافة، والنساء وقد شاهدت لأول مرة في حياتي فيلمًا جنسيًا، فهزتني المشاهد كثيرًا. ولم أحب هذا النوع من العروض وتذكرت كيف أن ديدي في أواخر أيامنا معًا، قد أخبرتني أن الطبيبة قالت لها إنها عذراء، فابتسمت آنذاك وقلت لها: أنا الذي حافظت عليك.

شاركت في أنشطة مهرجان الاسكندرية، لكنني اتخذت موقفًا من مهرجان القاهرة، بعد أن أبلغني مديره أنهم ليسوا في حاجة إلى خبراء من الاسكندرية، رغم أنني عضو في الجمعية، وعدت إلى مدينتي، وهناك وجدت نفسي مشرفا لمدة خمسة أشهر على نادي السينما في معهد جوته، ابتداء من يناير الحالي وحتى مايو. كتبت في بعض المجلات اللبنانية والكويتية من خلال وكالة الإعلام العربي بالقاهرة، ورأيت كيف يتم طبخ المقالات والكتابات في مثل هذه الأماكن، ولم أجد لنوع كتاباتي مكانًا مناسبًا، ثم أنني لم أتقبل الطريقة التي حدثني بها مدير المكتب حين دخلت عليه بدون المرور على السكرتيرة، ويوم أن تركت

المكتب كنت أسعد البشر لأنني اتخذت موقفًا جديدًا، أشبه بتركي لمكتب مجلة أكتوبر. وعدت إلى الاسكندرية بعد شهرين قضيتهما بالقاهرة، وقد ارتبطت بمكتب آخر يراسل مجلات وصحف عربية.

رغم نجاحي الملموس في مجال الكتابة، فإنني فاشل إلى حد بعيد في مسألة البحث عن عروس مناسبة، فما كدت أن اتفقت على الزواج من ديدي حتى تقدم لها زميل لديه قدرات أفضل مني، واختطفها لنفسه، كما أن علاقتي بخطيبتي قد فشلت، وبدأت أحاول الارتباط من جديد، بحثت هنا وهناك، رفضت إحداهن الذهاب إلى القاهرة لأنها مزدحمة، وأخرى رأت أن ما معي من نقود لا يكفي الزواج.

إلى أن تعرفت على سامية، امرأة مطلقة، هي أول من ارتكبت معها المعصية، لمرة واحدة فقط، بدوت بالغ السذاجة، وطوال فترة أحسست بالنفور الشديد من الجنس، والشهوة السريعة، رغم علاقاتي الأخرى السريعة، لعل أبرزها سعيدة التي تعمل في مكتب دار الصياد، وجدت نفسي أتردد على المكتب، تحدثت إلى عن تجربتها الفاشلة، وكيف سافر حبيبها، واحتملت الآلام الشديدة بعد سفره، أحسست بما تعانيه، ورويت لها قصتي، إلا أنها كانت بالغة الحذر، رغم أنها تستريح لي، ونحن نتكلم معًا، وعندما أخبرتها أنني تقدمت لخطبة فتاة، قالت: سوف تفشل إن شاء الله.. وحدث..

تزوج محمود مصطفى في حفل بهيج بفندق فلسطين، وفى ليلة زفافه قضيت وقتًا مبهجًا، ورأيت عالمًا مختلفًا بالنسبة لي.. وجدت نفسي أرقص وأغنى وأسهر حتى الصباح، رغم أن كل المدعوين لا يعرفونني، سافر محمود مع زوجته إلى السعودية، وعادت المراسلات المنتظمة بيننا، إنه صديقي الوحيد في هذه الفترة، كما ازدادت صداقتي بأحمد رأفت بهجت.. اتزان، ومواقف جادة، وكم أشعر بالصفاء وأنا أتحدث إليه..

جاءنا زائر جديد في الأسرة، عندما ولدت نعمة وليدتها هبة، كنت إلى جوارها في هذه الفترة، ونسيت كل ما حدث من قبل، لقد حل بنا الخير، وبدأت أتولى مسئوليتها بعد أن سافر زوجها إلى الأردن للعمل في شهر أبريل، ولم يعد حتى الآن، وصرت مسئولًا عن المنزل، وعادت نعمة لتقوم بدور الأم والأخت الحنون، وقد نجحت في ذلك.

وبينما أنا أكتب، فإن إذاعة الشرق الأوسط تذيع جزءًا من مقالي حول كلير اتشرللي الذي نشرته مجلة العربي في شهر ديسمبر، وقد أسعدني هذا الموقف كثيرًا.

أخي مصطفى بالغ الحنو، والطيبة، لا يعرف المكر ، كم وقف بجانبي، أحبه كثيرًا وأتمنى أن أرد له الجميل، لديه وسواس أنه مريض بأي مرض، رزق بابنه الثاني اسلام، وحول سيارته إلى تاكسي.

لم أعد أشاهد أفلامًا بالدرجة نفسها التي كانت تحدث من قبل، ليس تقصيرًا منى، لكنه الجو العام، شاهدت ستة وثلاثين فيلمًا طوال العام، وقرأت واحد وثلاثين كتابًا، لم يشدني كتاب بعينه، لكنني معب برواية "يحدث في مصر الآن "ليوسف القعيد، أغنيتي المفضلة هي "آه لو قابلتك من زمان" التي غنيتها من أجل سعيدة، ليست هناك أغنية أجنبية، لكنني مشدوه بفريق "الابا"، بالإضافة إلى نجومي المفضلين الذين لم تتغير أسمائهم حتى الآن.

الأحد ١٥ يناير ١٩٨٤

من الغريب أن أكتب عن عام ١٩٨٣ بعد أن انصرم "مات" بأسبوعين، إنها أول مرة أكتب فيها بعيدا عن ليلة رأس السنة منذ عشرين عامًا، منذ بدأت أدون هذه السيرة السنوية، حول سنواتي التي تموت، الواحدة تلو الأخرى.. السبب الأول أنني مع نهاية العام الماضي واجهت بعض المشاكل مع زوجتي، ومع بداية العام الجديد، تجددت المشكلات، فصرت عاجزًا عن الكتابة طوال أسبوعين.

نعم، لقد تزوجت.. أخيرًا، نلت ما تمنيته. لكن هل الزواج يأتي بما نشتهي. عام ١٩٨٣ هو للزواج، والسعادة، والأرق، والاضطراب ومتاعب البيت، أجل، تزوجت بعد العديد من المعاناة لسنوات طويلة خاصة عام ١٩٨٢، حيث شهدت الإخفاق تلو الفشل، ومع بداية عام ١٩٨٣، وفي شهر يناير، بدأت الأمور تتضح، هناك فتاتان لم أعرفهما من قبل، الأولى طلب أهلها مبالغ كبيرة للزواج رغم أنها في رأيي الأكثر صلاحية، مدرسة موسيقى، وفنانة، والثانية بدت أكثر تساهلًا، ثم صارت الأمور تأخذ مسلك الجدية اختارها لي أحمد حزين المربى المعروف، التقينا لأول مرة في ١٨ يناير، وتم عقد قراننا في ١٤ فبراير، وتزوجت في الخامس من مايو، مضينا الأيام الأولى للزواج بالغي السعادة، ثم بدأت المتاعب، تقترب من الثلاثين، جميلة بشكل ملحوظة، وبالغة الحدة وطول اللسان.. بلدوزر كما قالت زوجة أخيها، انتقلت إلى مسكن الزوجية في الشقة التي تمتلكها أمها، وتجاهلت مؤقتًا شقتي بالقاهرة،

هي امرأة تحب الحرية والانطلاق والنزهات، وتكره إخوتي، فشلت في الحصول على شهادة أكثر من مرة، وليس لديها طموح، ترى أن العالم الذي أحبه –الأدب– هو وسيلة لكسب النقود، وأن المقال الذي لا يأتي بعائد ليس له قيمة، تراني بخيلًا، شعبيًا، تركت منزل الزوجية أكثر من مرة عائدا إلى كرموز، إلى غرفتي الصغيرة كان آخرها ستة وعشرين يومًا كاملة، انتهت مع أول أيام العام الجديد.. أي أنني قضيت ليلة رأس السنة في متاعب مع الجنس الآخر.

لم أسافر إلى مرسى مطروح سوى مرة واحدة فقط. في أول السنة امتلأت المدينة بالسيول وسقوط أعمدة الكهرباء، فأصابني هلع وقررت ألا أعود.. وفي كل مرة أقرر السفر، أتراجع وبدت الخيوط بيني وبين المدينة قد انقطعت.

الزواج والأدب هما أهم أحداث عام ١٩٨٣، فإذا كان الزواج قد تلازم مع تقلص في النشر مع مجلة العربي عقب عودة أحمد بهاء الدين إلى مصر، فإن حماس القيادة الجديدة في المجلة لهذا النوع من المقالات قد تقلص كثيرًا.

وبدأت الموارد المالية تقل بشكل ملحوظ، مع بداية مسئولية بيت جديد، وبدأت مجلة الهلال تحت رئاسة كمال النجمي تنشر لي المقالات، وأخشى أن يحال رئيس تحريرها إلى المعاش في الشهر

القادم. نشرت مقالاتي في مجلات أخرى، مثل "الفيصل"، و"ابداع"، وها هي روايتي "الثروة" على وشك الطبع في المجلس الأعلى للثقافة.

مع بداية العام، صرت مشرفًا بشكل رسمي على نادى السينما بمعهد جوته، وكان هذا دافعًا أكثر للتقدم، مما أرضى غروري مقابل فشل لاحقني في أماكن أخرى، انتهيت في شهر أغسطس من كتابة رواية "البديل" بعد عام من البدء في تأليفها، استجمعت كل ما حدث بيني وبين ديدي من خلال الأماكن التي جمعتنا، منزلى، شوارع الإسكندرية، ومتنزهاتها، خاصة شارع محرم بك، وشارع صفية زغلول، كما انتهيت من إعداد كتاب عن نهاد شريف، وترجمت رواية "وقائع موت معلن عنه" بالاشتراك مع أحمد حسن حمودة، الصديق المقترب لابن عمى أحمد عبد الحليم، الذي حصل على الدكتوراه من ألمانيا، كما ترجمت روايتي "إلهة الذباب" لويليام جولدنج، الذي فاز في نهاية العام بجائزة نوبل، بعد أن انتهيت من ترجمة الرواية عن الفرنسية، وسوف أدفع بها إلى كمال النجمي لنشرها في روايات الهلال، تمت الموافقة على نشر كتابي "الاقتباس في السينما المصرية" في إحدى السلاسل الأدبية بالعراق.

اكتب مقالات في السينما، وشاركت في مهرجاني القاهرة، والاسكندرية، وركبت طائرة لأول مرة في حياتي، حين سافرت إلى الأقصر لحضور مهرجان سينمائي، وقضيت هناك عدة أيام رائعة، رغم أنني كنت في شهر العسل في ذلك الحين، حيث بدأ المهرجان يوم الخامس من يونيه، قضيت في بيت أسماء البكري أيامًا بالغة الصفاء،

أثناء وقائع مهرجان القاهرة، وانضمت أسماء إلى قائمة الأصدقاء المقربين مع محمود مصطفى، وأحمد رأفت فهجت، والروائي صبري موسى.

لم أقرأ كتابًا لفت انتباهي، صرت أقرأ من أجل الكتابة، وليس لمتعة القراءة، ومن اهم ما قرأت "وقائع موت معلن عنه"، وشاهدت ٥٣ فيلمًا من أهمها "e.t" و"كارمن"، و"فيتزكارالدو".

لا زلت موظفًا بالمعهد الفني التجاري، ليس لدى أي طموحات وظيفية، لكن طموحي الأدبي ليس له حدود، أسعى إلى أن أترجم إحدى رواياتي إلى اللغة الفرنسية أو الانجليزية، رغم كل الصعوبات من حولي.

قلت علاقتي بالراديو بشكل ملحوظ، والسبب في ذلك أن زوجتي لا تحب سماع الإذاعة، أميل إلى الاستماع للبرنامج الموسيقى، في أغلب الساعات، لا زلت أحب فريد الأطرش، وعبد الحليم حافظ، شون كونرى، الذي أحبه من أكثر من عشرين عامًا سوف يكون نجم ١٩٨٤، أما أودرى هيبورن فقد رأيت لها فيلمين قديمين هما: "سابرينا"، و"أجازة غرامية"، لا زلت أحبها رغم أنها تجاوزت سن الخامسة والخمسين، الأغنية التي أحب سماعها هي "انده عليك" لوردة، وكتبت على نغماتها رواية "البديل".

أهم حدث أدبي بالنسبة لي هو المقال الذي نشرته حول "نهاية عصر القصة القصيرة"، في كل أنحاء العالم، المقال نشر على فترتين

متقاربتين في "الأهرام"، و"الهلال"، رد الكثيرون على ما جاء في المقال في مصر والعالم العربي، وهاجمني المتحمسون للقصة القصيرة، وما أكثرهم، بشراسة وقد جلب لي هذا المقال الشهرة، والمزيد من الكراهية.

كبرت هبة وصار عمرها عامًا ونصف، أحبها كابنتي، لم تحمل زوجتي حتى الآن، سافر زوج نعمة إلى الأردن منذ عام ونصف ولا يرسل مصروفًا إلى البيت، أتولى شئون نعمة ومنزلها، إنها أقرب الناس إلي. مرضت في الأسابيع الأخيرة، فأصابني قلق شديد عليها، علاقتي بمصطفى رائعة وفي حالة من الاستقرار.

الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٨٤

يبدأ عام ١٩٨٥، وقد اتخذت خطوة حاسمة في حياتي لم أتصور أنني سوف أجسر على القيام بها، ففي هذا الأسبوع تقدمت باستقالتي من وظيفتي بحثًا عن فرصة للعمل في الصحافة، سوف ألتحق للعمل بمجلة "الهلال" في القاهرة، سأعود إلى هناك من جديد. لا شك أن الظروف الحياتية التي أعيشها الآن قد تدفع المرء إلى الإحساس بالتهور، لكن للمغامرة ثمنها وقد تدفع لنا هي الثمن، قد ننجح ونوفق، وقد نفشل.

في أبريل الماضي قررت أن أترك المعهد بعد أن وجدت نفسي في حال يرثي له بالوظيفة، فلا تقدير ولا اهتمام، ومن خلال مصطفى تم نقلى إلى شركة مصر للتجارة الخارجية التي يعمل بها أخي. وفي أول يوليو تم النقل، إلا أنني مررت بظروف عصيبة للغاية في شهري أغسطس وسبتمبر، وقضيت أسوأ شهرين في حياتي، ربما يعاد نفس الأشهر التي انفصلت فيها ديدي عني، وذهبت إلى مجلة الهلال لأهنئ رئيس التحرير مصطفى نبيل، الذي كان يعمل في مجلة العربي مع أحمد بهاء الدين، حكيت له أنني أريد الانضمام لمجلة الهلال، ونزل الرجل لمقابلة رئيس مجلس الإدارة، وعندما عاد رئيس التحرير إلى، كانت معه استمارة الالتحاق بالعمل، وملأها بخط يده، كان كريمًا، ثم نزلت لأشكر رئيس مجلس الإدارة، لأنه خصص لي مرتبًا أكثر مما حددته لنفسي بعشرين جنيهًا، اندهش عندما رآني، فقد تصور أنني أكبر سنًا، وقال بالحرف

الواحد "طالما قبلت المغامرة.. فسوف تنجح"، وعرف أن لدي مسكن أقيم به في القاهرة.

وبينما وافقت دار الهلال، تمت الموافقة على نقلي إلى مبني الإدارة بالمنشية، بعد أن عانيت كثيرًا في محطة الغربلة، بعد أن وجدت وقتي يضيع منى، لا أقرأ، ولا أكتب، وأمارس نوعًا من العمل يقتل الروح، لكن هذه هي الصحافة تناديني، القاهرة، إنه حلم أودسيوي الجديد، وتأخرت في الالتحاق بالصحافة لدرجة أن مصطفى نبيل عاتبني أنني تأخرت في استلام العمل، لذا فما إن ولدت زوجتي حتى قررت الذهاب إلى القاهرة..

أجل، ولدت امرأتي طفلة جميلة في السادس من ديسمبر، أسميتها دعاء، ولدت يوم مولد النبي، وبسبب الدعاء المستمر من جدتها جاء اسمها، كان قدوم ابنتي الأولى تاجًا فوق كل نجاحات العام المنصرم.

نعم، إنه العام الأسعد في كل حياتي، باستخدام أفعل تفضيل، ولماذا لا يكون عامًا سعيدًا وقد حققت فيه كل ما تم لي من نجاحات في مجالات مختلفة، في حياتي الزوجية هناك نجاح، وفي حياتي المادية، وبالطبع في هذه الاختيارات الوظيفية.

قال لي عراف يمارس التنبؤ بالكمبيوتر في أكتوبر الماضي أثناء التصييففي العجمي: من المفروض أن يكون ١٩٨٤ هو أسعد أعوام حياتك.

وأبلغنى أنني سأعمل في مجال الإعلام، وأن شهرتي ستكون محدودة فيه..

في شهر فبراير حلمت زوجتي بعد عشرة أشهر لم يتم فيها الحمل، وكان هذا سببًا لسعادتنا، وبعد شهور الانتظار، جاءت دعاء، قبل الولادة بشهر ونصف لم يكن معي مليم واحدة من مصاريف الولادة، وقبل وصول الصغيرة بأسابيع رزقني الله بأكثر من ألف ومائتي جنيه، مبالغ تجمعت من عدة مجالات، وأكرمني الله أمام أسرة زوجتي التي عانت في الولادة بعض الشيء، ومر كل شيء بسلام، ابنتي الآن في الأسبوع الثالث من عمرها، زوجتي تحب مظاهر الحياة، وأنا رجل زاهد في الدنيا، أعرف كيف آتي بالمال بصعوبة ومعاناة، لا تزال بيننا مناوشات لا أحتملها، لم أعرف أي فتاة أخرى سوى زوجتي، وهي سيدة فاضلة، لذا فأنا وفي لها كطبعي لأنني ممن لا يميلون إلى الخيانة.

ما زلت على ود مع إخوتي، مع نعمة، أزورها، وأودها، وأقدم لها ما باستطاعتي، ورغم أن زوجها عاد من الأردن، فإنه لم يحقق شيئًا، فلم أتوقف عن مساندتهم، انهار المنزل الذي يسكن به أبناء فتحية في شارع خوفو القريب منا، وانتقل الأبناء مع أبيهم إلى شقة مساكن شعبية في القباري.

حياتي الأدبية هي التي تملك على كل حواسي، هي التي وهبت لها كل نفسي ووقتي، أكتب وأسعى إلى المزيد من النشر، في مارس نشرت

روايتي "الثروة" بالمجلس الأعلى للثقافة، حول أسرة أرسلت ابنها إلى خارج الحدود، في انتظار أن يرسل لها الثروة، وظلت الأسرة سبعين سنة في حالة انتظار. كتب جلال العشري في مجلة الإذاعة، أنه لولا الأخطاء الإملائية لصارت واحدة من روايات الثمانينيات المهمة، كما صدرت ترجمة رواية "آلهة الذباب" لويليام جولدنج في روايات الهلال، وتصاعدت درجات النجاح، نجاح لم أعهده في حياتي من قبل، صدر لي كتابان في شهر واحد، وتكتب الصحافة كثيرًا عنهما ، ومع نهاية العام أسمع أن هناك كتابًا جديدًا سيصدر في سلسلة "اقرأ" أعددته عن نهاد شريف والتخيل العلمي.

كتبت لأول مرة في مجلات مثل "آفاق عربية" و"الدوحة"، و"الطليعة الأدبية" و"الفيديو العربي"، و"فيديو ترونك"، و"فنون"، و"أوراق"، و"الثقافة الأجنبية" وهي المجلة التي دفعت لي مكافأة سخية، ثم مجلة "الكويت" و"معين" اليمنية..و...و..

لذا حاولت أن أكتب وأترجم، في الأدب والسينما، وبدأت في رواية جديدة حول معاناتي في محطة الغربلة التي عملت بها بعنوان "بردقوش".. أتمنى أن أنتهى من كتابتها خلال أشهر، وأن أنشرها.

لا زلت أشرف على نادى السينما بمعهد جوته، وأحقق به انجازًا، شاركت في أنشطة مهرجات الاسكندرية السينمائي، ولم أحضر مهرجان القاهرة، هناك أشياء كانت تهمني سابقًا، لم أعد أبالي بها.

قرأت حوالى عشرين كتابا لم يجذبني منها كتاب، سوى رواية "شحاذون ومتكابرون" تأليف ألبير قصيري، قررت أن أترجمها لتوى، شاهدت خمسين فيلما من أبرزها فيلم ألماني بعنوان "نقاء القلب" حول رجل هجرته زوجته، ويصف تفاصيل حياته وآلامه أثناء فترة الهجران، مما ذكرني بمعاناتي بعد هجران ديدي لي. كما شاهدت أيضًا فيلم "ممر المجد" لستانلي كيوبريك. لم أعد أقرأ، أو أشاهد أفلامًا من أجل المتعة، ولكن للعمل، والغريب أن طموحي هو الذي يدفعني إلى ذلك.. صحتي لا بأس بها، أعاني من آلام المعدة، وأيضًا أسناني، التي أهملها كثيرًا.

أقترب من السادسة والثلاثين، وبعد أربعة أعوام، إذا كتبت لي الحياة، سأبلغ الأربعين سيكون هناك طعم مختلفً للأشياء، طعم الأربعين، لو تصفح المرء ما كتبته عن سنوات حياتي التي ماتت للاحظ أنني لم أتغير كثيرًا إلا بعد الزواج، لكن علاقتي بالكلمة والصورة لا تزال على حالها..

بعد أن تركت مكتبة المعهد الفني، شعر الزملاء بأهميتي، كنت قد رتبت المكتبة على أحدث ما تكون، وفازت بجائزة أحسن مكتبة، وذهبت الجائزة إلى زملائي، مما جعلني أحس أن روحي تفرض نفسها على من حولها.

هبة كبرت، وأصبحت أكثر جمالًا، نعمة حامل، أتمنى من الله أن تقوم بالسلامة، خاصة أنها تعاني من القلب.. علاقتي بربي رائعة من

الداخل، ما زلت أؤدي الصلوات بشكل متقطع، وأقول إنني أفعل ذلك منذ أن رحلت أمي إلى بارئها.

الأربعاء أول يناير ١٩٨٦

وتتوالى السنوات، وتموت..

ويقصر الخيط، بعد أن طال العمر، عام جديد يطل علينا، وإيمان بالله وبقدره نستقبله بالدعوات..

عدت من القاهرة إلى سيوف شماعة لقضاء ثلاثة أيام، أقضى خلالها ليلة رأس السنة في المدينة التي أحبها. قضينا الليلة بالأمس في هدوء ودفء، ومع أسرة زوجتي بشقة فخمة تسكنها أختها الكبرى ومع بقية أفراد الأسرة، قبل منتصف الليل ببعض دقائق كنا معًا.

دعاء هي أهم حدث في حياتي خلال عام ١٩٨٥، ابنتي التي بلغت العام في الأسبوع الأول من ديسمبر بها الكثير من ملامحي، عندما يرى المرء تطور نمو ابنته يشعر بالسعادة، البنت جميلة، خفيفة الظل مثل كل الأطفال في سنها، ترعاها أمها، وتهتم بها، وهي وحيدة حتى الآن، لم تحدث بشائر حمل جديد ، حيث أن عام ١٩٨٥ شهد أكبر تحول لي على المستوى المادي، هو تحول محدود قياسًا لما يحدث في المجتمع، لكن معي بعض النقود القليلة، وافترشت شقتي الخاوية بالقاهرة.

تركت الاسكندرية لأعمل محررًا في مجلة الهلال، استلمت العمل رسميًا في ٢١ فبراير، مصطفى نبيل سهل لي الكثير من الأمور، شخص

مهذب، دمث، به الكثير من الأفكار الطوبوية، وقد فتح لي قلبه وقالبه، وسهل لي ما يخص العمل، بل فتح لي أبوابًا أخرى، حيث عرفني على المسئول عن مجلة "أهلا وسهلا" في لندن، التي دفعت لي أكبر أجر في حياتي.

جئت إلى القاهرة لأعيش فيها عام ١٩٧٥ ولمدة عامين، كنت راغبًا في أن أكون قريبًا من المؤسسات الثقافية والصحفية لأحقق مكانة أدبية، لكنني تهت في مدينة مرتفعة التكاليف، قاسية القلب، جعلتني أطلق عليها اسم "مدينة الغبار" كعنوان بديل لروايتي "أوديسانا"، وهأنذا أعود إليها، كي أتفرغ لأحقق حلمي. لذا رحت أتواصل مع أماكن النشر في أي مكان، خاصة المجلات الثقافية، نشرت مقالاتي في "الثقافة العالمية"، و"الدوحة"، و"الفيصل"، وفي جريدة عمان، وتوقعت أن تصدر لي بعض الكتب، واكتشفت أن نشر الكتب ليس بالأمر السهل، فالكتاب الوحيد الذي نشر لي كان يحمل اسم "البطل في روايات فتحي سلامة"، كنت قد كتبته كمحاولة للتقرب من قاص يأتي إلى الاسكندرية لمناقشة أعمال الأدباء، وقرأت أعماله، وأعجبتني، وتقدمت بالدراسة إلى مسابقة يعقدها المجلس الأعلى للثقافة، وفازت بالجائزة الأولى، وقام فتحي سلامة بطبع الكتاب على نفقته مع اتحاد الكتاب، وكتب مقدمة على لساني دون الرجوع إلى ادعى فيها أنه حاصل على الدكتوراه من الهند، وأنني رجعت إلى مؤلفات عنه بلغات أوروبية، واعتبرت أن هذه وصمة ضدي وليست معي ، وأبلغت الصحافة بذلك، وكانت فضيحة، لذا قررت ألا أكتب عن الأدباء المصريين إلا في أضيق الحدود.

وانتهيت من إعداد كتاب عن الرواية اليهودية في الولايات المتحدة.. كما انتهيت من إعداد كتاب عن الرواية أدب الخيال العلمي، وقمت بإعادة صياغة روايتي القديمة "بعض الناس يأكلون البرسيم "التي استوحيتها من تجربة انتخابات اتحاد الطلبة في كلية الزراعة عام ١٩٧٠، وغيرت عنوانها إلى "القائمة"..

قرأ أحد أصدقائي مسودة روايتي "أديسانا" فأعجبته، مما شجعني أن أطبعها، أما رواية "بردقوش" فلم أستكملها خاصة أنها حول ما يحدث في محطة الغربلة، وهي رواية عن قسوة العمل في هذا النوع من المحطات المليئة بالأتربة.

أعجبتني رواية "الزيني بركات"، وأيضًا رواية "اللجنة"، وقرأت بالفرنسية رواية "أليز أو الحياة الحقيقية" لكلير اتشرللي، وفي قاعات السينما، ونواديها، شاهدت الكثير من الأفلام الجيدة، لكن لم يبهرني منها أي فيلم، أحسست أن ذوقي تغير، ولم تعد أشياء كثيرة تدهشني، مثلما حدث فيما قبل، بدوت كأنني قد تكونت ثقافيًا وفكريًا وعقائديًا، ولم أسع إلى المزيد من التلقي، وخاصة في مسألة الوعظ، وخفت من هذا الإحساس بالنضج، فالمرء لابد أن يتلقى جديدا كي يفهم ماذا به، وكان هذا تفسيرًا مخيفًا أنني لم أعد أقرأ كثيرًا، ولا اقرأ الكتب كاملة إلا فيم يهم، ما عدا الروايات.

ولهذا السبب فإن المطربين الذين أسمعهم هم الذين كانوا يغنون في نهايات الستينات، وبداية السبعينيات، بالإضافة إلى فرقة الابا، وبدأت أحس أنني صرت أكبر سنا، عندما رأيت الشباب الصغير يستمعون بهوس إلى مايكل جاكسون، بينما أميل بقوة إلى فريق "الابا" الذي انفصل أعضاءه وكفوا عن الغناء معًا أو فرادي.

عودتي إلى القاهرة، فصلت ما بيني وأصدقاء الاسكندرية، خاصة محمود مصطفى الطائر في السفر، أما حسن صبيح فلم أعد أعرف أخباره، وظهر أصدقاء جدد منهم المخرج التليفزيوني سليمان خليل، وتلميذي إيهاب سيد الذي رافقني كثيرًا بعد تخرجه في المعهد.

تولدت صداقة قوية مع "سكرتيرة رئيس التحرير"، هي صداقة وليست عاطفية، اسمها فراولة، بنت طيبة، بالغة النقاء، فلسطينية الأصل، بيننا تقارب ملحوظ، اعتبرتها وجهي الآخر، ولا أتصور أن أقع في هواها.

السؤال الذي أطرحه على نفسي: هل حققت شيئًا مم أصبو إليه فعلًا، بذهابي إلى القاهرة؟ حتى الآن أقول لا بأس، فقد بدأت في التعامل مع الإذاعة، واكتسبت المزيد من الثقة، وارتفعت أسهمي، وناداني البعض بالموسوعة. حيث يلاحظ الآخرون مدى ما اتسم به من سعة معرفة في الأدب والسينما بشكل خاص، رغم أنني قرأت جيدًا في الفن التشكيلي، والتاريخ، والفلسفة، خاصة الحديث منها.

على شلش، مصطفى نبيل، محمود على مراد، من الشخصيات المرتبطة بالثقافة التي دخلت حياتي، على شلش قد يغير لي حياتي، أما مصطفى نبيل فقد غيرها فعلًا، ومحمود على مراد المقيم في جينيف، يسعى أن يدبر لي فرصة لزيارة سويسرا والإقامة بها لمدة شهرين.

لقد انصرم عام، ورحل بلا عودة، لكنه يترك الدماء ساخنة في عروقنا، والأنفاس في صدورنا، ونبلور الأيام التي نحياها، مؤكدة أنها أيامنا نحن طالما أننا نعيش بها.. ثم تنصرم مع السنوات شئنا أم أبينا

الخميس أول يناير ١٩٨٧

"ربنا واجعلنا مسلمين لك ولأمتك. أمة مسلمة لك. وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم".

هذه هي أولى الآيات القرآنية التي طالعتها وأنا أسمعها مع مطلع العام الجديد، علاقة قوية تلك التي تربطني بالله عز وجل منذ سنواتي الأولى، وفي السنوات الأخيرة، الله يعطي، وأنا لا أقابل كل هذا العطاء بنفس قدرته العظيمة. الله أكبر، الله كريم، الله هو ملاذي الأول، الله غفور، الله يسامح، تلك هي المفاتيح الأولى التي تربطني به عز وجل. وإذا بدأنا عامًا جديدًا بهذه الآيات الكريمة فهو إن شاء الله عام طيب، وإذا كان عام ١٩٨٦ سيئًا بالنسبة للعرب ولمصر، فإنه على جميع المستويات كان عام خيرات بالنسبة لي، رغم الحادث المؤسف الذي تعرضت له في أواخر ابريل في جنيف، فإن الأمور سارت على ما يرام.

نعم، سافرت إلى جنيف، مدينة الحلم بالنسبة لي. بهرت بالمدينة، بأجوائها التي شاهدتها عليها، كان يجب أن أقضى هناك سبعين يومًا، فلم أمكث بها سوى أسبوعين، عقب تعرضي لحادث سرقة في الترام رقم ٤ الذي يقطع شوارع المدينة، ووجدت نفسي أركب الطائرة وأعود إلى القاهرة، لأقابل بسخريات من البعض، الذين تصوروا أنني زعمت أمر السرقة، لعدم اكتمال الرحلة الدراسية، رغم أن المال يخصني، ولم يكن

رسميًا، كانت تجربة مفيدة، على المستوى الشخصي، ومرت الأمور بعد ذلك عادية.

إذن، محمود على مراد كان أبرز شخصية في حياتي عام ١٩٨٦، حيث قابلني في جنيف بترحاب شديد، رجل بالغ الرقة، والثقافة، هو سكندري، اكتشفت أن هناك صلة قرابة بينه وبين حماتي، جاء إلى مصطفى نبيل في المكتب، وعرض أن تيتضيف الجامعة صحفيًا للذهاب إلى جنيف، ليكون ضيفًا لمدة سبعين يومًا على قسم الترجمة، ورشح مصطفى نبيل اسمى، على أن تدفع دار الهلال ثمن التذكرة، وأتحمل أنا بقية مصاريف الرحلة، وهكذا اتولدت صداقة كبيرة، رغم أنه يكبرني بربع قرن، قابلته مرتين في العام، حين سافرت إلى جنيف، حيث قام بالتدريس لي نهارًا، وقابلته في المساء ونحن نتجول في المدينة، وبعد أن سرقت نقودي إلا قليلًا، قررت العودة إلى القاهرة دون أن أبلغه، حتى لا أكون ثقيلًا عليه، ثم التقيته في الاسكندرية حين جاء إليها في زيارة قصيرة مع نهاية السنة، اقتربت منه كثيرًا وبدا معجبًا بي، ومثلما خرجت من حياتي خلال العام شخصية كنت أحبها كثيرًا طوال أعوام هي محمود مصطفى لقد انقطعت المراسلات بيننا منذ عشرة أشهر، شكلت صداقتنا في الفترة الأخيرة نوعًا من التنفيس، فهو يكتب لي خطابات تنفيس عن أفكاره، وأنا كذلك، لكننا حين نلتقي نبدو كالغرباء، فهو يتعامل بلغة المسافر، عليه أن يقضى حاجياته قبل العودة، أما في رسائله، فيبدو دافئًا مليئًا بالعطاء، وهكذا تكونت صداقات رسائل، هي في أغلب الأحيان بذرة من صداقات تكونت في نوادي السينما. صنعت بعضها الغربة. هو

إنسان شريف، واضح، طيب، وأعتقد أن صداقتنا سوف تستمر لفترة أخرى رغم السفر.

إذا كانت ابنتي دعاء هي حدث عام ١٩٨٥، فهي الصرح الأكبر لي في العام التالي، صار عمرها عامين، تشكل لي مشاعر فياضة، هي مليئة بالحيوية والنشاط والذكاء وخفة الظل، وبحكم عملي فإنني أراها كل أسبوع أيامًا أو ساعات، أو أكثر، ترفض أمها الحضور إلى القاهرة للإقامة معي، جاءت إلى هناك، فرفضت المكان، لذا تعرضت علاقتنا كالعادة إلى الكثير من التوتر، هي امرأة مثل الكثير من الزوجات، وليست متفردة في ذلك، لكنني أحس أن الأمر متضخم قليلًا، فهي لا تعترف بالفقر المدقع الذي عشته، كما أنها منفصلة تمامًا عن عالمي ككاتب، وهذا أمر بالغ الأهمية، ولذا، فإنني لا أحاول أن أنغص على نفسي، وأعتبر أن سعادتي بما أنجزه أمر مقدس يجب ألا ألوثه باختلاف في وجهات النظر ينتهي باختلاف أسرى، حيث أن هناك هدفًا محددًا أمامي.

لم أنفصل تمامًا عن كرموز، فأنا أزورهم كل أسبوع عند حضوري إلى الاسكندرية، ولا زلت أكتب مراسلاتي على ٢٧ شارع الفهد، علاقتي بنعمة تحسنت كثيرًا، وأحب هبة حبي لدعاء، رزقت نعمة خلال هذا العام بمولودها الثالث وأسمته محمود، مصطفى على ما يرام رغم أن حالته المادية ليست كسابق عهدها.. توفى خالي محمد بدوى الذي

ظللت قريبًا منه لأكثر من عشرين عامًا بعد معاناة طويلة مع مرض السكرى، الذي دمر جسمه تمامًا، فجعله يقطع ساقيه، ويفقده البصر..

غريبة علاقاتي بالآخرين، خاصة فيما يتعلق بالصداقات، بدأت أفتقد الصداقات الحميمة، فربما أن من حولي تربطهم بالآخرين علاقة مصالح في المقام الأول. قابلت في محيط العمل نماذج إنسانية من أسوأ من عرفت في حياتي، بما يذكرني بنموذج عبد الوهاب الذي كان زميلًا لي أثناء تجنيدي، أدركت كم أن نجاحي الأدبي يثير ضغينة الآخرين، وصفني واحد ممن أعرف أنني انتهازي ولا أعرف على أي أساس بني رأيه، رغم أنني عندما فكرت في تصرفاته، وجدت أن الصفة تليق به أكثر، لكننا لن نخسر البشر من أجل عبارة جاءت على ألسنتهم، من المهم ألا نفسد علاقتنا بمن نحبهم، ولا يوجد اسم مهم سوى رسائل من بهاء غراب في الإمارات، صديقي الفنان الذي صمم لي ورسم غلافي روايتي "لماذا"، و"أوديسانا".

علاقتي بفراولة، ليست علاقة حب، كما قلت من قبل، أنها صلة قوية عمادها التفاهم، هي الإنسانة الأقرب إلى طوال العام، نحن متفاهمين إلى أقرب حدود التفاهم. وأؤكد أن فراولة هي كياني وإحساسي الصادق، تمت خطبتها إلى شخص يستحقها، ولعلها سوف تترك وظيفتها بعد زواجها، وسوف أخسر بذلك شيئًا مهما في حياتي.

الشخصية الثانية التي أشعر بالتفاهم والمودة معها خلال هذا العام هي مي، سكرتيرة مدير معهد جوته بالإسكندرية، وقد أحسست وأنا أفتقدها هذا الأسبوع بسبب أيام الحمل الأخيرة مدى ما بيننا من مشاعر صداقة قوية.

وجهت قلمي دومًا إلى كتابة ما هو جاد ومفيد، ويغيظ هذا الكثيرين، خاصة الأجيال التي سبقتني التي أحسست أنني أسحب البساط من تحتها، وأنا أكشف مستواها الثقافي والمعرفي، فقد نشرت المزيد من الكتب، منها "الاقتباس في السينما المصرية"، في طبعة بدائية على نفقتي الخاصة، لأسباب تتعلق برقم الايداع، وقد أحدثت هذه الطبعة دويًا غريبًا في الصحافة والإذاعة فنشرت عنه مقالات في أغلب الصحف والمجلات بمصر والعالم العربي، وتحدثت عنه محطات إذاعية في لندن وإسرائيل، وصوت العرب، والبرنامج العام، والشرق الأوسط وعشرات المجلات وتم طبع الكتاب مرة أخرى في سلسلة "الموسوعة الصغيرة" بالعراق في شهر سبتمبر وإن لم يوزع بعد في البلاد العربية على مستوى عريض، وأعتقد أنه عندما يتم ذلك سوف يحدث الضجة نفسها، وقد استلمت مكافأة لا بأس بها تعادل ما ضاع في الترام بشوارع جنيف،

الكتاب الثاني هو "آلة الزمن العجيبة"، وهو رواية للأطفال، صدر في سلسة "كتب الهلال للأولاد والبنات"، في يوليو، وهي بمثابة آلة زمن تسافر إلى أهم التواريخ العربية، مثل زمن أحمس، وأيام عين جالوت، وعدوان ٥٦، وغيرها.. ومع نهاية عام ١٩٨٦، والأسابيع

الأولى من هذا العام تصدر رواية "البديل"، بعد مشقة في السعي وراء نشرها، سوف تصدر في الهيئة العامة للكتاب، كما جاءتني رسالة من العراق أن كتابي عن "الرواية اليهودية في الولايات المتحدة وفرنسا".. سوف ينشر في بغداد خلال أشهر، وتلك قفزة أخرى.

أسعى لإعادة نشر "أوديسانا"، وكتابي عن "أدب الخيال العلمي"، ورواية "شحاذون ومتكابرون"، التي ترجمتها عن ألبير قصيري، في الأشهر الأخيرة تم تعييني سكرتير تحرير روايات الهلال، ولست سعيدًا كثيرًا بهذا، فلم أعد راغبًا في ترقية وظيفية مهما كان السبب، رغم أهمية ذلك من ناحية الوجاهة الاجتماعية، فأنا في المقام الأول كاتب.

تعرضت الصحافة العربية، خاصة الثقافية لهزة بعد انخفاض أسعار البترول، ولا شك أن هذا قد يؤثر على، إلا أنني أنوع من أعمالي مع جهات مختلفة، لذا فالأمر لم يشكل بالنسبة لي أي ارتباك، وأعتقد أن الأمور تحسنت في الفترة الأخيرة، لا زلت أكتب في أكثر من مطبوعة، خاصة مجلة الهلال، بصفة شبه منتظمة، هناك دعوة إلى فرنسا خلال العام الجديد لحضور مهرجان سينما المرأة في كريتي، وربنا يسهل.

ما زلت واقعا في اسر القراءة من أجل العمل، ولا أذكر أنني قرأت كتابًا بهرني، ليس فقط في عام ٨٦ ولكن أيضًا منذ أعوام، حدث الشيء نفسه في السينما، كما حدث الأمر نفسه بالنسبة لعلاقتي بالموسيقى، والأغنيات، فلا توجد أغنيات جديدة تشد انتباهك، ولا مطرب عالمي

جديد، أو محلي يمكن أن تفتح له أذنيك.. لم أبحث عن الأسباب، صارت الأفلام مجرد صور متحركة، حتى فيلم الأوسكار "بعيدًا عن افريقيا" الذي شاهدته في جنيف، لم يبهرني، وإن كنت قد أعجبت بفيلم "حدث في أمريكا" من إخراج سرجيوليوني، لذا فإن الأسماء التي بهرتنا في طفولتنا وصبانا لا تزال تجذبنا، بما يعنى أننا لا نتحرك من الدائرة الضيقة التي نتحرك فيها، لقد أصابت الشيخوخة بعض هذه الأسماء، ومات البعض الآخر، لكن أعمالهم القديمة لا تزال ماثلة في أذهاننا، السنوات تموت، وأخذت معها كل من أودري هيبورن وعبد الحليم حافظ، وفريد الأطرش، وأصابت الشيخوخة كيرك دوجلاس، وشون كونرى، وافترق أعضاء فريق الابا.. لكن أعمالهم لا تزال ماثلة في الوجدان..

لا يمنع هذا أن تبهرني أوليفيا نيوتن جون في فيلمها "زانادو".

الجمعة أول يناير ١٩٨٨

كان العام الذي انصرم هو أيضًا أحد أسعد السنوات التي مرت بحياتي العملية والأدبية والإنسانية بصفة عامة، إن لم يكن أسعدها على الإطلاق، رغم التوتر الأسرى الذي اعتدته.

بدأ العام بشراء جهاز فيديو في البيت، وتوالت عمليات الشراء من أموال منحني الله إياها برزقه الواسع، وكان أهم ما اشتريت هو شقة في مدينة نصر، عن طريق نقابة الصحفيين، في إمكانها أن تنقلني إلى شريحة مختلفة عن منطقة أبو قتادة، كما اشتريت أشياء أخرى كانت سببًا للسعادة ودافعًا للإحساس بالتغيير نحو الأفضل، لكن إمكاناتي حتى الآن لا تسمح لي بشراء سيارة، لذا انحصر أغلب ما اشتريته في لوازم المنزل سواء في الاسكندرية، أو القاهرة.

أهم ما يميزني حتى الآن تلك الشاعرية، والشفافية، شاعرية في سلوكي تجاه الآخرين، وقد ساقتني علاقاتي الأسرية المتوترة أن أتعرف على فتاة مثقفة تسمى رويدا، سرعان ما ارتبطنا في الأشهر الأخيرة، وسرعان ما ذهبنا إلى شقة مدينة نصر، وكدت أن أقع في الخطيئة لولا ستر الله الذي يريدني دائمًا أن أكون بكرًا وسرعان ما أصابني ندم شديد لعدة أسابيع، ولا يزال هذا الإحساس يلازمني، وخفت أن أضعف، وأن أدلف من باب الخطيئة فاتصلت بزوجتي كي تأتي إلى القاهرة، وحين جاءت دخل إلى البيت رزق واسع، فاشترينا المتبقي من الأثاث اللازم

للمنزل، لكن متاعبا جديدة تولدت، وسرعان ما خرجت مع رويدا، لكنني لم أكرر مسألة العودة إلى الرجس مرة أخرى.

رويدا في السادسة والثلاثين، مثقفة، وتبدو كأنها متعددة العلاقات، إلا أنني لم أشأ أن أكون واحدًا من علاقاتها، في الوقت الذي تزوجت فيه فراولة وتركت العمل، وفقدت صداقة بالغة الحميمية، فقد كانت تمتلك ملكة الاستماع، لذا كانت قريبة من عقلي ووجداني، وكنت أدرك تمامًا أن هذه العلاقة سوف تنتهي يومًا حيث أنها ستتزوج، وغادرت المكان في شهر أغسطس، ومن يومها لم أرها.

أما الفتاة الثالثة، فهي مها، التي تخرجت في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جربت العديد من الوظائف الفاشلة، وحاولت ممارسة الصحافة، انبهرت بي ككاتب، وجاءت تتحاور معي، وكانت صداقة، لم تكن أبدًا حب. أو أى شيء من هذا القبيل، فقد بدت تائهة، بالغة التحفظ، وتولدت صداقة، تقابلنا على فترات متقاربة ما لبثت أن تباعدت، حاولت أن أزوجها لزميل لنا يحبها بجنون، وهو سبب تعارفنا إلا أنها ترفض فكرة الزواج، وتعد نفسها للرحيل إلى ألمانيا، والبقاء هناك. وبالفعل فقد غادرت في شهر أكتوبر، ولم أفتقدها، لا كثيرًا ولا قليلًا، لكنها كانت نموذجًا عاقلًا مريحًا للصديقة القريبة من المرء، أعوض من خلالها ما أفتقده في مكان آخر من التفاهم.

أروع ما في حياتي الأسرية هي ابنتي دعاء، التي تقترب من أمها بقوة، ومع ذلك فهي تحبني كثيرًا .بدأت صفاتها في التبللر، فهي تحفظ الأغنيات، وترقص، وتضحك، كثيرة الحركة، دائمة المداعبات وهي الشيء إشراقًا، مصباح مضيء من حولنا، كم لعبت دورًا في أن تقربني من زوجتي، خاصة في عيد ميلادها الثالث.

اعترف أن أفضل ما في زيجتي هو النسب الذي ارتبطت به، خاصة السيدة حماتي، وكل أبنائها دون مفاضلة وجميعهم يختلفون عن زوجتي، فلو أن زوجتي تمتلك بعضًا من صفات أمها، لكنت أسعد البشر على الإطلاق.

لم تتغير أشياء كثيرة من حولي في محيط الأسرة، أو العلاقات، أتصرف دون ان أنتظر رد فعل الأشياء، وكل ما يهمني هو ان أحقق طموحاتي، كم شعرت أن رزقي الذي يمنحني الله إياه، بعد طول حرمان، هو من حق الآخرين، خاصة أسرتي، وأسرة نعمة، وكما سبق أن كتبت، فإن نجاحي الأدبي ونشر مقالاتي في الصحف والمجلات أمر يسبب لي السعادة الغامرة، وقبل أن أتحدث عن هذا الأمر، فإن عائلتي فقدت خالي إبراهيم بدوى، ابن عم لأمي، كان قريبًا إلى قلبي كثيرًا، كما كاث أيضًا زوج ابنته إبراهيم أبو ندا، وقد كان وجودي في القاهرة سببًا في قلة زيارة أهلي في منطقة محرم بك.

كان عام ١٩٨٧ موفقًا في حياتي الأدبية، حيث نشر لي ثلاثة كتب، لا أعرف لماذا لم ينتبه النقاد إلى رواية "البديل" التي صدرت في فبراير، التي حاولت أن أجمع فيها الأماكن التي ضمتني بـ "ديدي"، أردت أن أؤكد أهمية المكان في صعود وهبوط قصة حب، لم أكد ضد الفتاة التي أحببتها، بل رأيت أن هذه الأماكن لا تزال باقية، تشهد على قصص حب أخرى، بينما تلاشت أشباح بطلى القصة التي أرويها.

الكتاب الثاني صدر في شهر ابريل بالعراق تحت عنوان "الرواية اليهودية الحديثة في الولايات المتحدة وفرنسا"، ورغم أهمية الدراسة وجديتها إلا أن أحدًا لم ينتبه إليها، باعتبار أن الكتاب لم يصل إلى القاهرة للتوزيع، عدا العشرين نسخة التي استلمتها عبر البريد، أما الكتاب الثالث، فهو للأطفال، صدر في يوليو عن سلسلة كتب الهلال للأولاد والبنات، بعنوان "حكايات غيرت الدنيا"، وهو في مجال تبسيط العلوم، حول التقنيات الحديثة، مثل مترو الأنفاق، والمترو، والكاسيت.

رغم أن هناك حظرًا من رئيس التحرير ألا أكتب في مجلات منافسة، فقد كسبت أرضًا جديدة من خلال مجلة "القاهرة" التي أكتب بها شهريًا منذ فبراير الماضي ورئيس تحريرها الدكتور ابراهيم حمادة الذي أحبه كثيرًا، وفي مجلة "الشاهد" بقبرص، و"الحرس الوطني"، السعودية، ومجلات أخرى منها "صوت العرب"، و"الفيديو العربي"، وكان عام ٨٧ أيضًا عام خسائر، حيث توقفت عن الكتابة في جريدة "الرياض" السعودية، كما توقفت مجلة "فنون" العراقية عن الصدور،

وتقلص صدور مجلات أخرى منها "الطليعة الأدبية"، لذا، فإنني أحاول إيجاد أرض بديلة للنشر.

ساعدني وجود الفيديو في المنزل أن أري مجموعة أكبر من الأفلام خلال هذا العام، وصلت إلى ١٨٦ فيلمًا أي بمعدل فيلم كل يومين، وقد شاهدت أغلبها في جهاز الفيديو بالإسكندرية، وكان أبرز ما شاهدت فيلم الخيال العلمي الرائع "الشمس الخضراء" لريتشارد فلايشر، و"ضابط وجنتلمان"، وأيضًا فيلم "الأمل والمجد" لمخرجي المفضل جون بورمان، والفيلم القديم "الغناء تحت المطر"، كما شاهدت بعض أفلام مهرجان القاهرة رقم ١١ في عروض خاصة داخل مبنى الرقابة، إلا أنني لم أشترك في المهرجان لأسباب تتعلق بالمشرفين عليه، أما عن القراءة فلم أعد قارئًا جيدًا، قرأت فقط ثلاثين كتابًا من أبرزها "ليلة القدر "للطاهر بن جلون، وكتاب من أدب الخيال السياسي هو "ثقب في قاع النهر" لروائي غير معروف، يدعى عمر كامل طبعه على نفقه الخاصة، وفي الرواية، يتخيل كيف ستكون مصر تحت حكما التيار الديني المتشدد.

عكفت على إعادة كتابة "الخيال العلمي أدب القرن العشرين" بصياغة جديدة، فجاء بحثًا ضخمًا يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير، أرسلته إلى سلسلة "عالم المعرفة"، وقد أكد بعض من قرأ المسودة، أنه أهم من رسالة دكتوراه، أما كتابي الثاني الذي انتهيت من

إعداده، فهو "العنف في السينما المصرية"، وقد نشرته كمقالات في جريدة عمان.

أكتب هذه المقالات والكتب على نغمات البرنامج الموسيقى، حيث أستمع إلى نفس الأغنيات القديمة والمطربين الذين ظللت أحبهم منذ سنوات، بدأت أشعر بالحنين إلى زمن الصبا والشباب، لا أعرف تفسيرًا لذلك، هل هو علامة للشيخوخة المبكرة، أم أنه جدب من الأجيال الحالية المعطاءة، الراديو صديق حميم بينما أنا أكتب.

مثلما أرى التدين سلوك، فإن الثقافة سلوك، وسلوكي وثقافتي هما حياتي، فأنا لا أقبل أن أكون منحرفًا، ولم أقبل مليمًا واحدًا جاءني بأسلوب غير شرعي، بل إنني لم أقبض مليمًا إلا عن كتاباتي، أي أن كل ما دخل إلى جيبي صار عن طريق الكتابة، ولا أميل إلى فعل "الحرام" أو "الممنوع" الاجتماعي، لا أحب السياسة ورجالها، ولم أسع قط للانغماس في أي عمل سياسي، رغم أنني رأيت الكثير من هم حولي يناضلون من أجل أن يكونوا قريبين من السياسة، ورجالها، باحثين عن السلطة، وإرضاء أصحابها.

السبت ٣١ ديسمبر ١٩٨٨

في السنوات الأخيرة، إن لم يكن في كل حياتي، ظللت حريصًا أن أقضى ليلة رأس السنة في مدينتي الاسكندرية، أقضيها مع أسرتي، وفي السنوات الأربع الأخيرة اعتدت على قضاء هذه الأمسية في بيت نجوى شقيقة زوجتي، وكم كانت ليال طيبة أقضيها في صحبة عائلية ثم أعود إلى بيتي لأمارس حياتي في العام الجديد بكل سلبياتها وإيجابياتها.

هذا العام تغير شكل الأشياء، ففي بداية العام تعمدت أن آخذ الدفتر الذي أدون فيه وقائع الأعوام معي، وقد ساورني الإحساس أنني لن أكون في الاسكندرية مع نهاية السنة، كم أحسست أن هذا الكراس هو جزء من نفسي، إن لم يكن كله، فهو العمر بأكمله مدون بصدق، وبدون رتوش، حرصت أن يكون الدفتر معي، خاصة أنني لم أنم في شقتي بالإسكندرية طوال أيام قليلة، لقد شدتني القاهرة بسحرها، والنجاح فيها، وتغيرت حياتي كثيرًا مع شقتي الجديدة في مدينة نصر.

شيء غريب في هذه المدينة، وشيء أغرب في الشقة، فرغم أنها رقم ١٣، إلا أنني منذ أن دخلتها للإقامة في الحادي عشر من أبريل، وأنا لم أنم خارجها إلا للضرورة، وأصبحت قطعة منها، وقلت حركتي للخروج من هذه الشقة بشكل ملحوظ، شقة رأيت أفقها منذ خمسة عشر عامًا، حين كنت جندي حراسة في مركز التدريب بالجبل الأحمر، وتطلعت إلى حي الزهور، وتمنيت أن أسكن هناك، وأيضًا حين قابلت

الكاتب عبد الفتاح الجمل في نفس المنطقة منذ ثلاث سنوات، وحسدته أنه يسكن في حي الزهور، الآن أنا أسكن هذه المنطقة.

لم أغادر الشقة إلا ثلاث مرات، أقمت أثناء أحدها في فندق شيراتون المنتزه، أثناء مهرجان الاسكندرية في شهر سبتمبر، أما المرة الثانية فحين سافرت لمدة أسبوع إلى مدينة "أغادير" المغربية بفندق "صحراء"، هناك رأيت عالمًا أوربيًا في المقام الأول، كشفت عن جنوني الشرقي، رأيت نساء عاريات الصدر في حمامات السباحة، وجلست أراقبهن بعيون محرومة، لكنني سرعان ما أحسست أن التلصص شيء سخيف، وأن ما أراه ليس فاتنًا بالمرة، مثلما يتصور البعض. أما المرة الثالثة التي نمت فيها خارج المنزل، فقد سافرت فيها إلى بغداد لقضاء عشرة أيام لأقيم بفندق مريديان، كانت الرحلة إلى المغرب في أواخر أكتوبر، أما رحلة العراق ففي الأسبوع الأخير من نوفمبر، الغريب أنني في كل مرة، كنت أعود مباشرة إلى شقتي في مدينة نصر دون المرور على شقة سيوف التي بدت غريبة على، حتى عندما كنت أنزل الاسكندرية من أجل معهد جوته، كنت أنام في شقة عديلى زكريا الموجود الآن بالسعودية، حيث تقيم حماتي أثناء سفره وزوجته.

صار على أسرتي أن تستقر في القاهرة، حيث التحقت دعاء بمدرسة سانت فاطيما بمصر الجديدة، لقد نجحنا في إلحاقها بالمدرسة، رغم أنها أصغر بشهرين، فقررت زوجتي الاستقرار، على مضض، بالقاهرة والبقاء لأطول فترة في القاهرة.

التوتر الأسري، فتح لي باب عمل علاقات ما سريعة، وأنا في المغرب، ثم حين سافرت إلى العراق، في المغرب، تعرفت على فتاة حسية، عرفت أنها محترفة، تريد نقودًا لقاء الصعود إلى غرفتي، لكنني أبدًا لا أدفع نقودًا مقابل علاقة آثمة، صاحبتني هذه المغربية لأطول مدة خلال إقامتي بالمغرب، يا لها من امرأة جميلة ناعمة الملس، صادقة، بالغة السخاء، منحتني دفئًا لم أحصل عليه منذ أيام ديدي، كله نوع من التلامس الخارجي، رفضت الصعود إلى غرفتي، لا أنكر أنني أضعف أحيانًا، لكن السماء تحميني من فعل الحرام، وهي سمة أشكر الله عليها، كان اسمها فتيحة، قدمت لي بعضًا من ملابسها الداخلية على سبيل الذكري.

المرأة الثانية هي المثقفة، أنها تتصل بي أحياناً، نلتقي وأتراجع عن التواصل، تباعدنا وتقاربنا حتى انتهت العلاقة تمامًا.

في المغرب التقيت مجموعة كبيرة من المثقفين اليسارين، وكانت الصحافة قد شوهت صور اليسار وصورتهم على أنهم من الشياطين الأشرار، إلا أنني صدمت بشكل عكسي، وأنا ألتقي بهم، وجدت نفسي، أتعاطف معهم بقوة، نغني معًا، ونتضاحك، ونرقص، وشعرت كأن الدكتورة لطيفة الزيات هي أمي التي لم تلدني، وأن عبلة الرويني هي أختي التي لم تنجبها أمي، وأيضًا فريدة النقاش وآخرين، واكتسبت صداقات جديدة، واكتشفت أن وراء كل وجه سياسي، إنسان يجب أن نتعرف عليه، وعدت إلى القاهرة، وقد صرت قريبًا لبضعة أيام من صلاح أبو سيف، وعزت

العلايلي الذي يحبه أهل المغرب كثيرًا.. كان في الكثير من الأحيان يبدو كالطاووس، وقد اعتاد أن يلتقط الآخرون له الصور، ويتصرف كنجم مشهور..

كنا في مؤتمر أدبي سياسي، وكان نجيب محفوظ قد حصل على جائزة نوبل، وقال على سالم إن مصر تتغير الآن، وإن خبر فوز محفوظ بالجائزة قد سبق كل خبر سياسي خاص برئيس الجمهورية.

أدركت أن حياتي ضيقة للغاية، لا تبتعد كثيرًا عن قراءة الكتب، ومشاهدة الأفلام، وكتابة الكتب أو المقالات وأن حياتي في الأصل هي حياة إنسان طوبوي، انبهرت بكتاب "أرض الأحلام" الذي قرأته في بداية حياتي من إعداد الدكتور زكى نجيب محمود حول المدن الفاضلة المشهورة، ووجدت أنها مدن مصنوعة على هواي، وظللت دومًا أتصرف على أنني أعيش في إحدى هذه المدن، لذا فلم أرتكب ذنبًا كبيرًا يومًا، ولم أسع لارتكاب الآثام ويكفى أن أذكر أمرًا بالغ التفاهة ليكون عنوانًا على سلوكي، فأول أمس وجدت دبوس غسيل أسفل العمارة، فأخذته لنفسي، ثم تركته مكانه وذهبت، لم أحلله لنفسي، هذا هو مفتاح سلوكي

وهكذا، أتصرف مع كل الآخرين، أعطى ولا آخذ، أو أفكر في أن آخذ، فمن يمنحه الآخرون هو أقل منهم، كما أنني أقدس الأماكن التي ارتبطت بها دومًا، فحتى الآن لا يزال عنواني في البطاقة، وعنوان المراسلة، هو ٢٧ شارع الفهد، وذلك حتى أظل مرتبطًا بالمكان هناك،

في هذا العام التقيت بأخي محسن، وذهبت إلى المطار مع ابنه لاستقباله وهو عائد من اليمن، رغم الفتور الذي طرأ عللا علاقته ببقية أخوته.

تتأثر أصدقائي في أماكن عديدة خلال هذا العام، انشغلوا ببيوتهم التي أسسوها وتزوجوا فيها، وأيضًا بوظائفهم، مثلما حدث مع صديقي سمير غريب الذي أصبح من قادة وزارة الثقافة، ترى هل تتغير علاقات الإنسان بشكل حاد، وهو يزحف مثلي نحو سن الأربعين، من أصدقائي الذين أرتاح إليهم الدكتور بهاء حلمى، وهو صاحب منصب مرموق في بنك مصر..

شاهدت القليل من الأفلام، وقرأت عددًا محدودًا من الكتب، ليس هناك شيئًا مميزا في هذه الإبداعات، هذا العام نشر لي كتابان، الأول هو رواية "شحاذون ومعتزون"، والمفروض أنها "شحاذون ومتكابرون"، كنت قد عثرت على الرواية في مكتبة أسماء البكري، وأخذتها وقرأت بعض صفحاتها، وأنا عائد إلى الاسكندرية وقررت أن أترجمها إلى اللغة العربية دون أن أستكمل قراءتها، بهرتني الشخصيات التي في الرواية، أنهم هامشيون، يعيشون كما اختاروا لأنفسهم الحياة، مثل الأستاذ الجامعي الذي اكتشفت زيف مناهج التاريخ، فترك حياة الرغد، اسمه جوهر، وقرر ان يعيش في غرفة سريرها ورق الجرائد، وهو يرتكب جريمة مجانية عندما قتل فتاة في بيت للعاهرات، عندما تصور أن الأساور التي تلفها الصغيرة حول ذراعها هي من الذهب الحقيقي، كل

أبطال الرواية "اختاروا" حيواتهم بأنفسهم، أحب هذا النوع من البشر الذين يمتلكون حريتهم، ولا تقيدهم الوظائف، أو النقود..

أما الكتاب الثاني، فهو للأطفال بعنوان "أجمل حكايات البحر"، قمت فيه بحكي أن أربعة أفلام شهيرة، تدور قصصها فوق البحر، مثل "الفك المفترس"، و"موبى ديك"، و"العجوز والبحر"، نجح الكتاب بشكل ملحوظ، وكان ذلك فاتحة لخير في المجال نفسه أعتقد أنه سيحدث مع العام الجديد، أما الخبر السعيد فهو أنني عرفت أن الكتابين اللذين نشرا في العراق قد نفدا خلال عام، وهما "الاقتباس في السينما المصرية" و"الرواية اليهودية"، وتمنيت لو نشرتهما من جديد.

بدأت أحس بانصرام الزمن، تحدثت مع أحد زملائي عن طفولتي، وأيام الشقاوة في سينما الهمبرا التي كنا نترك المدرسة صباحًا من أجل رؤية الأفلام في حفل الصباح، اكتشفت فجأة أن من الصعب استحضار هذا الماضي، أو العودة إليه في الواقع، وأننا قد أهملنا الزمن الذي راح إلى دائرة النسيان، وقررت استعادة سنوات الصبا أن أكتب عن فترة المراهقة التي عشتها بين عامي ١٩٦١و١٩٦٧ في الاسكندرية. وكتبت روايتي "وقائع سنوات الصبا" في سبعة فصول.. رويت ما حدث لي في هذه السنوات بأسماء الشخصيات، كيف نجحت في القبول، وشاهدت فيلم الوسادة الخالية، ربطت بين حياة هذه الفترة والأفلام التي أثرت في وجداني، مثل "الشموع السوداء"، و"صوت الموسيقى"، و"وكر الشيطان"، و"ذهب مع الريح"، وتحدثت عن طعم القبلة الأولى، وكانت

الرواية بمثابة التعرف على أشياء كثيرة لأول مرة، مثل أول مرة يحب فيها المرء، وأول مرة يسمع مصطلحًا سياسيًا مثل الاشتراكية، وأول مرة أتبادل قبلة، وأول مرة أنجح في شهادة.

كم أنا سعيد أنني انتهيت من كتابة هذه الرواية أثناء شهر رمضان الماضي، رغم أنني لم أبيض المسودة حتى الآن، حيث لا أريد أن أتذكر هذه الفترة مرة أخرى بعد أن أشجتني، أعتقد أنني لن أتمكن من نشر هذه الرواية قبل عامين بسبب أزمة النشر.

نشرت مقالاتي في مجلات وصحف عديدة من أبرزها جريدة "عمان" التي تنشر لي مقالات ثقافية بصفة منتظمة، كما نشرت لي "الحرس الوطني"، و"القاهرة"، و"الفيصل"، رغم الحظر المفروض على من رئيس تحرير الهلال، إلا أنني لم أتوقف، وقد أتاحت لي فرصة السفر إلى خارج مصر، أن أتعرف على الكثير من المثقفين العرب، وكانت هناك عبارة تقال لي دوما: "هل أنت.. نحن نعتقدك رجلًا عجوزًا، أنت صغير السن".

هناك جملة مشابهة، رددها لي مثقف سكندري ثقيل، لم يحقق شيئًا سوى الجلوس في المقاهي، قال لي قبل سنوات إنني لم أحقق هذا التواجد إلا بفضل الاستخبارات الأمريكية، ورغم أنه يذمني، فإنني أحسست أن لي كفاءة وقوة تعادل كفاءة الاستخبارات الأمريكية، فقد

سلكت طريقي في الصخر، وسط ظروف صعبة للغاية، دون أن يساعدني شخص ما..

وهكذا اخترقت الصخر والريح.

الاثنين أول يناير ۱۹۹۰

كان عام ۱۹۸۹، هو كذلك أسعد سنوات حياتي، إن لم يكن أكثرها توفيقًا على الإطلاق، لعل ذلك راجع في المقام الأول لحصولي على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال في شهر يونيه الماضي، رحت طوال الشهور الماضية أحاول استثمار هذه الجائزة، تحدثت طويلًا في الإذاعة، ونشرت الصحف والمجلات الكثير من الأخبار عني، سواء في مصر أو خارجها، كنت أعرف أن مثل هذه الفرصة لن تتكرر قط في حياتي، وأن الحصول على الجائزة أهم إعلاميًا، من تأليف عشرات الكتب، وما زلت أحاول أن أستثمر هذا الفوز بشكل أو بآخر، كانت الجائزة عن كتاب للأطفال يحمل عنوان "حكايات غيرت الدنيا".

وكان الثمن غريبًا بحصولي على هذه الجائزة، وأيضًا أنني تجاوزت سن الأربعين، أولها أنني وجدت أن على أن أحترم نفسي أكثر بشأن التعامل مع المؤسسات الثقافية. وخاصة مع الآخرين، فلم أعد أقبل أن يكون المشرفون على نشرة مهرجان الاسكندرية أشخاصا عرفوا بأنهم عواجيز فرح، لذلك آثرت أن أنسحب من المهرجان بشمم وألا أسافر إلى الاسكندرية، رغم أنني كان يمكن قضاء أسبوع في فندق شيراتون، ومثلما توقعت، فالذين وكلت إليهم مهمة إصدار النشرة فشلوا في إصدارها، كما أن المهرجان فشل، ولاقي الكثير من الهجوم، وأحسست كم أحترم نفسي.

فيما قبل، كنت أجرى وراء منظمي المهرجان كي أكون إلى جوارهم، لكنني الآن لا أكن لأي منهم أي احترام، وأشعر أن لكل منهم أغراضه التي لا تتفق مع ما أحس من سمو، خاصة فيما يرتبط بالعمل الثقافي، نفس الشيء جعلني لا أشارك من قريب في أنشطة مهرجان القاهرة، سوى كتابة بعض المواد في النشرة.. وكانت المهمة ترتبط بمجاملة أو محبة عمل مع أحمد رأفت بهجت.

الأمر الثاني، أنني رفضت السفر إلى بغداد لحضور مهرجان ثقافي، بعد أن أحسست ان هناك موقفًا عامًا بعدم السفر بسبب أحداث اجتماعية حول مقتل بعض المصريين في العراق، ورغم أن أغلبية الذين أعلنوا رفضهم قد سافروا فيما بعد، إلا أنني لم أفعل، ولم أحس بالندم.

بسبب الجائزة، أحسست برضاء ملحوظ، رغم أن مقالاتي هذا العام هي أقل مما كتبت في السنة الماضية، فعلى سبيل المثال، لم ينشر لي سوى كتاب واحد هو "شارلى المتشرد"، وهو كتاب للأطفال حكيت فيه بعض قصص أفلام شارلى المتشرد، إلا أن ظهوري في البرنامج التلفازي "سينما نعم سينما لا"، لمدة ست دقائق كان تتويجًا لنجاح كنت أنتظره، فقد اتصل بي أشخاص كثيرون يهنئونني على طريقتي في الكلام، ومعرفتي. وكان ذلك تتويجًا جديدًا للجائزة، وترك أثرًا جيدًا في المحيط الذي أعيش فيه.

فرح لي البعض، وشعر آخرون بالغيرة، ولم أبال، كنت مشغولًا بنجاحي، كان كل همي أن أتوج نجاحي بأي ثمن.

أما مسألة النشر، فقد انتظرت نشر عدد من الكتب كان المفروض لها الصدور، سلسلة أجمل حكايات الدنيا التي تعاقدت عليها مع دار نهضة مصر، وعددها عشرون كتابًا، وأيضًا "الاقتباس في السينما المصرية" بعد أن أعدت كتابته، وأيضًا كتابي "الرواية اليهودية" بعد أن أعدت تأليفه. وكتابي عن "الخيال العلمي"، أما روايتي "وقائع سنوات الصبا" فقد قمت بإعادة صياغتها، ولم أسع لنشرها حتى الآن.

لا شك أن نشر مقالاتي في المجلات العربية ساعدني على تجاوز أزمتي المالية، فسرت ميسورًا بمفهوم إنسان عاش دومًا أفقر أبناء جيله وزملائه، وعانى الكثير من أجل أن يعيش، ورغم أنني أكسب فإن ما أربحه يذهب إلى الغير، لقد اشتريت لزوجتي سيارة، لقضاء أمورنا، كل ذلك من أجل دعاء، غيرت السيارة من سلوكنا في القاهرة، بدت دعاء سعيدة، وكان هذا كافيًا أن أكون راضيًا، أنا شخصيًا غير مؤهل نفسيًا لقيادة السيارات، كم أرى السائقين يتشاجرون معًا، ويتبادون السباب، ولا أريد لأحد أن يسب أمي، أو يتشاجر معي. لذا تولت زوجتي مسئولية السيارة، فتعلمت القيادة على وجه السرعة.

أما الجائزة، فما إن حصلت على الشيك الخاص بها، حتى تناثرت قيمتها، طلبت نعمة أكثر من ثلاثمائة جنيها من أجل إصلاح السقف في

شقتها، ومنحت للتهامي الذي رسم الكتاب الفائز، بعضًا من القيمة، وأخذت زوجتي الباقي، أما أنا فقد نلت الشرف، وشعرت بسعادة مضاعفة.

حدث شيء مشابه، حين قررت أن أترك شقة أبو قتادة لأصحابها، ورثة الحاج نور، هذه الشقة التي عانيت الأمرين للحصول عليها، تركتها لأصحابها دون مليم واحد، اعترافًا بفضل الحاج نور الذي منحني الشقة يومًا دون مليم واحد، الذي حصل على النقود هو عبد السلام، وكان حصوي على الشقة آنذاك سببًا لعودة مظفرة إلى القاهرة، فلولا هذه الشقة ما استطعت دخول القاهرة.

شقتي في مدينة نصر، ساعدتني على كثرة العمل، أكتب وأرتب أوراقي، وأعيش حياتي كرب أسرة حين تأتي أسرتي، لا أبارح الشقة بعد عودتي إلى اليوم التالي، قلل هذا من اتصالي بالعالم.. الأصدقاء، والمجتمع الثقافي، وتقلصت علاقتي بالناس إلى حد ملحوظ، ولم أدخل الاسكندرية طوال ستة أشهر إلا لساعات، حين احتفلت بعيد ميلادي الأربعين، وأكثر الذين ارتبطت بهم هم في دائرة المصالح في المقام الأول.

سافرت إلى العريش مع الأسرة في الصيف، كان أسبوعًا جميلًا، مع أسرة زوجتي، وعدت وأنا أحمل فوق صدري سعادة جديدة، فأنا أعشق

البحر بشكل لا حدود له، لم تعد اسكندرية مدينتي المفضلة التي أعشقها مثلما كنت سابقًا.

رغم أن السينما هي عشقي، فإنني أشاهد أكثر الأفلام في الفيديو، شاهدت قرابة ثمانين فيلمًا على شاشة الفيديو، الطريف أنني ما زلت أحب أفلام جيمس بوند حتى الآن، وقد شاهدت مجموعة أفلام شون كونرى طوال الأسبوع الماضي، يعنى هذا أنني لم أفقد أبدًا النموذج الذي ظللت أعشقه طول ربع قرن، منذ أن رأيت "الدكتور نو" عام ١٩٦٤.

كان الهاتف الذي تم تركيبه في شقتي هو وسيلة الاتصال بالآخرين، فاقتربت أكثر من الناس، من الرجال الذين ازداد ارتباطي بهم محمود على مراد، ومصطفى نبيل، ومحمد اليحيائي من عمان، أما علاقاتي النسائية فقد ضاقت إلى أضيق الحدود، التقيت بالمثقفة، واكتشفت مدى فجورها، فابتعدت عنها من جديد.

مات عمى عبد الحليم منذ شهرين، أحسست أنه مات قبل عشر سنوات، لكثرة انقطاعه عنا، مع أولاده الذين شكلوا طفولتي وصباي، وعندما ذهبت إلى العزاء قابلتني زوجته بحنان شديد، تذكرت يوم استضافتني في بيتها وأنا في الثانوية العامة كي أتمكن من مواجهة شبح الخوف من الامتحان، وعشت أسبوعًا بأكمله، وفي هذه التجربة تعلمت

الكثير، خاصة شرف المنافسة، وأمام موقف امرأة عمى، تلك الفلاحة العصرية الطيبة، صار على أن أراجع نفسي في بعض علاقاتي بالآخرين.

وبدأت أكتشف جوهري، أنني كلما تقدمت في السن كلما ازدادت علاقتي بالأشياء أصالة، وصدقًا، وشفافية، لا أقبل. أن يدخل بيتي مليمً بدون وجه حق.. أتعامل مع الخير والحق والجمال، أرى أن الله الذي أعبده هو الخالق الأول، الذي لا يمكن أن يكون قد حرم الأدب والفن والإبداع، وهو إله عظيم يدعو إلى الاستنارة وليس إلى الانغلاق، وهو الذي خلقني على هذه الشاكلة وأرادني كذلك، لذا فإن ما يحدث في الشارع يثيرني، ويخنقني، ويصيبني بقلق على مستقبل الوطن ومستقبلي.

الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٩٠

لم أعش حالة من التوتر المتواصل والمتاعب العامة والخاصة، مثلما عشت هذا العام، أغلب هذه المتاعب لم يكن لي يد فيه، أو لم أقصده بشكل مباشر، بل كنت أقصد الجانب الخير فانقلبت الأمور على، ولا زلت أعانى منها.

أول هذه الأشياء هو علاقتي بالمرض والصحة، بدأت هذه المعاناة في شهر مايو، عندما وقعت فوق قدمي اليمني، فجزعت، وعرفت الألم لأول مرة، لم تمر أسابيع إلا وحدثت المشكلة الكبرى، وهي ان أهالي الحنش انقلبوا على أختي في الاسكندرية، وذلك عقب أن نشرت روايتي على حلقات في جريدة المساء، بدأت المتاعب منذ نشر الحلقة الأولى، هي رواية "وقائع سنوات الصبا"، غضب أخي حين قرأها، ويبدو أن أحدًا من أبنائه أبلغ أسرة الحنش، أنني كتبت عنها بما لا يليق بهم، فراحوا يتعرضون لأختي نعمة، وأنا هنا في القاهرة لا حول لي ولا قوة، ولا أستطيع المشاركة في نزع الفتيل، اتصل يي أخي وراح يدعو على، وبدأت مقاطعة نهائية فيما بعد، ذهبت إلى الأديب محمد جبريل في جريدة المساء، المسئول عن النشر، وهو واحد من أبناء الاسكندرية، وتفهم الأمر، وتم النشر في الحلقات التالية أن أي تشابه بين أحداث الرواية والواقع غير مقصود.

ومرت الأمور بعد ذلك مليئة بالتوتر، وقد عانت أختي كثيرًا من هذا الأمر، حتى هدأت شيئًا فشيئًا، وعرفت أنهم سوف يتربصون بي عندما

أعود يومًا إلى كرموز، ثم قامت أحداث الخليج، أحداث عامة تمتزج بالخاصة، قلبت على كافة موازين الحياة، أثرت هذه الأحداث على معدل النشر بشكل واضح، فقد كنت أنشر بشكل مكثف في بغداد والكويت، وتوقفت الحياة الطبيعية، ولم ينصلح أي حال حتى الآن.

الأمر الثاني أن أحد الطلبة السابقين في المعهد الفني تصور أنني أرسل له خطابات تهديد، أو نكاية، لأنه ينشر مقالات مسروقة، وحاولت أن أفهمه كذب أفكاره، لكنه بدا موسوما، وحاول مجابهتي، ولا يزال يتصور هذا الأمر حتى الآن، كما أن مقالي عن شخص يدعى كمال عليم قد جرني لأول مرة إلى المحاكم، وبدأت أعاني لأول مرة من متاعب الكتابة، على المستويين الشخصي والعام، تكاتفت كل الأشياء وراء بعضها ولم تنفك أبدًا، ثم جاءت المتاعب الأخرى من خلال إصابتي بمرض السكري، الحالة خفيفة، لكنني بدأت في تنظيم طعامي وشرابي، وهذه أمور لم تكن تخطر لي على بال.

كمال عليم هذا موجود في الأوساط الثقافية السكندرية، وهو أستاذ الطب في جامعة الاسكندرية، أبلغني محمود مصطفى أنه طبيب مزيف، والغريب أنني استحضرته إلى بيت أختي فتحية وقام بالكشف عليها، وهو ينشر مقالات في كبريات المجلات العربية بصفته أستاذًا في كلية الطب، وقد كشفت مجلة الدوحة حقيقته، وادعى البعض أنه يكتب بعدة أسماء، منها اسمى، لذا فإن رجاء النقاش أوقف نشر مقالاتنا معًا، وعندما نشر مقالًا في مجلة "الفيصل" طلب منى مصطفى نبيل أن أتحرى

وأن أكتب عليه، وما لبث أن رفع على قضية، وأيضًا على المجلة، وعلى رئيس تحريرها، ووجدت نفسي في قلق، وصدر حكم لصالحه، وأنه بالفعل أستاذ بكلية الطب، بعد أن قدم أوراقًا تثبت ذلك، وقد نمت دومًا فوق الفراش ملئ بالتوتر والقلق، وأنا مندهش كيف أن القضاء يحكم لصالح شخص مزيف.

كل هذا أثر على علاقتي بالأشياء، فلم أر أختي نعمة منذ ستة أشهر، وإن كانت هبة قد زارتني في القاهرة لأول مرة، كما أنني لم أنزل الاسكندرية منذ شهر يوليو، وذهبت مع أسرتي لقضاء عشرة أيام في مدينة رفح كمصيف، عرفت خلالها بعض الراحة والهدوء وسط متاعبي، لكن أخبار الغزو العراقي للكويت، والحرب المنتظرة تأتيني عبر وسائل الإعلام.

ماتت ابنة خالتي سعاد القصراوي قبل شهر، كانت بمثابة أخت لي، عديلي زكريا أصابته أزمة قلبية، ويرقد في المستشفى، اعتدت على قضاء ليلة رأس السنة في العامين الماضيين بالقاهرة، في شقتي التي أحبها كثيرًا، عدت إلى أيام الوحدة، إنها شيء مبهج، وأنا أمارس فيها الكتابة، وأعمالي التي أحبها مثل تنظيم بنك المعلومات البالغ الضخامة والندرة الذي كونته على مدى حياتي، كما أنني لا أكف عن مشاهدة شرائط الفيديو.

سافرت هذا العام مرتين خارج مصر، المرة الأولى لمدة أربعة أيام إلى بغداد، في شهر مايو، كانت الرحلة لمؤازرة صدام حسين ضد اسرائيل، رأيت الناس يعبدون حاكمهم ويخافون منه، ولم أشأ أن أذهب إلى قاعة الاحتفالات، وشاهدت بعض وقائع التأييد في تليفزيون الفندق، تعرفت على الأدبية منى سعيد وتوطدت علاقتي بها، هي أرملة لمناضل ناهض صدام حسين، فتم القبض عليه، واغتالوه، لذا فهي ضد نظامه بكل جوارحها، هي أرملة وأنا زوج، لم أشأ أن أفقدها لو فرضت عليها أي علاقة، كانت أسعد البشر جين جاءت إلى القاهرة لزيارة أختها المتزوجة من مصري، كانت في منتهى الفرح أنها تخلصت من نظام صدام لعدة أيام كي تعود مرة أخرى.. يجب ان أقول إنني عندما ذهبت إلى العراق العام الماضي، نشرت مقالًا ضد هذا النظام في مجلة "الهلال" تحت عنوان "الشعر على رقاب العباد" أعجب كمال النجمي كثيرًا، أحد الذين أحمل لهم الجميل حول عنقي، فقد كان المقال حول الشعراء الذين أدمنوا مدح الحاكم.. لذا تلاقيت فكريًا مع منى سعيد، التي جاءت لي بالكثير من السكر عندما عرفت أن في القاهرة أزمة سكر، والطريف أنني وزعت كل ما أخذته منها على رفاق في الرحلة.

الرحلة الثانية كانت لمدة أسبوع إلى طرابلس في أواخر يوليو الماضي، إنها الزيارة الأولى إلى ليبيا، دعاني إليها الأستاذ خليفة التليسي، أبرز كاتب معاصر هناك، والذي كان وزيرًا في عصر الملكية، وهو الآن رئيس الدار العربية للكتاب، كانت رحلة مثمرة، تعاقدت فيها على نشر كتابين لي، هما "الرواية اليهودية"، في إصدار جديد مضاف

إليه فصول، والثاني "الخيال العلمي أدب القرن العشرين" هناك صادقت بعض رجال الفكر والثقافة الليبيين، وتعرضت لموقف مشرف، فقد جاءني نورى بازيليا مدير مكتب التليسي بمائتي دينار كبدل سفر، ودخلت على الأستاذ ورجوته أن يأمر بسحب المبلغ فأنا لست في حاجة إليه، ووافق الرجل، بعد أن خرجت من عنده، وضع بازيليا يده في يدي، وأبلغني بإعجاب أن المثقف الوحيد الذي فعل ذلك هو إحسان عبد القدوس عام ١٩٦٩، وما عدا ذلك من المثقفين قد نالوا الكثير من المبالغ، وغمرتني سعادة لا حدود لها، فابن روز اليوسف، قد تصرف مثل ابن عائشة أحمد بدوى، وأنني بذلك الرجل الثاني الذي فعل ذلك، وأن لي قامة في التصرف تشابه قامة إحسان عبد القدوس.

هذا العام نشرت لي مجموعة كبيرة من العناوين، هو عام الكتب بالنسبة لي، عشرون كتابًا للأطفال عن دار نهضة مصر تحت عنوان "أجمل حكايات الدنيا"، بكل كتاب حكيت قصص خمسة أفلام أعجبتنا في مسيرة حياتنا، أي أنني رويت مائة فيلم شهير في هذه السلسلة التي سوف تستمر إلى خمسين كتابًا، كما صدر لي عن نفس الدار كتاب "رواية التجسس والصراع العربي الاسرائيلي" بمناسبة عرض مسلسل "رأفت الهجان"، وقد نجح نجاحًا طيبًا، كما صدرت لي طبعة جديدة من "الاقتباس في السينما المصرية" وكتابان في سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات"، هذه الأمور حققت بالنسبة لي حالة من السعادة والرضاء، كم شكرت الله عليها.

هذه هي طبول الحرب تدق في منطقة الشرق الأوسط مع طلوع السنة الجديدة، وهذه هي السنة القديمة تحتضر، غير مأسوف عليها..

بدأت التجارب الإنسانية تصنع مني شخصًا أفضل، وصارت لي مواقف محددة تجاه الأشياء، م أعد الهث وراء الأشخاص والأشياء مثلما كان يحدث سابقًا، فمهرجان سينما القاهرة الذي أكتب مقالات في مطبوعاته لم أعد أهتم بالحصول على تذاكره، ولا حضور حفل افتتاحه، أو أشياء من هذا القبيل، بدأت أشعر أنني أتحسن، وصرت متحدثًا دائمًا في برامج الإذاعات، والتليفزيون، ومع قلة النشر، لم أعد أحس كثيرًا بالقلق على الغد، فأموري المادية على ما يرام، وكم أشعر بالقناعة في الرزق الطيب، علمتني أيام الفقر والعوز ان أكون قنوعًا، وأنه ليست لي أي أطماع في الغد، ولا أميل إلى كنز المال، هناك مبلغ موجود في البنك لا أمسه، فهو رصيد الزمن، ومن أجل دعاء.

صارت دعاء في السادسة من عمرها، مرتبطة كثيرًا بأمها وجدتها، لكن بيننا شيئًا أشبه بالعشق والحب الجارف، وهي تشكل لي الجانب الهادئ الرطب في علاقتي بأمها.

الكتابة والمشاهدة والسماع هم مثلث حياتي، وأركانها، فأنا أكتب بانتظام، وأجيد انتقاء ما أكتبه أو أترجمه، نجحت كسكرتير تحرير روايات الهلال، ونشرت في السلسلة أفضل الروايات، وقد اعترف الجميع بذلك، كتبت عشرات المقالات عن أدباء العالم المعاصرين،

وسعيت في هذه السلسلة أن تترجم الروايات المعاصرة المهمة، مثل رواية "إنسان" لاوريانا فالاتشى، و"شارع الحوانيت المعتمة" لموديانو، و"البرتقالة الآلية" لبرجيس، و"الطبالة الصغيرة" لجون لوكاريه، وغيرها، بالإضافة إلى الحرص على نشر الرواية التي يفوز صاحبها بجائزة نوبل بعد شهرين من الإعلان عن اسمه، مثل وول سوينكا وكلود سيمون، وكاميلو خوسيه ثيلا، وبدت السلسلة في أحسن سنواتها، فالروايات تنشر كاملة وبدون اختصارات، مثل رواية "**١٩٣٤**" لمورافيا، و"عشيقة الليدى تشارلي".

سامح الله الفيديو وجازاه، فقد منعني من الذهاب إلى قاعات السينما، التي ارتفعت أسعار تذاكرها، وتحتاج إلى تهيئة خاصة للذهاب للقاعات، لا شك أن وجود الفيديو في البيت قد ساعد على خلق أجواء مختلفة للفرجة، شاهدت قرابة مائة فيلم أجنبي على الأقل، وانكمشت علاقتي بمعهد جوته بعد أن أغلق نادى السينما أبوابه لبعض الوقت بسبب وجود مدير جديد.

مؤشر الشيخوخة بالنسبة لي أني لم أعد أستمتع بالأغنيات الجديدة، لا زلت أستمع إلى البرنامج الموسيقى والأغنيات القديمة، وأحب فريق الابا في المقام الأول، شاهدت فيلم "الليالي الملتهبة" عدة مرات في ثلاثة أيام، الفيلم أعجب ابنتي فشاهدته معي. يعنى هذا أن ذوقي لم يتغير، لا شيء جديد يمكن أن يكون جذابًا، رغم أن المفروض

أن يكون الجديد هو الجذاب دائمًا، لكن هذا هو حال عصري، صار أجدب.

الثلاثاء ٣١ ديسمبر ١٩٩١

قد يكذب المرء على الآخرين، وقد يبالغ فيم يقول، أو يتكلم، لكنه عندما يجلس إلى الورق يدلى باعترافات، ويسجل بعض خطوات، فإنه يكون في منتهي الصدق.

وهذا هو مفتاح علاقتي بالكتابة، خاصة هنا، فأنا لم أسع يومًا أن أزين الأشياء، أو أضيف، لكن يمكننا أن نحذف أو نختصر حسب ما يخص الآخرين من حقوق، أو حسب مساحة الورق المتاح للكتابة.

توازن الاضطراب مع النجاح في عام ١٩٩١، الاضطراب أغلبه مهني، وهو من رواسب العام الماضي، حيث ظهر من يحاربني في مسيرتي، بدأت هذه الحرب بخطابات غامضة ومشبوهة من جهات غريبة، تؤكد أن من فعل ذلك شخص ذكى للغاية، وازداد التوتر عندما استدعتني مباحث أمن الدولة، وهو أمر يحدث لي لأول مرة في حياتي، وعلمت أن هناك رسائل كيدية تقول إنني أرسلت إلى المركز الثقافي الإسرائيلي خطابًا أطلب فيه تأليف كتاب عن صدام حسين، وعندما جلست أمام الضابط الذي فتح ملفًا ضخمًا خاصًا بنشاطي قلت له إنني ضد التطبيع مع إسرائيل، منذ أن كتبت عام ١٩٨٣ في الأهرام الاقتصادي مقالًا ضد المجموعة القصصية لنعيم تكلا الذي يؤرخ فيها لمصر من خلال هجرة وعودة اليهود، وأخبرته أنني لن أتحول من مهاجم إلى مدافع عن نفسي لمجرد رسالة واقتنع الرجل.

حكايات مشابهة جعلتني على أعصابي، ورحت أنتظر يومًا بعد يوم مكائد جديدة، وخطابات أخرى، ثم اعتدت على هذه الأمور، صارت تخف أحيانًا، ثم تزداد في أحيان أخرى، مثل هذه الرسائل سافرت إلى أكثر المجلات العربية التي أكتب فيها، وزادت هذه الأمور عندما خسرت قضيتي أنا ودار الهلال ضد الطبيب المزيف الذي ينشر في عشرات المجلات، لقد كسب القضية بحجة أننا شهرنا به في الصحافة بصفته أستاذًا جامعيًا، وما لبث سعيد السيسي مدير مكتب دار الهلال في الاسكندرية أن أثبت بوثائق من جامعة الاسكندرية أن كل ما قدمه إلى المحكمة هس وثائق مزورة، ولا تزال القضية الآن أمام المحاكم.

هكذا كانت حياتي طوال العام، أنه أمر ينغص على كثيرًا، وعلى نشاطي ككاتب، فأنا أميل إلى الصفاء أثناء الكتابة، وقبلها وبعدها، خاصة أنه قد اتسعت مجالات كتاباتي أكثر، صدر لي ثلاثون كتاب في سلسلة "أجمل حكايات الدنيا"، وقرأها الناس من أعمار مختلفة، وبسبب هذه الكتب اختارني بعض القراء في الصحف كأحسن كاتب أطفال، وبالأمس كنت في ميدان السيدة زينب، ورأيت شابًا في العشرين من عمره، يبدو أنه عامل محارة، كان يجلس فوق الرصيف يقرأ واحدًا من هذه الكتب، وبذلك اتسعت دائرة علاقاتي بالأطفال في أماكن جديدة.

صار نشاطي ككاتب للأطفال سببًا في زيادة شهرتي التي لا تزال محدود قياسًا إلى ما أطمح إليه، ورغم هذا فإن نشاطي كمؤلف لم يتوقف، أقوم بإلقاء المحاضرات في مركز إعداد الرواد، وتكون لي

مكانتي كمحاضر مع الصغار والكبار، مع بداية العام صدرت لي ترجمة رواية "العاشق" لمرجريت دوراس عن سلسلة "الرواية العالمية" ولم ينشر لي كتاب للكبار طوال العام، ولا تزال هناك كتب متعثرة في النشر، سواء في طرابلس أو القاهرة، رغم أنني انتهيت من عدة مؤلفات، فقد ترجمت رواية "اللاأخلاقي" تأليف اندريه جيد، ورواية "منزل الموت الأكيد "لألبير قصيري، وألفت كتابًا عن عادل إمام وانتهيت مع اثنين من زملائي من إعداد أضخم كتاب في حياتي، وهو "موسوعة الأفلام العربية"، كل هذا بدون نتيجة، ورغم ذلك أحس أن الوقت سوف يأتي وتطبع هذه الأعمال، خاصة الكتابان اللذان في طرابلس لدى خليفة التليسى.

أهم إنجازات العام في عالم المجلات، هو علاقتي القوية مع مجلة "أهلا وسهلا"، ثم مجلة "ماجد"، وأيضًا عودتي للكتابة في مجلة "العربي"، لكن الوشايات لا تتوقف، وفي "كتب الهلال للأولاد والبنات" نشر لي كتابان حققا نجاحًا لا بأس به.

لا أنسى ذلك الحفل الضخم الذي أقامته وزارة الثقافة في ٢٩ يونيه، واستلمت فيه جائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٨٨ من رئيس الجمهورية، كانت ليلة من ليالى العمر، شاهدت الدكتور كمال العتر الذي كان رئيسًا على في المعهد الفني التجاري بالإسكندرية، لقد أصبح رئيسًا لجامعة حلوان، أحسست أنه الوحيد الذي يهمني وسط هذه الكوكبة من المسئولين وأنا أصافح الرئيس، كأنني أؤكد له أن الموظف السابق عنده،

قد حقق نجاحًا، كنت سعيدًا وأنا أرتدى روب الجائزة الأحمر، وبلغت دعاء قدرًا كبيرًا من الفرحة.

في دار الهلال، تحسنت علاقتي بالأشياء، تطورت مفاهيمي، وتعامل معي آخرون على أنني عبقري، لقد نجحت روايات الهلال كثيرًا في الفترة التي أعمل فيها وأحرص أن أقدم أهم الروايات العالمية، أما مصطفى نبيل فقد كان متحمسًا أكثر للروايات المصرية، صرت ضيفًا دائمًاً في البرامج الإذاعية، وأفكر في أن أدخل مجالًا جديدًا، هو التأليف التليفزيوني، فقد كدت أن أنتهى من تأليف أول مسلسل تليفزيوني، هو "زيزو كبير الموهوبين" أعجب كل من قرأه، هو من نوع الخيال العلمي الكوميدي، حول زيزو الروبوت الذي يود أن يكون شاعرًا، وموسيقارًا، ورسامًا وممثلًا، فيرتكب المزيد من الحماقات، إلا أن المخرج الذي سيخرجه مريض بالكبد، وهذا يمثل عائقًا.

لم أسافر خارج مصر، رغم أن دعوة وصلتني من مهرجان دمشق السينمائي، إلا أنني لم أستلم التذكرة ولم أسافر، كذلك لم أشارك في مهرجان القاهرة بسبب وشاية من ناقد ذهب إلى رئيس المهرجان وأخبره أنني كتبت أنه اقتبس فيلم "آه يا بلد آه" من فيلم "زوربا"، وقد أسعدني هذا، فلست أجيرًا عند رئيس المهرجان الذي يتصور أنه يتحكم في أفواه وبطون المثقفين، وقد كشفت لي هذه الأمور أن بعض الناس (أو كلهم) حريصون على مصالحهم، وأنهم قد يخذلونك عند اللزوم.

لذا، فالصداقات الحقيقية التي كانت تملأ حياتي، قد تناثرت، وصارت علاقات مصالح، لذا فإنني أحب البقاء في بيتي في المقام الأول، وهذه عادة قديمة، فأنا لا أغادره قط بعد الظهر، أنظم فيه وقتي كي أكتب، وأمارس حياتي، وأنظم أوراق أرشيفي المعلوماتي الذي ليس له مثيل في مصر.

الغريب أنني تحدثت عن العمل قبل الحديث عن علاقاتي الإنسانية، ربما لأن الأمور لم تتطور.. ولم يحدث فيها ما يشد الانتباه، أو يستحق الكتابة عنها، ابنتي دعاء كبرت عامًا، قبل أسابيع احتفلت بعيد ميلادها السابع، صارت أطول قامة، وأكثر شقاوة، وجاذبية، وما أكثر المناغشات التي تدور بيننا، كأننا شقيقان مثلما كنت أفعل مع مصطفى في عمر الطفولة، هي الآن في مدرسة سانت فاطيما بمدينة نصر، تحتاج إلى تقوية في الدراسة، منذ يومين بدأت في تأليف قصة، وطلبت مني أن أنشرها، وأن أعطيها ما تستحق من مكافأة، كم أتمني لو صارت كاتبة قصة ناجحة، أنه الاستمرار.

نعمة زارتني في شقة مدينة نصر مرتين، كم كنت في حاجة لهذه الزيارة على المستوى الإنساني، أما مصطفى فإن الحب يجمعنا دومًا، والاحترام موجود، هو حب عميق، كم أخاف عليه، وأسأل عنه ، يزورني في القاهرة بين وقت وآخر.

تقلصت علاقتي بالإسكندرية، خاصة بعد أن انتهت مسئوليتي في الإشراف على نادى السينما بمعهد جوته، أعترف أن علاقتي بالقراءة النهمة قد انقرضت، أدهشتني رواية "دروس التنفس" للكاتبة الأمريكية آن تير، التي نشرتها في روايات الهلال، من الأفلام التي شدتني "وحدي في المنزل"، و"الراقص مع الذئاب"، وتشدني قصيدة "نداء الماضي" التي غناها عبد الحليم حافظ في مطلع حياته، وأيضًا "قارئة الفنجان"، رغم أن الظروف تغيرت، لذا أفكر في كتابة رواية جديدة عن "زمن عبد الحليم حافظ"، أتحدث فيها عن علاقتي بأغنيات بعينها ارتبطت بقصص عاطفية ووطنية، مثل "ظلموه"، "يا جمال يا حبيب الملايين"، "حاول تفتكرني"، لم يتحرك ذوقي في الرؤية والسماع كثيرًا.. أرى أن انتشار الأغنيات الشبابية، يعكس حاجة شباب هذه الأيام إلى الضحك والتفريج عن النفس، رأيت اليوم طفلة تغني "ظلموه" في أحد برامج التليفزيون، وترددها بحيوية مما أكد لي أن ذق الأجيال تجاه الأغنيات الجميلة سيظل ثابتًا، خاصة أنني عندما شاهدت فيلم "صوت الموسيقى" للمرة الخامسة عشر في الأسبوع الماضي، انبهرت به كأنني أراه لأول مرة.

هذا العام مات واحد من العقلاء الذين عاشوا معي، إنه خليل إبراهيم زوج أختي فتحية، قرر أن يلحق بزوجته، كم كان عاقلًا في تصرفاته، يوم أن نصحني ألا أترك بيت الزوجية وأن أظل فيه، مهما كانت الخلافات، وهو الذي استقبلني بحفاوة، وجيشان لا مثيل لهما، عندما عدت إلى الدار بعد انتهاء العمليات العسكرية في حرب أكتوبر.

الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٩٢

هل تتشابه الكلمات مثل المناسبات؟ أعياد ورحيل وميلاد، لكل مناسبة منها عباراتها التي نرددها دائمًا بلا معنى، وبشكل أجوف، لكن هناك عبارات نتوقف عندها، كأننا نريد أن نوقف بها الزمن، فمثلًا الكلمات التي أكتبها عندما تنصرم أي سنة إلى لا عودة لا توقف الزمن، ولكنها شاهد عليه، هذا الكراس حمل نبضي طوال سنوات، كنت طفلًا، ثم صبيًا، وشابًا، والآن صرت رجلًا، وأنا أقترب من الرابعة والأربعين، سن حساس، وهو إحساس أشعر به منذ أمد طويل، كلما كبرت عامًا قلت إن هذا سن حساس، ولكن أهم ما في السن أن شيئًا ما يطاردني منذ سنوات، هذا الشعار هو المعني الذي تنبهت إليه وأنا أقرأ كتاب "أسطورة سيزيف"، وكيف أن الحياة تتحرك بلا معنى، وفهمت فيما بعد ان الدين هو الشيء الوحيد الذي يعطي للحياة معنى.

ومنذ أن قرأت هذا الكتاب وأنا في العشرين من عمري، وأنا أود أن أحقق شيئًا في حياتي، ولأنني لم أتقن شيئًا سوى الكتابة، إذا كنت قد فعلت ذلك فعلًا، فإن الأمر شديد الحساسية بالنسبة لي، فالكتاب الجيدون قليلون، ولذا فأنا لا أبحث عن المال، ولكنني أحاول أن أكون كاتبًا، على سبيل المثال، لقد انتابني قلق مفاجئ وشديد عندما كدت أن أتورط في السفر إلى الكويت لأعمل في مجلة ثقافية بمرتب مغر، هو حلم طالما تمنيته، وهو منتهى الطموح لأي شخص أعرفه، لكن فجأة أحسست أنني سوف أكسب نقودًا، لكن قد أخسر مشروعي الثقافي،

وكان على أن أرفض السفر، وأن أبقى في القاهرة، أنا أحلم أن أعيش في باريس، لكن ليس في بلد عربي، فالعرب لا يقرأون الآداب الحقيقية.

ذلك كان حدثًا في حياتي، وربما أن المرء يندم يومًا على هذا القرار، لكنني أشعر أنني لن أندم، في العام المنصرم، كان هناك وعد لأتولى رئاسة تحرير سلسلة كتب الهلال للأولاد والبنات، ولا يزال الوعد معلقًا حتى الآن، بسبب بطء إيقاع دار الهلال، وتلك مشكلة، وقد كانت هذه النوايا كفيلة أن تجعل آخرين يشهرون على أسلحتهم، وأن يتصدوا لي بالوشايات والبحث عن العراقيل المستمرة، ونجحت محاولات آخرين في إيقاف الفكرة، لكن النجاح الذي أسعى إليه كثيرًا ما يكون وليد فشل، بمعنى أنني أتعلم من الفشل أكثر من النجاح، فنشرت كتابًا جيدًا هو "مغامرات رأفت الهجان"، قمت فيه بتلخيص رواية "رأفت الهجان" لصالح مرسى، وأخذنا موافقة الاستخبارات، ورغم أهمية الكتاب، فإن إدارة التوزيع لم تتمكن من بيعه بشكل جيد، وقد دفعني هذا إلى عدم المشاركة في الاحتفالات بمئوية دار الهلال، كانت هناك وعود أن ألتحق بالعمل في مجلة "علاء الدين" التي ستصدر عن مؤسسة الأهرام، وقد فوجئت أن المسئول الذي سيتولى المجلة غير مؤهل لتولى هذا النوع من المجلات، ولم أرغب أن يكون رئيسًا لي، سواء لي المستوى الشخصي والمهني، ووسط الاحتفالات أتيحت لي فرصة أن أكون وراء إصدار عدد ممتاز من الهلال بمناسبة "١٠٠ سنة هلال"، كان رئيس التحرير مريضًا، فوكل الأمر إلى كمال النجمي الذي تركني على حريتي، فاخترت مواد العدد من أفضل ما كتب في الهلال طوال

مائة عام، ومن خلال المادة المكتوبة والصور غير المألوفة، أصدرت أهم عدد في تاريخ المجلة، لم يذكر عليه اسمى، ولا كمال النجمي، وتلك مشكلة الصحافة، وسوف أكتب يومًا شهادتي إلى التاريخ أن عدد السنة المئوية كان من إعدادي.

أما على مستوى الكتب، فإن أغلب العناوين التي ذكرت في العام الماضي أنها في سبيلها إلى النشر، قد نشرت بالفعل، منها بقية سلسلة "أجمل حكايات الدنيا" عن نهضة مصر، رويت في هذه السلسلة أجمل أفلام الجاسوسية، وأجمل أفلام الكوميديا، وأفلام الأساطير العربية، وأفلام الأساطير العالمية، بالإضافة إلى أفلام المغامرات، وأفلام البحر، وأفلام الخيال العلمي، والأفلام البوليسية، وأيضًا كتاب "مغامرات رأفت الهجان" الصادر عن دار الهلال، كما أعيد طبع ترجمة رواية "آلهة الذباب" لويليام جولدنج التي صدرت في عام ١٩٨٤، ثم صدرت لي ترجمة رواية "منزل الموت الأكيد" تأليف ألبير قصيري عن دار "سعاد الصباح"، وأحدثت صدى في الوسط الثقافي لأهميتها، واستلمت أول نسخة من كتاب عمرى عن "الخيال العلمي أدب القرن العشرين"، وسوف يصدر لي في معرض الكتاب خلال شهر يناير كتاب عن "جوائز نوبل" عن دار المعارف، وكتاب آخر للأطفال باسم "زيزو موهوب زمانه" الذي اعتبره أحسن ما ألفت للأطفال، ثم هناك مجموعة كتب "ألغاز الشروق" التي ستصدر خلال العام الجديد، وكتاب للأطفال بعنوان "مغامرات الكمبيوتر الطائش"، بالإضافة إلى عناوين أخرى يتم الاتفاق عليها، ومنها ترجمة رواية "اللاأخلاقي" تأليف أندريه جيد، كما أن جريدة

الأهرام المسائي نشرت لي رواية مسلسلة باسم "القائمة" في أربع حلقات، وقد كتبتها عام ١٩٧٢، حول اللعب بالقوائم في انتخابات اتحاد الطلبة، وهي رواية صالحة للتعبير عن أي انتخابات في أي بلد عربي..

أهم الأخبار الثقافية والشخصية، أن صحيفة الأخبار، نشرت في صفحة الحوادث، عن الطبيب الدكتور المزيف الذي كتبت عن مقالًا، فرفع علينا قضية كسبها، والحكاية أن زوجة الطبيب المزيف اكتشفت حقيقة زوجها فتقدمت بأوراق حقيقية إلى المحكمة، وتم الحكم عليه بالسجن ثمان سنوات، تقدم محامي دار الهلال بما نشرته جريدة الأخبار، وفي محكمة الاستئناف، صدر الحكم ببراءتي.. يا إلهي!!

وعلى مستوى النجاح، فقد تم اختيار روايات الهلال، التي أعمل بها سكرتير تحرير، كأحسن مطبوعات هذا العام، وهذه هي المرة الثالثة على التوالي.. وهذا مؤشر جيد.

تتوالي النجاحات، وتشعرني بالرضاء، أنني اخترت الطريق الأصح، فأول الأمس الثلاثاء، تم تكريمي ضمن الحاصلين على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال، وذلك في حفل أقامته دار الأوبرا، ونلت أول درع في حياتي، وقبلها بيوم كنت قد استلمت شهادتي، التي هي الجائزة، وكانت "مركونة" في المجلس الأعلى للثقافة.

كنت ضيفًا جذابًا في بعض البرامج التليفزيونية، منها برامج للأطفال، وقد تركت هذه البرامج أثرًا كبيرًا. وغدًا في أول يوم بالعام الجديد سأكون ضيفًا على الهواء في القناة الثالثة، أما الإذاعة، فالأمر لا بأس به، كتبت نصوصًا تليفزيونية لكنها لم تنفذ بعد، والسبب أنني لا أجرى وراء الأشياء مهما كان ثمنها، لكنني أحاول البحث عن الفرص التي تمر بطريقي.

لم أخرج من القاهرة هذا العام كثيرًا، ولا قليلًا، بضعة أيام في العريش، وأيام أخرى في المنيا، لكن اشتراكي في نادى مدينة نصر أفسح أمامي أماكن جديدة لارتيادها، في أوقات بعينها، خاصة في أشهر الصيف، وكنت أكتب هناك مقالات، وكتب، خاصة في النادي الاجتماعي.

انتهيت من تأليف كتاب عن "الأدب العربي المكتوب بالفرنسية"، وهو على نفس درجة الجودة لكتاب "الخيال العلمي"، وأتمنى أن ينشر هذا العام.

تباعدت علاقتي بالإسكندرية بشكل واضح، فأنا لم أذهب إلى هناك سوى ساعات لحضور حفل زفاف سهام ابنة أختي فتحية، أقابل أخي مصطفى كل شهر، كلما جاء إلى القاهرة لمباشرة عمله، أما نعمة فلم أرها إلا قليلًا، ما زلت أؤدى واجبي الاجتماعي نحوها، وأدعو الله أن يديم نعمته على كي أستمر في هذا.

الأصدقاء تختفي أسماء بعضهم، وأسماء أخرى تظهر، اتصل بي محمود مصطفى منذ أيام، وأدركت أن قراءاته الأخيرة قد اختلفت، وتغيرت مما باعد فيما بيننا، بالإضافة إلى أننا في مدينتين متباعدتين.

هذا الأسبوع كتبت مقالًا مليئًا بالشجن عن أودري هيبورن، تحت عنوان "حبيبتنا تموت"، أودري هي نجمتي الأولى المفضلة منذ أن صرت صبيًا، وشاهدت فيلم "اللغز"، إنها الآن تموت، يعني هذا أن أذواقنا ثابتة لا تتغير، فما زلت أحب نفس نجوم الغناء والتمثيل الذين يظلون في دائرة اهتمامي، لا توجد أغنية جديدة تخلبني، تصورت في شهر يوليو أنني مغرم بكاتبة شابة لنطلق عليها اسم "نهير"، لكنني اكتشفت أنها أصغر مني، ومسطحة الفكر، قامت صداقة بالمراسلة وتنامت منذ عام ١٩٨٥ مع الألمانية الشابة جزيلابوك، فلم تنقطع رسائلنا.

كدت أن أموت هذا العام مرتين، الأولى في ١٢ أكتوبر، في فندق ماريوت، أثناء الزلزال، كانت لحظات رهيبة والبناية الضخمة تتراقص كامرأة خليعة، وتتمايل فتأخذنا معها، أما المرة الثانية، فقد كنت في مؤتمر أدبي عقدته كلية الآداب جامعة المينا، وعلى الطريق السريع، في الأسبوع الأول من ديسمبر وجدت نفسي أعبر الطريق، ثم انزلقت فوق الأرض، وكادت شاحنة ضخمة أن تدهسني، واندهش المارة من الموقف، فالسيارة تكاد أن تطير فوقي، إنه موت محقق أنقذني الله منه.

من الأفلام التي شاهدتها باهتمام فيلم قديم من بطولة كيرك دوجلاس بعنوان "قبل أن نلتقي" مع كيم نوفاك، حول اثنين من أولياء الأمور، يتعارفان صباح كل يوم وهما يقومان بتوصيل أبنائهما إلى أتوبيس المدرسة، أما الفيلم الثاني فهوj.f.kإخراج أوليفر ستون

.

الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٩٣

ظل هذا الكراس بمثابة المرآة التي أرى فيها نفسي، فلم أحاول أن أضع الرتوش لنفسي، لذا فهو كلمتي الصادقة طوال سنوات، ولذا، فأنا لا أحاول أن أكون مزدوج الوجه، خاصة مع هذا الدفتر، ومع من يعرفونني، فما زلت نفس الشخص البسيط التلقائي، الذي لا يسعى إلى مكاسب مادية، ولكن إلى تحقيق أهداف أدبية في عالم يزداد تعقيدًا يومًا وراء آخر.

مع بداية عام ١٩٩٣، كنت قد رفضت بشدة فكرة السفر إلى دولة عربية للعمل في مجلة ثقافية كبرى.. وقد كانت الكتابة في هذه المجلة ذات يوم بمثابة حلم بالنسبة لي، وأذكر أنني كدت أن أبكي يومًا حتى لا أسافر إلى هناك لمدير المكتب في القاهرة، كي أبقي في القاهرة، يومها تصوروا أنني أبله، فكيف أرفض هذا الجاه المنشود، واليوم هذا هو العرض يتجدد بقوة، ولا أعرف هل سوف أمتثل هذه المرة، أم سأظل هذا "الفقري" الذي يرفض عروضًا مغرية؟

لكن، لماذا رفضت؟

في بداية عام ١٩٩٣، كنت أنتظر أن يأتي العام الجديد، وأشاهد مجموعة من كتبي التي كان على أن أعتبرها قمة أعمالي.. كتابي عن الخيال العلمي الذي تعثر نشره لسنوات، صدر مرتين في نفس الشهر، المرة الأولى في هيئة الكتاب، والمرة الثانية طباعة فخمة في الدار العربية

للكتاب بليبيا، ثم صدر لي كتاب عن "جائزة نوبل"، وصدرت لي ترجمة رواية "منزل الموت الأكيد"، و"رجل عديم الأخلاق"، ثم "العنف والسخرية"، فماذا أريد أكثر من هذا، ولماذا أسافر؟ هل كان يمكنني أن أحقق هذا لو سافرت، فضلًا أن العام المنصرم كان أيضًا من أسعد أعوام حياتي بالنسبة للكتابة، وأيضًا بالنسبة لعائد هذه الكتابة فقد حصلت على مكافآت طيبة من مجلة "سدرة" للأطفال، وكتبت مقالات في مجلات مثل "العربي" بصفة منتظمة، وحققت كتبي مثل "العنف والسخرية"، و"الخيال العلمي"، الكثير من النجاح، وهناك مشاريع جديدة مع دار الشروق.

كانت الأمور في أحسن حالاتها، ولم أطمع في المزيد.

إذن، فعلى المستوى العملي. كنت في أفضل أحوالي، لذا لم أرغب في السفر، أو التشتيت في بلاد الله من أجل أن أعود حاملًا النقود، خاصة أن المسافرين لهذا النوع من السفر يفعلون ذلك من أجل المال، وكثيرًا ما يتحول الإنسان إلى عداد للعملة الصعبة، أما أنا فما زلت أعمل بعبارة رددها ويليام فوكنر، قرأتها يومًا في المركز الثقافي الأمريكي عام ١٩٦١، إن الأديب الحق يسعى دائمًا إلى الكمال.

وعلينا أن نفعل.

لقد بلغت الرابعة والأربعين، وهو عمر بالغ الحساسية، وإذا سافرت فلن أعود قبل أن يكون المشيب قد لحق بملامحي، وجسدي.

على المستوى المهني تحسنت الأمور، لكن في الأيام الأخيرة، تغيرت بعض الأمور، بما يوحى أن المتكئ على أموال الكتابة أشبه بالأعرج، فقد اختلفت مع مجلة "سدرة" بعد أن سعت رئيس التحرير إلى التقليل من المكافأة، فكان ذلك بمثابة مختبر لي، فرفضت أن أكمل، وما زال الأمر معلقًا، وحدث ذلك مع مجلة "أهلا وسهلا" التي فتحت لها مكتبًا في القاهرة، فأرادوا منحي المكافأة بالجنية المصري، ورفضت، وعلى ناحية أخرى، فقد تصاعدت علاقتي بالإذاعة المصرية، حيث كنت ضفيًا في العديد من البرامج الإذاعية ومنها أربع مرات على الهواء في إذاعة الشباب والرياضة لمدة ساعتين في كل مرة، وفي هذا العام بدأت أيضًا في كتابة روايات جديدة للأطفال تحمل اسم "فانتازيا"، وكان ابراهيم المعلم بلسمًا لي في هذا الصدد، لكن الموظفين الإداريين من حوله يعرقلون عملي، وتلك مشكلة، وأعتقد أن مؤلفاتي الجديدة من سلسلة "سندباد الجوي"، أو "حب حب" سوف تنشر مع معرض الكتاب، بعد أن تأخرت كثيرًا في الصدور.

في العمل، علاقتي بمصطفى نبيل جيدة، وأيضًا بمكرم محمد أحمد، حيث عبر عن رأيه في لابنته مذيعة التليفزيون أمنية، التي أخبرتني برأي أبيها عني، وهي تستضيفني في أحد البرامج، أنا أحمل الجميل لهذين الرجلين، فقد نقلا حياتي من عالم آخر، وليس هناك رجلين أديا لي الجميل، مثلما فعلا.

بدأت كالعادة بالحديث عن حياتي الأدبية والعملية، وذلك لأنني نذرت نفسي لهذا النوع من النشاط، وباستثناء ابنتي دعاء، فإن كل شيء من حولي يعتبر ثانويًا قياسًا إلى علاقتي بعملي، ولذا فأنا متفرع له، أعشقه، وهو موجود من حولي، فيما أقرأ، وأكتب، وفي المجلات التي اشتريتها، والأرشيف الذي يتضخم، وفيما أشاهده من الأفلام، وعلى سبيل المثال، فبداية من أكتوبر الماضي، بدأت أكتب مقالات سينمائية أسبوعية في جريدة الاجيبشان جازيت، حيث اتصل بي رئيس التحرير محمد على إبراهيم، وطلب منى الكتابة بعد أن بدأ محمد شبل يكتب في جريدة الأهرام ويكلى، كان على أن أكتب نصف صفحة أسبوعية، كل يوم أربعاء، باللغة العربية تتم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، وهكذا كسبت أرضًا جديدة.

أما بالنسبة للمشاريع المؤجلة، فهناك كتاب أقوم بإعداده عن "موسوعة جائزة نوبل"، وقد نشرته على حلقات في جريدة "الوطن" الكويتية في تسعين حلقة، وهناك كتاب "الأدب العربي المكتوب بالفرنسية"، الذي وافقت دار سعاد الصباح على نشره عام ١٩٩٤، وغير ذلك، فلم أكتب دراسة جديدة، هذا العام، وأتمنى أن أكتب كتابًا عن الجوائز العالمية، أو عن السينما، حيث من المتوقع أن تصدر "موسوعة الأفلام العربية" خلال النصف الأول من العام الجديد.

وسط عدم تواءم عائلي، تعرفت على فتاة جميلة، تدعى حسناء، إنها أقرب إلى القنبلة الأنثوية الموقوتة، لا يؤمن جانبها، بدأت العلاقة في

التذبذب معها، أخاف على نفسي من فتاة تلفت أنظار الآخرين بقوة، ولا شك أن أي رجل يقترب منها، يقذفها بكلمات الغزل غير العفيف، لذا، فإنني أتوقع أن تنتهي علاقتي بها، لكن لا أعرف كيف يمكن أن تكون النهاية، لم أتعرف على فتيات أخريات، فأنا لست من هواة اللعب على مشاعر الأخريات.

دعاء تعلقت بأمها بشكل ملحوظ، بلغت منذ أيام عامها التاسع، صارت أكبر سنًا، وحاولت أن يكون البيت سعيدًا من أجلها، هي شقية، خفيفة الظل، أكثر طفولة من سنها، من الواضح أنها لم ترث مني حب الأدب أو الفن، في الغالب ستكون سطحية.. ليس لها أي اهتمام بالمرة، باعتبار أن مئات الأطفال الذين حولي إما رسامين أو موسيقيين أو مؤلفين أو شعراء، كثيرة المطالب، والإلحاح، ولأنها ابنتي الوحيدة فإنني أشعر كثيرًا بقيمتها.

سافرت إلى الاسكندرية في فصل الصيف لمدة أسبوع، أثناء عيد الأضحى، ونزلت إلى الشاطئ، ثم سافرنا إلى مرسى مطروح، مع عائلة عديلي زكريا، في معسكر نادى سموحة، وكان أسبوعًا فردوسيًا، وغير ذلك لم أخرج من القاهرة.

يأتي مصطفى إلى القاهرة مرات كثيرة ، هذه الزيارات تجعلني أشعر بارتياح، فأنا أحبه بشدة، وقد لعب دورًا منذ أسبوعين في أن أتحدث إلى أخي محسن بعد قطيعة، جاء الصلح في الهاتف، ودعاني لحفل زفاف

ابنته محاسن، لم أتمكن من السفر، وأرسلت له مبلغًا كهدية، أما نعمة فلم أرها إلا مرات قليلة، لم تتغير، ولكن الحب بيننا شديد.

صداقاتي قليلة، من عبر المراسلة هناك الألمانية جزيلابوك، أما محمد المنسي قنديل، فقد افتقدته كثيرًا بعد سفره إلى الكويت، وهو يسعى أن أسافر إليه، تعرفت أيضًا على ممدوح شبل، تاجر الكتب والموسوعات، صار قريبًا منى للغاية، وعوضني بوجوده عن غياب المنسي، ولا أعرف كيف يمكن للقاهرة أن تكون بدون شبل، هو بالنسبة لي من أفضل أصدقاء عمرى، يتمتع بسمات رائعة عديدة، ناجح على المستوى الأسري، أما مشاريعه فإنها متعثرة، وهو يفكر في طبع "موسوعة الأفلام العربية"، هناك صديق آخر هو عدلي عبد السلام، بالإضافة إلى أحمد رأفت بهجت، ظهر محمود مصطفى وطلب منى أربعمائة دولار بعد أن شرح لي حكاية لا تصدق، وأخذ المبلغ، وأحسست أنه لن يرده.

حصلت على عضوية النادي الأهلي بمدينة نصر، وبدأت أنزعج من صعود التيار الديني المتشدد، وهي مشكلة تؤرق الوطن كله، وقد رأيت أن التشدد أشبه بجراد الأرض جاء ليقضى على الآخر واليابس.

عندما اشتريت طبقًا للفضائيات كنت أسعد البشر، حيث بدأت أرى العالم كله في صندوق صغير، وقد تغيرت عاداتي، فصرت أسهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وأحسست أنني سوف أخسر كثيرًا لو تركت مكاني أمام التليفزيون .هذا الطبق يعمل بكفاءة، ومن خلاله أشاهد أفلامًا

كثيرة، ونشرات أخبار العالم، وكان هذا سببًا أن أشاهد خلال العام أكبر عدد من الأفلام، حيث بلغ عدد الأفلام العالمية التي رأيتها لأول مرة أكثر من مائة وأربعين فيلمًا، كما أن تطور صناعة شرائط الفيديو جعلني أشاهد المزيد من الأفلام، ومن أجمل ما رأيت "فرانكي وجوني"، و"بحر الحب"، وكلاهما من بطولة آل باتشينو.

شاهدت فيلم "بحر الحب" أكثر من عشر مرات، وبهرتني بطلته ايلين باركن، بأنوثتها، ورقتها، وغموضها، ورغم أنها ليست مشهورة، فقد لفتت أنظاري، وأحاسيسي مما دفعني لرؤية الفيلم عديد من المرات.

السبت ٣١ ديسمبر ١٩٩٤

يمر اليوم ثلاثون عامًا كاملًا على تلك العادة التي بدأتها منذ عام ١٩٦٤ حين خصصت كراسًا كي أدون فيه وقائع كل عام ينصرم من حياتي، أولًا بأول، وبأسلوبي الذي أكتب به في تلك المرحلة، وأصبح هذا الدفتر بمثابة سيرتي الذاتية، أكتبها بطريقتي.

عندما بدأت الكتابة كنت في الخامسة عشر وعمري الآن ثلاثة أضعاف هذا السن، وطوال تلك الأعوام، التقيت بأشخاص، ودونت ما سوف أحاسب عليه، وكل ما يمكن أن أخلص إليه أنني لا زلت الطفل نفسه، صحيح أنه حدث انسلاخ من جسد إلى جسد، فليس الجسدان هما لنفس الشخص، إلا الطفيف من الملامح، لكن التجربة فرضت نفسها كي تتغير.

وأغرب ما في هذا الكراس، وخاصة في السنوات الأخيرة، هو مسألة "الفعل"، و"التوقع"، فرغم أنني إنسان خفيف الحركة، فإنني موضوعي، وعقلاني، وغالبًا فإن كل ما أتوقعه في إحدى السنوات يحدث بالفعل، مثلما تنبأت عن نهاية علاقتي بديدي في فترة كنا أكثر ارتباطا، ومثلما قلت في العام الماضي عن محمود مصطفى، إنه لن يرد الأربعمائة دولار، فمنذ أن أخذهم وليس بيننا أي اتصال، وكأنها كانت صداقة جميلة عليها أن تموت في خلال ساعات.

نبدأ بموضوع السفر إلى الكويت، فقد سبق أن رفضت السفر إلى هناك بدافع العمل، رغم الإغراء الكبير المحاط بالسفر، وقد تأخر موضوع عرض السفر مجددًا، ولكن في الشهور الأخيرة تجدد الأمر، وقيل لي إنني سأكون مع بداية عام ١٩٩٥ في الكويت، وليلتها طاردتني كوابيس الليل، ارتبطت بها، ولأن بعض الأمور المالية لم تعد مثل سابق عهدها، رغم أنني في حال أفضل حسب نوع متطلباتي، وعليه فلا أعرف بالضبط أين سأكون في الشهور القادمة، في أغلب الأحيان سأكون قد سافرت، ولعل مانعًا ما سوف يعرقل سفري خارجًا عن إرادتي، وهذا هو الاحتمال الأكبر، خاصة أنني استعددت للسفر، ودفعت بكل كتبي إلى المطابع لطبعها، بداية من "موسوعة جائزة نوبل" التي سوف تنشر في دار مدبولي، فقد قرأت البروفات، وأيضًا هناك "الأدب العربي المكتوب بالفرنسية" الذي دفعت به إلى سلسلة الألف كتاب، كما أن هناك وعدًا بنشر روايتي "زمن عبد الحليم حافظ"،

ورغم أنني لم أعد أكتب كسابق عهدي، إلا أن عام ١٩٩٤، كان حافلًا بالنشر، بداية صدرت ثمان روايات للأطفال من سلسلة "ألغاز الشروق"، ثم صدرت أربع روايات، وفي الطريق هناك ثلاث روايات، بطل هذه السلسلة يسمى "حب حب" حاولت أن أجعله "تان تان" المصري، مغامر حول العالم، لديه كمبيوتر خارق، وحقيقة، تتحول في أي وقت من إلى طائرة صغيرة، تأخذه، إلى أماكن ساخنة في العالم يشهد مغامرات، مثل البرازيل التي يريدون تدمير غاباتها، وأيضًا إلى الارجنتين، حيث هرب المجرم بابلو اسكوبار، وإلى أماكن أخرى عديدة من العالم، كان شكل

الروايات جميل، رسمها عبد العال، وطبع من كل رواية عشرون ألف نسخة، وزعت في الأسواق خلال الصيف الماضي.

حققت "موسوعة الأفلام العربية " نجاحًا ملحوظًا، كانت حدث العام ، وتضايق ناقد يعتبر نفسه ناظر مدرسة النقد، وأقام ندوة ضدي حضرتها، ووقفت بشراسة ضد ما أثير حول الموسوعة، لدرجة أن أحد الأعضاء في جمعية النقاد طلب منى أن أنشر مقالًا أعتذر فيه لأنني تجرأت وقمت بهذا العمل، فأجبته أنه عندما يصدر موسوعته الأفضل سوف أعتذر، هذه الموسوعة صارت الكتاب الأهم في الصحافة الفنية العربية ، وحدثت لي متابعات على الشاشات، ورأيت صحفيًا تونسيًا في أحد البرامج، يخرجها من حقيبته في زهو ملحوظ، ويريها للمذيع وللمتفرجين في قناة تليفزيونية تونسية، كان هذا وحده يكفيني إحساسًا بالسعادة، كما شاهدت أشخاصًا يتبادلونها كهدايا، وقد شجعني هذا أن أحاول إصدار طبعة ثانية، من أجل تصحيح أخطاء مطبعية، وإملائية، وفنية، جاءت في الطبعة الأولى، بسبب استهتار شاعر تولي تصحيح الموسوعة، فلم يقرأها، وتركها بدون مراجعة.

هذا المشروع، هو حصاد العمر، لم تستطع مؤسسات ضخمة أن تقوم بتنفيذه، أو إصداره، وعرف أنني صاحب المشاريع الكبرى، وهكذا سوف تكون موسوعة جائزة نوبل، التي تعثرت لدى شخص غريب السلوك، وعدني بإصدارها، وأبلغني أنه تم جمعها، ثم اكتشفت أنه أحد مرضى العصر، وما إن استلمتها منه، حتى أصابتني الحيرة، وعرجت على

الناشر مدبولي، وتركتها له، وبعد يوم واحد، أبلغني أنها في جمع الكمبيوتر، وأمام فرحتي هذه قررت ألا آخذ منه مليمًا واحدًا، فهكذا يكون الرجال في وعودهم.

الكتب التي صدرت لي هذا العام لم آخذ عنها مليمًا واحدًا، ابتداء من "موسوعة الأفلام العربية" إلى "موسوعة جائزة نوبل"، وروايتي الخامسة "وقائع سنوات الصبا"، التي صدرت منذ أسابيع في حلب بسوريا، وهي رواية تدور أحداثها في أيام الصبا الأولى، مثلما شرحت من قبل، أما "ألغاز الشروق" فإنني قد طلبت ألفي جنيه لأدفعها لمدرسة دعاء تحت الحساب، ونشرت رواية "زمن عبد الحليم حافظ" بدون مكافأة في الأهرام المسائي، وقد تركت صدي جيدًا، ومما زاد الطين بله أن زميلًا لي في دار الهلال، سافر إلى السعودية، قد أخذ منى ثمانية كتب لنشرها هناك، وعرفت أنه أباحها لنفسه، بعد أن نزع عنها اسمى، وكان صدمة، أصابتني بحالة من اللامبالاة، واتصلت بإدارة المشروع الذي يعمل فيه، وشكوته، ويبدو أن الأمر تعثر.

الكتاب الوحيد الذي انتهيت من كتابته هذا العام، عن "خليفة التليسي"، بعنوان "الشعر والمعرفة" باعتبار أن ذلك وعد وعدته إياه عندما زرت طرابلس عام ١٩٩٠، وأنا الذي أكتب عن موضوعات وليس عن أشخاص، حاولت أن أجتهد في كتابته، ومن الأرجح أنني لن أذكره في مؤلفاتي، وهو ليس كتاب مجاملة، بل تنفيذ وعد.

قلت كتاباتي في الصحف والمجلات، وظل تواجدي مع الإذاعة، بنفس المستوى، خاصة البرنامج الثاني، وقد كنت ضيفًافي القناة الثالثة لعدة مرات خلال الصيف، وأيضًا في برنامج "صباح الخير يا مصر"، وهناك استحسان لما أكتبه أسبوعيًا في جريدة "الاجيبشان جازيت"، كما أكتب عمودًا يوميًا يحمل عنوان "حديث الريموت".

بلغت دعاء هذا العام سن العاشرة، لم تعد الطفلة، ولكنها تتعامل كفتاة صغيرة تملؤها الشقاوة والحركة، قد تقرأ أحيانًا كتابًا، لكن ليست القراءة عندها ذلك الشغف الذي أراه في الأطفال الذين أتعامل معهم. وفي الفترة الأخيرة، بدأت حصيلتها المعرفية الفنية في الازدياد، تعرف الممثلين، والأفلام، فأصحبها إلى بعض العروض، بكت دعاء بشدة عندما ذهبت معها إلى السينما لأول مرة، وانطفأت الأنوار.. لذا فإن وجود الدش في البيت، ساعدها أن تتطور، فهي على سبيل المثال معجبة ببرنامج "أسئلة لبطل" الذي يذاع في القناة الفرنسية tv5.

تذبذبت علاقتي بحسناء طوال العام، نتقابل على غير موعد، لم تعد بذات أهمية في حياتي، وأنا أيضًا لست شيئًا مهمًا في حياتها، تزورني من وقت لآخر في مكتبي، ونخرج لتناول الشاي في بهو أحد الفنادق، ولم تشهد علاقتنا مساحة أكثر اتساعًا، تعرفت على مذيعة مطلقة، وخرجنا أيضًا لتناول الشاي، لكن ما لبثنا أن فترت صداقتنا.

أناس كثيرون يعبرون حياتنا، نعجب بهم أبان الفترة القصيرة التي ربطتنا بهم علاقة ما، ثم يختفون، أما إيهاب سيد محمود، فقد وقفت ضده وهو يتلاعب بمشاعر حبيبته أماني، وقد صدق حدسي في ذلك، لذا دعياني للحضور للإسكندرية لأكون شاهدًا على زواجها في أوائل شهر ديسمبر، وكانت فرصة لأعود لمدينتي بعد ستة أشهر كاملة من الابتعاد عنها، أما ممدوح شبل فإن علاقتي به تزداد، وكذلك عدلي عبد السلام، أما صداقتي لأخي مصطفى فهي قوية، حيث أراه بانتظام في القاهرة، حين يأتي لحضور بعض الجلسات في عمله في شركة مصر للتجارة الخارجية، وقد عوضني هذا عن عدم سفري إلى الاسكندرية.

أهم حدث في حياتي، هو علاقتي بالدش، فأنا أجلس لمشاهدة القنوات الفضائية ساعات طويلة أسجل ما أريد من مشاهد ومواقف على شرائط فيديو، شغل على حياتي بعد طول حرمان، لا رقابة هناك، فشاهدت من خلاله قرابة مائتي فيلمًا كاملًا خلال العام، وهل هناك أجمل أن تبدأ عامك بمشاهدة فيلم "اسم الوردة"، وترى أفلامًا من طراز "رجل المطر"، "السابحة الجميلة"، "القمر المر"، "فالمونت"، و"سينما باراديسو"، و"هل هناك أجمل من أن ترى أجساد جيسكا لانج، ورومى شنايدر، وايمانويل بيار، وميلاني جريفت، والين باركين؟

لذا لم أعد أقرأ إلا للضرورة، أعجبتني رواية "الساحر" لجون فاولز النبي نشرت في روايات الهلال، لذا، فإنه على مستوى العمل، فإن علاقتي بمصطفى نبيل على أفضل ما يكون، وقد كنت وراء فكرة إصدار

عدد خصم عن مئوية السينما العالمية، في يناير ١٩٩٥، أعجبته الفكرة وستكون النتيجة رائعة، كان هناك وعد مجدد لتعييني رئيسًا لتحرير كتب الهلال للأولاد والبنات، لكن عبد الحميد حمروش بلع وعده مثلما سبق أن حدث عام ١٩٩١، ولم أراجعه في ذلك.

جدد نشر روايتي "زمن عبد الحليم حافظ" أن هذا المطرب هو نجمي المفضل في عالم الغناء، فاندمجت مع أغنياته وأنا أكتب فصول الرواية، عن أغنياته الوطنية، وظلموه، وقارئة الفنجان، ونداء الماضى، أما كيرك دوجلاس فقد تجدد حبي الشديد له، بعد مشاهدة "سبارتاكوس" في التليفزيون، كما سجلت أفلام شون كونرى التي أحببتها قبل ثلاثين عامًا.

ألم أقل إنني لم أتغير قط؟

الأحد ٣١ ديسمبر ١٩٩٥

سافرت إلى الكويت، وقضيت يومًا واحدًا فقط، ثم ثمت بشراء تذكرة طائرة من نقودي الخاصة، وأسرعت عائدًا إلى القاهرة.

في البداية، كما اقترب موعد السفر، تراودني أسئلة من طراز: لماذا، وما المعنى، وما هو ثمن السفر؟ كان الخناق يضيق على من أجل أن أعد نفسي للسفر، أوراقي وحقائبي، وركبتني كوابيس حقيقية، ويوم أن استلمت الفيزا في مكتب المجلة بالقاهرة بكيت بشدة أمام أبو المعاطى أبو النجا، بكاء ذكرني بآخر مرة بكيت فيها من أجل ديدي، وعندما اتصلت بزوجتي من المجلة بالكويت، بعد نصف ساعة من وصولي إلى المكتب بكيت بشدة أمام الآخرين، وألح على سؤال: السفر لماذا.. وما الجدوى؟ كنت قد وطدت نفسي أنني سوف أسافر بضعة أسابيع على سبيل التجربة ثم سأعود إلى القاهرة، كي أقرر مصيري، لكن موظفًا إداريًا هناك أفهمني أن العودة أمر صعب، فاشتد قلقي، وسحبت جواز سفري من الفندق وهو أمر بالغ الصعوبة، وبعد ست وثلاثين ساعة من وصولي إلى هناك اشتريت تذكرة عودة على نفقتي، دون أن يعلم أحد بقراري العودة، وبعد ساعات قلق من أن يبحثوا عني، رجعت إلى القاهرة، وأنا أعرف أن كل ما بيني وبين المجلة قد انقطع للأبد.

وفي القاهرة، كانت الصدمة بالغة القوة عندما اكتشفت أن ثلاثة من زملائي، أحدهم يقال إنه مدير تحرير قد تضافروا ضدي وأفرغوا مكتبي

من أوراقي واستولوا عليه، واحد منهم كنت قد سمحت له عند عودته من الخليج أن يشاركني غرفتي، يومها ثارت ثورتي عليهم وعلا صوتي في المكان، وظللت أشاجر معهم عدة أيام، حاول واحد منهم أن يتملص بقوة من هذه المسئولية، وقاطعتهم تمامًا وشطبتهم من ذاكرتي، وعادت لي غرفتي، ومكتبي، لكن قانون الغابة الذي أحاط بي ترك أثره في، ووجدت سلبية من رئيس التحرير، بينما بدت مخالبي قوية في هذا الحدث الذي اعتبرته أكبر شركة أصابتني قوتها في السنوات الأخيرة.

عندما عدت إلى القاهرة، كنت قد صرفت ما يعادل ١٢٠٠ دولارًا في الرحلة، منها سبعمائة دولار لشراء ثلاجة في البيت، وبدوت كأنني مقبل على أزمة مالية، لكنني لم أبال، فأنا أعول دائمًا إلى مانحي الأكبر الذي يساندني تمامًا في مثل هذه الأحوال، وتعرفت على ناشر سعودي، ووكيله المصري، واتفقنا على مشاريع كبرى، واندهش عندما زارني في البيت لضخامة مكتبتي وأرشيفي، وتم الاتفاق على طبع كل من "زمن عبد الحليم حافظ"، و"سينما عادل امام" و"جواسيس الأدب جواسيس السينما"، في كتب مقابل خمسة عشر ألف جنيهًا.. تدفع على ثلاث مراحل، وقد استفدت كثيرًا من الدفعتين الأولى، والثانية، فسددت مصاريف دعاء المدرسية، وقمت بتجديد بعض أثاث المنزل، وبدأت الأمور في التحسن، وأنقذني الله من أزمة مالية مرتقبة، وأحسست أن قراري بالعودة إلى القاهرة كان صائبًا.

صدمت في السلبية التي تصرف بها رئيس التحرير، الذي يعرف كم أحبه، وكنت قد كتبت مقالًا عنه أثناء سفري، أعدد فيه مآثره تحت عنوان "زمن مصطفى نبيل"، وقررت أن أنشغل بكتبي، وبدأت بعمل كتاب عن جائزة الملك فيصل للناشر السعودي الذي كان كريمًا معي، ومن جديد عدت لأتذوق طعم النجاح عندما تحولت رواية "زمن عد الحليم حافظ" إلى سهرة إذاعية ناجحة، في إذاعة البرنامج الثاني، وعندما بدأت جريدة "الهدف" الكويتية في نشر كتبي ورواياتي مسلسلة كل أسبوع، فنشرت لي "سينما عادل إمام" و"وقائع سنوات الصبا"، باسم "وقائع سنوات السينما"، و"زمن عبد الحليم حافظ"، و"الحب في السينما"، و"جواسيس الأدب جواسيس السينما"، وكتب أخرى ستنشر على حلقات مع بداية العام الجديد.

صدر سبعة عشر عددًا من "ألغاز الشروق" وأعيد طبع الروايات الثمانية الأولى طبعة ثانية، وبدأت في كتابة الجزء الثالث من "ثلاثية الحنين" تحت عنوان "أيام الشارلستون"، كما تمت استضافتي في العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية بشكل مكثف مما ساعد على تواجد أكبر، وصدر لي كتاب بعنوان "حكايات علمية مثيرة"، فضلًا عن نشر قصة مسلسلة في مجلة "علاء الدين"، وقصص في مجلة "ماجد"، ومجلات أخرى، وتعاون وثيق مع "أخبار الأدب"، وإصدار أعداد خاصة عن السينما في "الهلال"، ومجلة "ألف" التي تصدرها الجامعة الأمريكية، ومجلة "العربي"، ومشاركتي في مهرجان الاسكندرية، كما انتهيت من ترجمة رواية جديدة من تأليف ألبير قصيري بعنوان "كسالى في الوادي

الخصيب"، ومنذ أسبوعين عرفت أن كتابي عن خليفة التليسي، سوف يصدر خلال الأشهر القادمة.

هي أخبار سعيدة، ومواقف جعلتني أتوائم مع تجربة السفر للعمل خارج مصر، وأنا الآن لا أعرف كيف سولت لي نفسي أن أسافر، وعزائي في ذلك أنني كنت رافضًا، ولم أرضخ، ولم أقع في شباك إغراءات المال، فأنا سعيد بإيقاع حياتي هكذا، فما زلت أركب المواصلات العامة مع الناس، خاصة الميني باص الذي كونت فيه صداقات عميقة.

كانت المشاكل تنبع من تصرفات الآخرين، ومواقفهم السلبية، مثل موقف منى البنداري، التي أشركتها معي في إعداد موسوعة الأفلام العربية، ووضعت اسمها قبل اسمى، لقد قررنا إصدار موسوعة جديدة بديلة، وبيعها إلى معهد العالم العربي مقابل ثلاثة آلاف دولار، لكن مني خذلتني، ووقفت إلى جوار ممدوح شبل، الذي لم يعطيني مليمًا واحدًا، مقابل جهدي في الموسوعة، وقد عرفت أنه باع نسخًا منها في الخليج بمبالغ كبيرة، وهو الذي جعلنا نوقع على عقود أن الموسوعة ملك له للأبد، وبدأ يبحث عمن يشترى حقوق الموسوعة دون الرجوع إلينا، كما اكتشفت أن هناك من استولى على جزئين من الموسوعة كي ينشرها باسمه في نشرة مهرجان السينما الذي عقد عام ١٩٩٤، ووسط كل هذه الخصومات والصراعات، حمدت الله أنني لم أصاب بعد بأي اكتئاب.

شغلتني هذه المنافسات عن ظروفي العائلية، صارت دعاء أكثر ارتباطًا بأمها، قد أحاول التصرف بشكل يجعل المشاكل أقل، لكن ابنتي طفلة وحيدة، في الصف الأول الاعدادي، تسافر مع أمها إلى الاسكندرية أثناء شهور الصيف، قضينا هذا الصيف عشرة أيام سعيدة للغاية في شقة المعمورة، استأجرها لنا أخي مصطفى، وكانت "اللمة" العائلية، كما سافرت الأسرة إلى العريش، وقضيت ثمانية أيام في مهرجان الاسكندرية.

في الاسكندرية تعرفت على امرأة جميلة بلاستيكية، تسمى منى، تحلم أن تصبح نجمة مشهورة، تم التعارف بسهولة، وأصبحت ظلا لها طوال أيام المهرجان، جاءتني إلى غرفتي قبيل منتصف الليل، وقبل أن ألمسها دق جرس الهاتف من القاهرة، إنها زوجتي، كأنها تقرأني عن بعد، وتحاول أن تحميني، وهربت منى دون أن نتلامس، ثم جاءت في الليلة التالية، وما إن فتحت لها الباب، حتى دق جرس الهاتف، هذه المرة يتصل بي أخي مصطفى، وهكذا حماني الله من الخطيئة مرتين، عن طريق شخصين من دمي، وسرعان ما شعرت بالاشمئزاز من منى عندما عرفت أنها على علاقة برجل عجوز يصرف عليها ببذخ، عندما عدت إلى القاهرة، جاءت لمقابلتي كي أبحث لها عن فرصة، وكان اللقاء فاترًا، وانتهت العلاقة.

حضرت زفاف إيهاب الذي انشغل بحياته الخاصة بعد الزواج، فلم نعد نتكلم كثيرًا، كما كنت شاهدًا على زواج محمد مرتضى وهو شاب

يعمل في التليفزيون، علاقتي بنعمة جيدة، رأيتها مرتين هذا العام، أثناء وجودي في المعمورة، وأثناء مهرجان الاسكندرية، مصطفى قريب جدًا إلي، وبيني وبينه محبة فائقة جدًا.

لا تزال علاقتي بالدش هي من أجمل الأشياء في حياتي، لكنني لم أعد مدمنًا للسهر أمامه مثلما كنت عليه في السنة الأولى من دخوله منزلي، شاهدت ثمانين فيلمًا، وعاودت مشاهدة "سبارتاكوس"، واستوقفتني أفلام "فورست جامب"، و"بن حور"، و"منزل الأرواح"، ازدادت علاقتي بمحطة إذاعة أم كلثوم التي أستمع إليها وأنا أكتب، أنابتني هذا العام بعض الأزمات الصحية، وأشعر أن الكبد ليس في أحسن أحواله، أخاف من الذهاب إلى الطبيب حتى لا أدخل في دائرة الأطباء النارية، وقد يرجع ذلك إلى علاقتي القديمة بالموت، فمع كل عام جديد، أشعر أننس سوف يكون هذا العام هو آخر علاقة لي بالحياة، وذلك لما أحمله من مفهوم عبثي عن الحياة والموت، هذا المفهوم ثابت في حياتي لا يتغير.

الثلاثاء ٣١ ديسمبر ١٩٩٦

هل يكتب المرء منا ليعيش، أم أنه يحيا كي يكتب..؟

الأمران يجتمعان معًا بالنسبة لي، لذا فأنا أشعر بالسعادة الفائقة، وأنا أحقق حلمي الدائم أن أكتب بلا توقف، وهكذا كانت سنة ١٩٩٦، حيث نشرت لي كتب عديدة ففرحت كثيرًا، وأنا أتلقف النسخ الأولى من كتب تحمل اسمى: "زمن عبد الحليم حافظ"، "جواسيس الأدب جواسيس السينما"، "خليفة التليسي الإبداع والمعرفة"، "انقسام الظهيرة"، مسرحية فرنسية من تأليف بول كلوديل، ثلاثة أعداد من ألغاز الشروق، و"الأدب العربي المكتوب بالفرنسية"، "كسالى في الوادي الخصيب"، خمسة أعداد من سلسلة "اعرف عصرك"، عشرة كتب من سلسلة "مغامرات سينمائية مثيرة"، زخم من المؤلفات سببت للمرء سعادة، وخلفت تواجدًا، أما السعادة الكبرى فهي إذاعة المسلسل الإذاعي "مغامرات حب حب"، في إذاعة الشباب والرياضة، إخراج أحمد علام، المستوحاة من "ألغاز الشروق". في البداية كان الاتفاق كتابة مسلسل يومي لمدة خمس دقائق أثناء الصيف، وحدث أن استمعت نجوى أبو النجا رئيس شبكة الشباب والرياضة لإحدى الحلقات، فقررت أن يستمر المسلسل طوال العام، ثم ألفت سهرة إذاعية باسم "جسر الأهوال"، تم اختيارها كأحسن مسلسل لإرساله إلى مسابقة إذاعية في براغ بتشيك، وتحول المسلسل إلى القطاع الاقتصادي، وتمت إذاعته أكثر من مرة.

ولماذا لا يكون عامًا سعيدًا، وقد صرت عضوًا في لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة، وأيضًا أن أحاضر في أنشطة ثقافية يعقدها المجلس، وأواصل النشر في جريدة "الهدف"، رغم توقف النشر في النصف الثاني من السنة، ثم استكمال النشر في "ماجد"، والعودة للكتابة في مجلة "العربي"، ولماذا لا أكون بالغ السعادة، وقد صار تواجدي في قنوات التليفزيون بالغ الكثافة، يوميا تقريبا، وظهرت كضيف في "نادى السينما" مما رفع أسهمي.

ولماذا لا تكلل السعادة حياتي، وقد اشترينا شقة في لوران بالإسكندرية، دفعت فيها ٧٥ ألف جنيه، والباقي ديون، كما دفعت حماتي بقية ثمن الشقة، أنه انتقال من مكانة إلى أخرى أفضل، ولماذا لا أكون سعيدًا، وأنا أنشر في "الجازيت"، ولماذا وهناك كتب عديدة تحت النشر منها "موسوعة الممثل"، كما أنني نشرت رواية "أيام الشارلستون" في الأهرام المسائي على حلقات، إنها رواية تتحدث عن سنوات الصبا من خلال أنواع الملابس التي نرتديها، وفيها تحية كبيرة إلى الأستاذ فيصل، مدرس التربية الرياضية في مدرسة رأس التين الاعدادية، الذي كانت تربطني به صداقة قوية، وقد مات وهو في سن صغيرة، عقب زواجه بعام تقريبا.

قضيت أسبوعًا للسنة الثانية على التوالى في المعمورة، وأسبوعًا آخر في شيراتون المنتزه، حيث حضرت مهرجان الاسكندرية، وبين لوران

حيث شقتي الجديدة، ولم أسافر كالعادة إلى العريش، حيق قضيت أغلب الصيف في القاهرة، بينما زوجتي وابنتها في الاسكندرية.

في هذه الفترة، تعرفت على أكثر من امرأة، هناك أحاديث هاتفية في المساء، عرفت أنني تلميذ مبتدئ ساذج في هذه الدنيا، وأن كل ما أتصور أنني أعرفه، ليس سوى قشور حياتية، عرفني سائق أوتوبيس على ابنه أخته رضا، خرجنا معًا، وتناولنا الغداء في أكثر من مكان، وفي النهاية زوجتها من شاعر معروف يكبرها بسبعة وثلاثين عامًا، هي جميلة في الخامسة والعشرين من العمر، "حسناء" كانت قريبة منى حتى النصف الأول من العام، اقترضت منى مائة دولار، ولا أعتقد أنها ستظهر، لم أشأ الاتصال بها، كانت علاقة مصلحة، وكان فتاة من معدن متميز.

الصداقة في القاهرة لها ثمن، القاهرة مدينة بلا قلب، مليئة بالمصالح، ويبدو هذا في اتصال الناس بالهاتف، ولذا أعتبر بيتي هو المكان الأمثل، توثقت صلتى بخالد ناصف، ومحمد طايل، وأحمد الزيادى، في دار الشروق، لكنهم ليسوا أصدقاء بالمعنى الحقيقي، تعرفت على إبراهيم فريح مستشار دار مدبولي، ودار الأمين، كما توطدت علاقتي مع الرسام عبد العال، الذي سافرت معه ذات يوم جميل إلى بور سعيد، مدينته، واشترينا سمكًا، لقد رسم لي كافة كتبي المنشورة في دار الشروق، الأصدقاء الأكثر قربًا مني هما محمد صدقي وعدلي عبد السلام.

صارت دعاء أقرب إلى البنات بعد أن بلغت سن الثانية عشر، في الصف الثاني الاعدادي، لكنها في نظري لا تزال طفلة، أخذت الكثير من أمها، هي الشيء الأغلى في حياتي، كثيرًا ما تمازحني، نتضارب، بدأت تتحمل المسئولية.

قاطعت زملائي الذين دمروا لي مكتبي أثناء سفري، وظلت علاقتي بمصطفى نبيل في أحسن حالاتها، أحوز على ثقته، وهو يعرف قيمتي جيدًا.. ويشكل لي هذا المزيد من الارتياح، أتعامل مع الآخرين من منطق تجنب عيوبهم والتعامل مع أفضل ما يمتكون من سمات، وإن كان هذا لا يمنع أن بعض الآخرين يسوؤهم ما أحققه من نجاحات على المستوى الأدبي، أما المستوى المالي، فإنهم في أغلبهم، عاشوا في دول الخليج، وقد امتلأت البنوك المصرية برصيد كبير.

لا يزال الدش يخلبني، وإن قل السهر أمامه بشكل واضح، اختفت قنوات كنت أواظب على مشاهدتها خاصة في القمر التركي، مما وجهني إلى القمر البولندي، فشاهدت سبعة وخمسين فيلمًا، ومن أهم ما رأيت هذا العام "القلب الشجاع"، "امبراطورية الحواس"، رغم ما به من مشاهد مقززة، وفيلم "قلب التنين"، من ناحية أخرى توثقت صلتي بالأفلام المصرية والعربية، من أجل عمل مشروع متكامل لدراسات عن هذه السينما، منها كتاب عن "صورة الأدباء في السينما"، ولا أنسى مشاهدتي للفيلم الأمريكي "شمشون ودليلة" الذي رأيته على إحدى القنوات الإيطالية.

الأغنيات الجديدة لا تجذبني، شدتني أصالة، ولم يشدني كاظم الساهر، أدندن أغنيات مادونا في فيلم "ايفيتا"، أعجبت برواية "بحر ميت" لخورجه آمادو، و"لا أحد ينام في الاسكندرية" لإبراهيم عبد المجيد، و"عشيقة الضابط الفرنسي"، وكلها أعمال منشورة في روايات الهلال، كما أنني أعدت قراءة بعض الروايات القديمة مثل "زينب"، و"غصن الزيتون".نجومي المفضلون لم يتغيروا، ويمكن أن تضاف النجمة الأمريكية ميشيل فايفر، أهم ما في حياتي أن الله سبحانه وتعالى قد حماني دومًا من الوقوع في كافة أنواع الخطيئة، سواء الجنسية، أو المالية، فأنا لا أطيق أجسامًا محرمة على، وفي الوقت نفسه فإنني شديد الكراهية لكل مال يأتي للمرء عن طريق غير شرعي، ولا أتصور أنني قد حصلت على مال دون كتابة، وأذكر أنني أثناء أزمتي المالية عقب عودتي من الكويت أن عرضت على إحدى دور النشر، أن أكتب كتابًا جديدًا لباحث عربي، سيحصل على رسالة جامعية، مقابل عشرة آلاف جنيه، ورفضت بكل حسم رغم إغراء العرض، فأنا أعتبر أن ذلك أيضًا من مظاهر المال الحرام.

الأربعاء ٣١ ديسمبر ١٩٩٧

ترى هل يعود المرء للكتابة هنا مرة أخرى؟

انتابتني الأحاسيس نفسها في السنة الماضية، وأنا أكتب هنا، ووقتها كان الألم قد بدأ يدخل جسدي، في بعض الأحيان يصيبني نزيف في أنفي، فأجريت عملية "كى"، وتوقف النزيف حتى الآن.

إنه تأثير الإحساس بالسن، فقد ارتفعت نسبة السكرى إلى ٢٩٣، ويزيدني هذا إحساسًا يلازمني منذ أن كنت في العريش أنني سوف أموت غدًا.

كان عام ١٩٩٧، هو عام السفر، فقد زرت ثلاث دول لم أزرها من قبل: الأردن، سوريا، لبنان، بل إنني زرت سوريا مرتين في فترتين متقاربتين، فضلًا عن رحلة إلى الأقصر ليوم واحد بالطائرة، حملتني الطائرات إلى أماكن عديدة، وعش في فنادق شيراتون الاسكندرية أثناء مهرجان الاسكندرية، لمدة أسبوع، ثم مدة يوم واحد من خلال ندوة عن الخيال العلمي، سافرت ثمانية أيام إلى الأردن لإلقاء محاضرة عن مسرح الطفل، وإلى سوريا ثمانية أيام، ثم أسبوع، الأولى لمهرجان دمشق، ثم لإلقاء محاضرة عن أدب الطفل في مؤتمر اتحاد الكتاب، وأثناء الرحلة سافرت إلى بيروت لمدة يوم واحد.

السفر ساحر، رائع، يعني السفر أننا سنقابل أشخاصًا جدد في أماكن لم نطأها من قبل، قضيت ٣٥ يومًا في الفنادق، التهم من أطعمة البوفيه المفتوح، خاصة الحلوى والفواكه، فوجدت أنني في الأسبوع الأخير من العام قد صرت ضامرًان واتسعت الملابس حول جسدين وصار على أن أدخل في مرحلة تقشف، ومرحلة علاجية، رغم عدم ثقتي في الأطباء.

كان عامًا من أعوام التوفيق الأدبي، حيث ارتفع رصيدي في أماكن عديدة، صدر لي أكثر من كتاب جيد، منها "الأدب العبي المكتوب بالفرنسية"، عن سلسلة الألف كتاب الثاني، وسلسلة "خيال في خيال"، وهي ست كتب عن دار الشروق، كما صدرت لي كتب أخرى للأطفال ضمن سلسلة "حكايات علمية"، وكتاب عن "حسين القباني"، و"دراسات سينمائية"، منها "الدين في السينما" و"موسوعة الممثل في السينما"، و"الأدب في السينما"، و"العنف في السينما"، عن دار الأمين وكتاب عن "إبداع خليفة التليسي".

أما النجاح الأكبر في حياتي، فكان من خلال عرض مسرحية "زيزو موهوب زمانه"، التي بدأ عرضها يوم ٢ يوليو، على مسرح الطفل، إلى جوار كوبرى الجامعة، كان ليلة من ليالي العمر، جاء الأصدقاء والكثيرون من الزملاء لمشاهدة العرض، كنا بالغي السعادة، أنا والمخرج محمد أبو الخير، المسرحية من تمثيل وجدى العربي، وعزة لبيب، وأشعار أحمد زرزور، وألحان منير الوسيمي، كان نجاحها يضاعف من نجاحي،

وتفرغت لحضور عروضها، أحببت التجربة، وكتب عنها كثيرًا في صحف ومجلات وأثنى الكثيرون عليها، خاصة الدكتور حمدي الجابري، واستمر عرضها أكثر من خمسة شهور، وهي ظاهرة غريبة، ليس فقط في مسرح الأطفال، بل في المسرحيات التي عرضت طوال العام، حيث فشل أغلبها تجاريًا، وقيت مسرحيتي التي ذهبت إلى الأردن من أجل إلقاء محاضرة عن موضوعها.

بدوت في أحسن حالاتي، وأنا أعود إلى التأليف، فلا يزال يتم تقديم المزيد من الحلقات الإذاعية "مغامرات حب حب" في إذاعة الشباب والرياضة من إخراج أحمد علام، يذاع مرتين يوميًا، والفضل في ذل يرجع إلى اقتناع المخرج بالعمل، وإلى نجوى أبو النجا، مدير شبكة الشباب والرياضة، التي اختارتني لأكتب حكايات رمضان الي يقرأها الفنان رشوان توفيق.

كذلك أعددت دراميًا قصص بعض الأفلام للبرنامج الثاني، وقد أعجب المخرجون بأسلوبي في الكتابة مما أثلج صدري.

ظللت في حالة عمل، أهم ما أنجزته هو الانتهاء من مشروع العمر، موسوعة الأفلام العربية مرة أخرى، كنت جالسًا مع محمد سالم، أحد رجال الأعمال في الاسكندرية، في جلسة عشاء، حدثته عن مشروعي وأخبرني أنه سوف يقوم بتمويله، واليوم فقط انتهيت من صياغة الموسوعة، أجهدتني كثيرًا، وشارك معي أكثر من عشرة أشخاص في

إعدادها، لم يكن الكثيرون منهم على قدر المسئولية، وتفانيت في صياغتها لدرجة أرهقت بصري، فهي بالغة الضخامة، والمعلومات المجهولة المنقوصة كثيرة، فليست هناك مراجع مؤكدة، وليس هناك عمل مماثل، وكم أنا حريص أن أرى الموسوعة الجديدة، خاصة أن الموسوعة الأولى، تم استغلالها بشكل مبالغ فيه، وكسب من اشتراها كثيرًا منها، وأنا لم أكسب سوى الشهرة التي جاءتني أنني صانع أول موسوعة سينمائية في مصر، دون أن يدخل جيبي مليم واحد.

أما الموسوعة الثانية، فهي "موسوعة أدباء القرن العشرين المعاصرين"، التي وعدني الناشر محمد رشاد بطباعتها، وفعلًا تمت الموافقة على نشرها، وتمت مراجعتها، وهي مشروع ضخم، به بيانات، ومقالات كاملة، عن أكثر من ألف كتاب في كل أنحاء العالم أبدعوا في الربع الأخير من هذا القرن.

صداقاتي مع أبناء جنسي كما هي، اكتسبت صداقات جديدة، مثل الكاتب السوري حكم البابا، الذي حضر إلى مهرجان الاسكندرية، وهو الذي عمل على دعوتي إلى دمشق، وكان رفيقًا طوال الشهور الثلاثة الأخيرة بين القاهرة والاسكندرية، ودمشق، صديق رائع، لكنه متقلب المزاج، ويحب الاستحواذ على الأصدقاء، هناك أيضًا صداقة مع الكاتب عدلي عبد السلام، وقضيت أوقاتًا طيبة مع الناشر السوري المثقف محمد الزنابيلي، ولي صداقات على المستوى نفسه مع أحمد رأفت بهجت، ونادر عدلي.

اكتشفت أن ثروتي الحقيقية هي حب الناس لي، في العمل، وخارجه، تمت المصالحة مع زملائي الذين استولوا على مكتبي أثناء سفري العابر منذ عامين إلى الكويت، بعض العلاقات مصالح.

دعاء صارت في سن الثالثة عشر، بدت عليها ملامح الأنوثة، تعتمد على نفسها، أحب المحاورات معها، أتيت لها بالمزيد من الهدايا، وأنا عائد من سفرياتي، وأتمنى أن تكون لها نفس الهوايات، فهي تتذوق الأفلام الجيدة بشكل ملحوظ، شاهدت أغلب أفراد عائلتي لأول مرة منذ فترة طويلة، حين حضرت حفل زفاف نجلاء ابنة أختي فتحية، علاقتي بهبة ابنة نعمة رائعة، وهي الآن في الصف الثاني الثانوي، وأحبها مثل حبي لابنتي.

تنحصر حياتي بين الكتابة والقراءة، والدش، أشاهد الكثير من الأفلام عن طريق المحطات الفضائية، سواء في منزلي، أو إلى الأماكن التي أذهب إليها كالفنادق، شاهدت أكثر من مائة فيلم ومن أبرز هذه الأفلام" أعراس بيضاء" وهو فيلم فرنسي عن علاقة قدرية بين تلميذة وأستاذها، وأيضًا أعجبني فيلم "المريض الإنجليزي" لمانجيلا، ما زلت أسمع الأغنيات القديمة، وأستمع إلى إذاعة أم كلثوم وإلى البرنامج الموسيقى، كما تشدني أغنية "صابر" لمحمد فؤاد، ونجومي المفضلين لم تتغير أسمائهم طوال هذه السنوات، أنهم الذين صنعوا وجداني، لكل جيل ذوقه، والمرء قد لا يتغير الكثير مم يتذوق.

تم تجديد عضويتي في لجنة ثقافة الطفل، وما زلت نشطًا في هذه اللجنة، كما تم تكريمي في المركز القومي لثقافة الطفل، حتى الآن لم أرتكب الخطايا الكبرى، لم أمارس الجنس بشكل غير مشروع، أحب بيتي، والبقاء فيه لساعات طويلة.

عام ١٩٩٧، ينصرم بين أناملي، هو مثل كل الأعوام التي ذهبت إلى مقابرها، أحس أنني لو مت فإنني سوف أترك أشياء مهمة خاصة بعضًا من كتبي، ودائمًا ما ينتابني هذا الإحساس، أنني سوف أموت في العام القادم، ولهذا السبب، اشتريت شقة جديدة في لوران بالإسكندرية، باسم ابنتي وأمها.

الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٩٨

إنها المشاعر نفسها.. تتكرر من جديد..

ترى هل هي فرصة جديدة للحياة، أم أنها فرصة جديدة للكتابة في هذا الكراس، أو كما يقال "كتاب حياتي"، ففي نهاية العام الماضي، وفي أواخر العام الأسبق، أنابتني المشاعر أنه لم يعد في العمر بقية، وأنها قد تكون الفرصة الأخيرة للكتابة هنا، أو أننى قلت كلمتى الأخيرة فوق هذه الصفحات، لكن يبدو أن هناك بعض البقية..

فوسط عدم ميلي للذهاب للأطباء، وأعراض تؤكد أنني مريض بمرض يؤدي إلى الموت..

أحسست أنني بلا غد، كان على أن أخمن أنني مريض بالكبد أو المعدة، والا أذهب إلى الأطباء.. ووسط هذه المشاعر مات زوج نعمة في أيام قليلة بمرض في المخ، وهو يصغرني بأربعة أعوام، كما مات نبيل زوج نجوى شقيقة زوجتي بعد مرض آلمه كثيرًا في صدره، وهو الذي أفنى حياته في الغربة، دون استمتاع حقيقي بالحياة.

لكن هذا لم يلغ أنني عشت تجربة ما، ورغم أنني لم أكتب من قبل عن علاقاتي الإنسانية، فإنني أتحدث عن تجربة عشتها مع سيدة متزوجة، تعرفت عليها في النادي الاجتماعي بمدينة نصر، اسمها تحية، تسللت إلى حياتي، ودخلت فيها فصارت أهم أجزائها ابتداء من شهر

أبريل، كنت أذهب إلى النادي في ساعة مبكرة، وخاصة مع بداية شهور الربيع، أكتب في أجواء مناسبة، بعيدًا عن العمل، حتى لا ينغص على أحد أو يقاطعني، أما هي فكانت، كما فهمت، تقوم بتوصيل أبنائها إلى المدرسة، ثم تأتي إلى النادي الاجتماعي لتقرأ، وجدت نفسي أتحدث إليها، عندما استرعى انتباهها أنني أكتب دون أن أنتبه لمن حولي، تصورت أنني أعد لرسالة دكتوراه، وبدأت تملأ على وقتي، نتحدث، ربما لساعة أو أكثر، وأصبح مثل هذا اللقاء بمثابة شريان الدم الذي يهب لكل منا الحياة، وبدت علاقة غريبة، بين رجل وامرأة كل منهما متزوج، ليس لدى أي منا رغبة خاصة، لكنني أحسست بحاجتي الماسة إلى هذا الحوار الذي ظللت أنتظره كل يوم، وبدأت أذهب إلى النادي من أجلها، لم أشعر بارتياح وأنا أتكلم إلى أي شخص آخر مثلما يحدث بيننا، وصرت مدمنًا لتحية، وصارت هي مدمني لي، كانت تكهربني إذا تأخرت، أو غبت، أحس بالجزع باد على وجهها، لا تستطيع أن تكتم مشاعرها، وأحس أنا بالجزع الشديد لجزعها، صارت تتسلل إلى داخلي، وبدأت أهتم بها بقية يومي، رحت أكتب عنها في الكمبيوتر وسطرت صفحات طويلة.. وصرت أغنى من أجلها، وباسمها، وكانت لحظات غريبة وأنا أناجيها عند غروب الشمس على شاطئ المعمورة، وقد تطورت علاقتنا، فهي تأتى إلى النادي الاجتماعي، يوميا، نتحدث، حتى صارت جزءًا مهمًا من حياتي.

قالت لي يومًا في أواخر شهر يونيه وهي تخبرني بخبر سعيد: "لقد أدمنتك".. هذه العبارة الصادقة كفيلة أن تمتصني تمامًا، إنها جزء مني،

لا أستطيع أن أقول إن ما بيننا حب، فأنا أخاف من ذلك التعبير باعتبار أنني لا أميل إلى امتلاك زوجات الآخرين، دعوتها على الغداء في النادي، حيث كنت أرى أن النادي بمثابة مكان عام يبعدنا عن الشبهات، ورغم أنها في كل حياتي، تحدثني في الهاتف، وتسأل دومًا عني، إلا أنني لم أشأ أن أحطم ما بيننا من حواجز إلى حد البوح، احترامًا لأسرتها الغائبة الحاضرة، كانت تجلس في النادي حتى يحين موعد عودة أبنائها من المدارس، أما أنا فكنت أتوجه إلى عملي في التاسعة والنصف، وقد فسرت الأمر على أنني أملأ فراغها.

أخبرتها أنني كتبت عنها بضعة كلمات في الكمبيوتر، وأنني أشعر بارتياح حين أستعيد قراءة ما كتبت، وأخبرتها أنني أود أن أطبع لها ما كتبت، فأبدت رغبة شديدة في أن تقرأه.

حكى كل منا للآخر عن أخباره السعيدة المبهجة، قلت لها: أريد أن أراقصك.. ضحكت بما يعنى التمني، لا أريد منها شيئًا، يحتاج الكاتب منا إلى مثل هذه المرأة، إنها أشياء تتوغل في داخل كل منا، ويستريح كل طرف في تجاه الآخر.

لكن، أنا لا أريد أن أكرر قصة فتاتي القديمة ديدي، التي أحبت رجلًا آخر، وهي معي، فضاعت مني إلى الأبد، وأنا لا أريد أن أفقد هذه الفتاة، ولا أن أوسع دائرتي معها أكثر.. وقررت أن أكتب رواية عنها كي أطردها من حياتي.

جاذبية هذه المرأة أن الكلام بيننا لا ينتهي، لا تود أن نغادر أماكننا، ولا نريد للزمن أن يمر، وكثيرًا ما ننظر إلى الساعة فنجد أنها سرقتنا، أو أننا سرقنا من الدنيا لحظات جميلة. وقد بدت أضعف ما تكون حين غبت يومًا عن النادي، فقالت لي: امبارح ما كنتش على بعضي، دورت عليك، بالليل كلمتك أكثر من مرة..

ثم قالت: على فكرة، أنت ما تعرفش الجانب الوحش فيا، أنا ضعيفة ، ما قدرتش..

أغرب ما فيها أنني أحس أنها ترتدي شبح ديدي، نفس البرج، نفس أسلوب التحية، وإن كانت ديدي أطيب وأنقى، حسبما تركتني منذ سبعة عشر عامًا.

هذه هي علاقتي الأهم، لكن هل أثرت هذه العلاقة على أمورى الأخرى، على المستوى الأدبي، صدرت لي هذا العام بعض الكتاب، أولها كتاب "المرأة في السينما المصرية"، وآخرها رواية "أيام الشارلستون"، كما نشر لي كتاب عن "السينما المصرية والإثارة"، وكتاب "الكمبيوتر العجيب"، للأطفال، وكتاب عن "جائزة الملك فيصل"، وانتهيت من كتاب عن "نجوم الضحك في السينما المصرية"، وواجهت متاعب جمة مع موسوعة الأفلام العربية، ضاعت أوراقها لدى كاتب الكمبيوتر بالإسكندرية، وصار على أن أعيد كتابتها وألا أقوم بعمل هذا النوع من الكتب مرة أخرى، وحتى الآن ما زلت في حيرة، كيف سيكون

مصير الموسوعة، لا أعرف، لقد انتهيت من إعداد الموسوعة في شكلها الجديد، وأتمنى أن ترى النور.

تعذر أيضًا نشر "موسوعة أدباء القرن العشرين"، وأعتقد أنها سوف تنشر هذا العام، إذا سارت الأمور على ما يرام، كما أعتقد أن رواية "زيزو موهوب زمانه" سوف نشر بعد طول انتظار.

أبرز ما في النشر هذا العام، هو النشر المستمر في مجلة "العربي الصغير"، وجريدة "الهدف" بالكويت، أما النشر في المجلات، فقد تضاءل بشك ملحوظ، وتنشر لي مجلة "ماجد" بابًا أسبوعيًا باسم "ماجد فيلم"، مما حسن من ظروفي المالية، وعليه، فقد كانت الأحوال المادية طيبة، صحيح أن "حب حب" قد توقف في الإذاعة، لكن "حواديت جدو رشوان" استمرت، ثم توقفت، وحدث توازن مادي في حياتي من مصادر عديدة.

سافرت إلى سوريا، في منتصف ديسمبر، كان رحلة رائعة، ومعي إيريس نظمي ونادر عدلي، قضينا هناك سبعة أيام، كان مهرجانًا للأغنية في حلب، وفي الحافلة، جلسنا نغني أجمل الأغنيات العربية: الفنانة منى واصف، وايريس نظمى، وأنا.. عشنا لحظات جميلة غناءه، واشتريت لابنتي المزيد من الهدايا، كما سافرت لمدة يومين، في أبريل الماضي، إلى أسوان، إنها أول رحلة إلى هنا، في جو شديد الحرارة، وهناك وجدت نفسي فوق جبل، توحد مع الطبيعة بشكل غريب، وأحسست أنني لو

مت وأنا في هذا المكان فسوف أكون قد مارست شيئًا مهمًا، وأدركت أن صخرة واحدة من تلك الصخور التي بقيت في النهر مع الزمن هي أكثر خلودًا من ملايين البشر الذين ماتوا، وتم فناءهم.

حالتي الصحية أبعدتني عن عاداتي في التجوال في منتصف المدينة، ابتعدت قليلًا عن الأصدقاء، خاصة عدلي عبد السلام، الذي شاركته أنشطة مسرح الأطفال، ما زلت نشطًا بشكل مكثف في لجنة ثقافة الطفل، واعتبر عامودًا بارزًا في اللجنة، كما أنني أحتفظ بحيادي، وقد ألقيت كلمة عن توفيق الحكيم، بين الفيلم والرواية في مؤتمر عقد لتكريم الكاتب.

شاهدت عن طريق الدش أكثر من ٨٥ فيلمًا، أجمل أفلام العام بلا شك هو "تايتانيك" الذي دفعني أن أكتب عنه كتابا، والعديد من القصص والمقالات، وهناك أفلامًا أخرى مثل "أسعد اللحظات".

انزعج أخي مصطفى بسبب حالتي الصحية، صارت دعاء في الرابعة عشر، أهم ما فيها هو اجتهادها، تبدو كأنها تعرف طريقها جيدا، أتمنى أن يهبني الله العمر لأرها وقد انتهيت من مرحلة التعليم، وضعت كل ما لدى من أموال باسمها في البنك حماية لها بعد وفاتي..

تنهبت إلى أغنيات غريبة في شريط ذكريات حصلت عليه من إحدى زميلاتي، وكان شريطي المفضل طوال العام، واشتريت شريطًا آخر به أغنيات تنتمي إلى جيلي.



السبت ١٠ يوليو ١٩٩٩

قبل عشر سنوات بالضبط، وقبل أن أبلغ الأربعين بأسبوعين تقريبًا، حصلت على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال، مما اعتبرته أكبر حدث في حياتي، وجعلني مثلج الصدر وأنا أدخل العقد الخامس من عمرى، واعتبرت أن ذلك سبب لاختصار أشياء عديدة في حياتي. لدرجة أن أحد الصحفيين قل إنني أصبحت مصدرًا صحفيًا..

وكان أهم ما تم انجازه بالنسبة لي، طوال عقد من الزمن انتهى اليوم، هو أن يكون لي رصيد في المكتبة، وفي الحياة الأدبية بشكل عام، كتبت كثيرًا، ونشرت أيضًا كثيرًا، وتقدمت بخطي ملحوظة، ورغم أن وجودي في مجلة الهلال قد عرقلني، لأنها مجلة صغيرة، ضيقة الصدى، إلا أنني تقدمت، وقد رأيت كيف يحقق زملاء لي في مؤسسات أخرى نجومية بسبب قوة هذه المؤسسات.

على كل، فقد قدمت وتغيرت كثيرًا، صرت أكثر ثقة، ورسوخًا، ومطلوبا أكثر، لذا حرصت على أن أخدم اسمى، وألا أجرى وراء مغريات الحياة.

اليوم، تتكرر الأشياء نفسها تقريبًا، فقبل أن أبلغ الخمسين بأربعة أسابيع صدر قرار في دار الهلال أن أتولى رئاسة تحرير كتب الهلال للأولاد والبنات، وكان الله يقدم لي هدية وأنا أدخل العقد السادس من حياتي، وقبل أيام أيضًا بدأت كتي تتوافد من المطبعة، كتب للأطفال،

وأخرى عن السينما، وشعرت أنني في صحوة ما، قبل أن تأتيني اختبارات القدر.

تكرر شيء غريب بين هاتين المناسبتين، فعندما حصلت على جائزة الدولة منحت أختي جزءًا من المال كي تقوم بإصلاح شقتها، واليوم أيضًا طلبت نعمة مبلغًا من أجل إصلاح شقة كرموز، أو من أجل تأجير شقة أخرى في مسكن أخرى في مسكن آمن.

كان لابد لهذه البداية في الكتابة، أنا اليوم ابن نصف قرن من الزمن، أشعر أنني موفق من الله عز وجل فأنا لدى أسرة، ومسكن، وحيوية، ومكانة، وجوائز، وإخلاص..

ماذا يريد المرء أكثر من هذا؟

امتلأ العقد الماضي من حياتي بالخصوبة، وقد استفدت من هذه الخصوبة في استكمال حياتي، على كافة المستويات، ورغم أنني دخلت عقدًا جديدًا من الزمن، قد يأتيني المرض أثناءه، لكنني حتى الآن، لا أحب الذهاب إلى الأطباء، لا شك أن نضارة الجسم قد تضاءلت، لكنني أحاول التصرف كأني ما زلت ابن الأمس، ذلك الشاب الذي يصعد عشرة أدوار فيسبق المصعد في مبنى الإذاعة والتليفزيون، يجرى هنا وهناك، خفيف، سريع البديهة، لا يجيد الثرثرة، كل هذا جعلني أحب الشاب الذي كنته، وتمنيت أن يستمر معي، بل كم تمنيت أن أموت قفزًا.

لا زلت أحمل الأمنية نفسها، أن أموت وأنا أعمل، وأنا أقفز، وألا ألحق قط بزمن الشيخوخة، وسوف أكون حزينًا لو صرت كهلًا، فمن تعود على هذه الرشاقة والخفة، سوف يموت كمدًا لو زحفت إليه الشيخوخة.

طوال هذا العقد المنصرم، لم تكن في حياتي علاقة عاطفية، كان هناك زوجتي بكل ما بها من سمات، وكنت في الحقيقة متزوجًا من طموحي، وإنجازاتي، تفرغت لعمل موسوعات هي الأولى من نوعها في المكتبة العربية، وبالإضافة إلى الأدب، فقد برعت في الكتابة للإذاعة، ثم المسرح، وللطفل، فقد أذيع لي المسلسل الإذاعي "مغامرات حب حب" من إخراج أحمد علام، وأذيعت منه أكثر من ستمائة حلقة، كما نجحت مسرحية "زيزو موهوب زمانه" على مسرح الطفل عام ١٩٩٧، من بطولة عزة لبيب ووجدي العربي، كما انتهى المخرج خيرى القليوبي من إخراج مسلسل كتبته للأطفال باسم "مغامرات جلجل وفلفل".

في هذه السنوات فقد بعض الصداقات، وحدث أن قابلت حسن صبيح مجددًا، عندما عاد من كندا في زيارة قصيرة مع أسرته، وقضيت معه بعض الوقت الجميل، وأحس كل منا أن صديقه حقق ما يتمناه، وبدا صادق النية نحوى، وهو يعر عن فخره بما حققته.

في هذه السنوات، سافرت إلى ليبيا، والعراق، والكويت، كما سافرت إلى الأردن، وسوريا ولبنان، وفي كل هذه البلاد صار لي

أصدقاء.. ولم أسافر قط إلى أي دولة غير عربية، وكم أحلم بالسفر إلى فرنسا، كما ذهبت إلى أسوان، والمنصورة، والفيوم.

لقد تحرك الزمن بي، لكنني لا زلت أحب العالم الرومانسي في الأفلام والأغنيات والكتب، أحس أنني أعيش بالأمس، ربما اليوم أكثر من الأمس، فقد انصرم الأمس ومات، ولذا فإنني أحاول استعادة هذا الأمس من خلال رؤية ما يمثله من ثقافة، أو كتابة روايات، من طراز ثلاثية الحنين التي نشرتها.

أشعر أن علاقتي بربي تزداد يومًا وراء يوم، قد لا أكون شديد التدين، لكن هناك علاقة حب تربطني بالسماء، فعندما أخرج إلى العمل في الصباح، أدعو الله أن يوفقني في يومي، وعندما أرجع إلى البيت أشكره على ما حققه لي أثناء اليوم.

الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٩٩

هذه هي الليلة الأخيرة من القرن العشرين تقريبًا، قبل أن نرى بالغد كيف يكون شكل عام ٢٠٠٠ الذي انتظرناه طويلًا.

لا تزال تحية موجودة في حياتي، نلتقي في المبنى الاجتماعي بنادي مدينة نصر، صباح كل يوم، قبل أن أذهب إلى عملي، صرت أتردد كثيرًا على النادي من أجلها، أخبرتها منذ عدة أيام أنها ساعدتنا بدخولها آلة كاتبة، تكتب الكتب والمقالات، والقصص وأدب الأطفال، كنت صادقًا فيما قلت لها، فأنا رجل مريض منذ عامين، لا أعرف هوية مرضى، أشعر أنه كبد، ورغم ذلك فلا أذهب إلى الأطباء، حتى لا أصير مريضًا بشهادة الروشتة.

لقد ظهرت تحية في حياتي، كي تصبح بمثابة فكري الآخر، أحس أنها توأم لي، نفكر بنفس الطريقة، وأحس أنني أفعل الأشياء، أو أعيشها، من أجل أن أحكيها لها، ولم لا، وهي التي صارت مرآتي.

كم شعرت بالخوف أن أقع في هواها، وأن أبوح لها بذلك، حاولت أن أختلق حكاية لمقاطعتها، وألا أحضر إلى النادي قط، إلا أنها بذكائها الشديد استطاعت أن تجعلني أضعف وأقوى رجل في الدنيا.

حدث شيء ما، حين كنت مقيمًا في فندق باراديس أن بالمعمورة، أثناء مهرجان الاسكندرية في سبتمبر الماضي، حين كنت أستحم في

ساعة مبكرة، وفي البانيو دق جرس الهاتف، فأسرعت عاريًا لأمسك بالسماعة، وسقطت فوق الأرض، بسبب رغاوي الصابون، ثم أمسكت بالسماعة وجاءني صوتها، يسأل عني في نفس الساعة المبكرة التي نلتقي بها في النادي الاجتماعي، هذا الحدث جعلني أعترف أنني "وقعت" وقررت أن أبوح لها بكل شيء.

الحكاية أنها ظلت تبحث عن الفندق الذي نزلت به، وتسأل عن أرقام الهواتف، وفتشت عني في أكثر من فندق، حتى توصلت إلى مكاني، أحسست أنها قد بلغت أعلى درجات الاهتمام، وهو أمر لم تفعله معي سوى ديدى، كما أنني لم أفعل ذلك مع أحد، فلم يسبق أن طلبت تحية في الهاتف احترامًا لأسرتها.

هذا الحدث، جعلني أختصر المسافات، واعترفت لها أنني "وقعت"، لكن شيئًا ما في أعماقها، جعلها تتذكر أنها زوجة، فقالت إن ما يربطنا معًا هو حب فكري، وليس عاطفيًا، هذا البوح لم يفسد الأمر فيما بيننا، بل نبهني أنني رب أسرة، أنا أيضًا، واستمرت لقاءاتنا الصباحية في النادي، يدور بيننا حديث هامس يجعلنا نقول كلامًا أكثر دفئًا مما يقوله العاشقون.

تنتابني الرغبة أحيانًا أن أقبل أناملها، وكنا كلما تكلمنا في العواطف، نعود إلى مسائل الفكر والعقل، أبلغتها عن إعجابي الشديد بأسطورة سيزيف، وقلت لها ما لم أبح به عن أفكاري لأي إنسان آخر.

خرجنا ذات يوم من النادي، وذهبنا إلى أرض المعارض القريبة من النادي، اندمجنا وسط الزحام، تساءلت ترى هل هي متزوجة فعلًا، فهي لا تخشى أن يرانا أحد من أهلها، أو أهل زوجها، رحنا نأكل سندوتشات الطعمية السورية، وبدا إلى أي حد تتقابل أذواقنا.

نحن نحب الأشياء نفسها، قد نشرب مشروبًا مشتركًا، مثل البيريل، والشاي بالحليب، والزعتر وأشياء أخرى عديدة، نحب ونكره الشخص نفسه، هي إنسانة لم يسبق لي في حياتي أن قابلت شخصا على شاكلتها، لكن مشكلتها أن طموحها محدود، حاولت أن أجذبها إلى عالم الكتابة، أخبرتني أن منتهى طموحها أن تشاهدني في برنامج تليفزيوني.

لا أريد أن أكتب كل الصفحات عنها، لكن لدى مشروع رواية قد أكتبها، سطرت الصفحة الأولى وبدأتها بـــ "يا الهى، لماذا تجعلني أحب امرأة متزوجة".

ليست هناك نساء أخريات في حياتي، تعرفت على أسماء عديدة، دنيا (٣٣ سنة) التي تبحث عن حب، تفتقد الحب والرومانسية، خرجنا معًا أكثر من مرة، لكنها تخفي في داخلها امرأة بالغة الحدة، تعمل في مجال الكتاب، وأبدت اهتمامًا بروايتي "زيزو كبير الموهوبين".

هذه العلاقات الإنسانية تمدني بالحياة، وتغذي مشاعري بكل القوة، قضيت مع أسرتي أيامًا جميلة في الساحل الشمالي.

تبقى لي حياتي الأدبية التي تخصني، سواء من حيث نشر الكتب، أو المقالات، هي سنة نشر الكتب بلا شك، بدأ بنشر روايتي "أيام الشارلستون"، التي لاقت إقبالًا ونجاحًا، وسرعان ما نفدت، ربما بسبب اسمها الشبابي، وصدرت لي عدة كتب منها كتاب "أبطال الضحك في السينما المصرية"، وكتاب عن "السينما الغنائية"، وكتاب للأطفال بعنوان "فارس بلاد الفانتازيا" وسلسلة للأطفال من خمسة أجزاء هي "مغامرات الكمبيوتر العجيب"، وكتاب "تجربتي"، وموسوعة "كتاب الأطفال في مصر"، وموسوعة "كتاب الأطفال في العالم العربي"، وكتاب عن أبو السعود الأبياري، وسلسلة كتب بعنوان "ستربس" صدر منها أربع روايات، ثم كتاب "السينما والأدب في مصر"، في مكتبة الأسرة.

أحسست أنني أنشر كتابًا كل يوم، وقد أرضاني هذا كثيرًا، بالإضافة إلى النشر المنتظم في مجلة "العربي الصغير"، و"ماجد"، و"العربى"، و"الهلال"، وبعض المقالات هنا وهناك، وظهور مكثف في التليفزيون، في قنوات مصرية وعربية لدرجة أنني كنت نائمًا في فندق شيراتون الكويت، فرأيت نفسي في قناة خليجية، أتحدث عن الأدب، في حلقة قديمة لمدة ساعة، وقد سجت أول الأمس برنامجًا في تليفزيون أبو ظبى، وقد قال لي المخرج في قناة مصرية فضائية منذ أسبوعين:

– قليل أن تجد ضيفًا مثقفًا يتحدث بنفس التلقائية.

مما أثلج صدري كثيرًا.

هناك بعض المشروعات المهمة المؤجلة، مثل "دليل الفيلم العربي"، الذي سوف يصدر خلال أشهر بعد أن تحمس لي حسنى سليمان، صاحب دار نشر شرقيات، كما راجعت أخيرًا بروفة "موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين"، كما صدر لي كتاب اليكتروني هو "أدباء نوبل"، عن شركة "صخر"، التي تتعامل معي بشكل مكثف، وأقوم الآن بالانتهاء من عمل اليكتروني حول "دليل الممثل العربي"، كما قام الناشر السكندري رؤوف سلامة موسى، بالاتفاق على إعادة نشر كتاب "تيتانيك".

أعتقد أنني أنجزت مشاريعي الكبرى، وأمامي كتاب ضخم عن "الفيلم السياسي في مصر"، ما زلت أنشر بشكل مكثف في جريدة "الهدف"، حلقات طويلة قد تصل إلى ٣٥ حلقة عن الغناء، والكوميديا، أحولها إلى كتب، كما أنشر بشكل منتظم في الاجيبشان جازيت.

قام محمد وفيق، وأحمد نبيل، ورشدي المهدى ببطولة مسلسل الأطفال "مغامرات جلجل وفلفل"، واستمرت إذاعة الشباب والرياضة في بث حلقات "حواديت أبلة عزة".

عملي كرئيس تحرير كتب الهلال للأولاد والبنات، وجدت من خلاله بعض الصعوبات، لكنه عمل ناجح، حيث قدمت شكلًا مختلفًا من الكتب، والمواد التحريرية، ورغم ارتفاع سعر النسخة، وسوء التوزيع، فإنني أحاول أن أوسع دائرة التواصل مع القراء.

سافرت هذا العام إلى أكثر من مدينة داخل مصر، منها دمنهور، والسويس، والطور، وأسوان، التي سحرتني، وقمت فوق نيلها برحلة، وتناولنا الغداء مع المحافظ مصباح في جزيرة نيلية، وشاهدت الطبيعة، وخاطبتها أسوة بما حدث في العام الماضي، وأحسست بقيمة الخلود، والتقطت لنفسي صورا مع الصخور الخالدة، وزرت معبد فيلة، وعشت وقتًا رائعًا.

سافرت لعدة أيام إلى الكويت، تمت دعوتي لإلقاء محاضرة في معرض الكتاب عن الجوائز الأدبية، وكانت ندوة جيدة، صاحبني أنور الياسين، والمنسي قنديل أثناء الرحلة، وقابلت "أبو الخير" الذي ينشر مقالاتي بصفة منتظمة في جريدة الهدف، كما زرت مؤسسة التقدم العلمي، واتحاد الكتاب، وأماكن ثقافية عديدة، وضاعت منى تذكرة السفر قبل عودتي بساعات قليلة، وتم استخراج تذكرة بديلة قبل السفر بقليل.

تميز أدائي بشكل جيد في لجنة ثقافة الطفل، وانتهيت من إعداد أول موسوعة لتاريخ مصر للأطفال حررها أساتذة في التاريخ، وتمت دعوتي في أكثر من مؤتمر، كما حاضرت في قصر السينما، ومعرض كتب الأطفال، وتمت مناقشة رواية "أيام الشارستون" في نادي القصة.

عدت مجددًا للإقامة في فندق "باراديس إن" بالمعمورة، ضمن فعاليات مهرجان الاسكندرية، الفندق عبارة عن شاليهات فخمة صغيرة،

حول حمام سباحة، فكنت لا أغادر المكان، والتقيت بشكل حميمي بأسرة الفنان محمود حميدة، وانضم إلينا أشرف عبد الباقي، وعلاء ولي الدين، ولبلبة، وغمرتني سعادة هائلة، صادقت مخرجًا يونانيًا شابًا وصديقته، من مواليد ١٩٤٩، تحس أنه "أنا"، على الطريقة اليونانية، قرأ نفس الكتب التي قرأتها، وشاهد الأفلام نفسها، وعدني أن يراسلني، ولم يفعل.

صارت دعاء في مثل قامتي، ذكية، حبوبة، خفيفة الظل، تحب الغناء الغربي، وأفلام الرعب، وتجيد السباحة، لماحة وطيبة، وتحس أنها قريبة منك، شديدة الارتباط بأمها وجدتها، هي الآن في الصف الثاني الثانوي، وتحمل مسئولية نفسها.

الاحتفالات بنهاية القرن العشرين، وبداية عام ٢٠٠٠، جعلتني أشعر بالحنين إلى الماضي، وأتطلع إلى المستقبل، وأريد استجواب هذا الماضي برموزه وعلاماته، وأسجلها فوق الورق، فالذاكرة امتلأت بالذكريات، وبدأت الدهشة تقل، وتكررت الأشياء بأسمائها، خاصة مع بلوغي سن الخمسين.

أهم ما في هذا الرجل أنه يحمل في قلبه حسًا شبابيًا، وذلك بفضل علاقته الرائعة بربه، فأنا أتعامل مع خالقي على أنه الأكثر قربًا لي، أنه دائمًا أمامي، يفتح لي طريق النجاح والتوفيق، ويساعدني، أشكره أكثر مم أطلب منه، لأنه دائم الرعاية لي، مما يجعلني في حالة امتنان، وهل هناك

شيء يعادل ما أنجزه الله لي وأعطاني إياه، عام ١٩٩٩، لو أردت أن أتأكد فلأعاود قراءة مع كتبته.

الأحد ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠

هذا هو عام سويسرا.. وبالأحرى عام ميليسا.. أساتذة اللغة الفرنسية بإحدى الجامعات الأمريكية الكبرى، ولقد كانت رفيقة رحلتي في عودتي الثانية إلى سويسرا، بعد أربعة عشر عامًا، حيث سافرت إلى هناك لمدة ثلاثة أسابيع بدعوة من بيت الكتاب في قرية سويسرية، من أجل أن أكتب روايتي "آخر أيام الاسكندرية"، كان أقصى حلم لي أن أصحب تحية معي، على نفقتي الخاصة، لكنها لم توافق، وذهبت إلى جنة العالم، ونحن في أقصى حالات التواصل النفسي، لكن الغريب أن ظهور ميليسا جعل هذا العلاقة الهشة تنهار تمامًا، وبسرعة غير متوقعة، فشتان بين المرأة الغربية، والشرقية، حتى وإن كانت من نوع تحية.

كان لي حلم أن أقابل جزيلابوك في سويسرا أو ألمانيا، ولم أتصور أن العام المنصرم سيكون الأفضل في كل حياتي.

هناك، كنا ستة كتاب، ثلاث كاتبات أمريكيات، شاعرتان، ومترجمة، وشاعرة روسية هي مارينا، ثم شاعر هندي، ومنذ اليوم الأول حدث تقارب هائل مع ميليسا (٤٤ عامًا)، روت لي ظروفها، وأبكتني وأدخلتني محرابها، ضمتني الي أحضانها، وصحبتني معها عبر الحقول، والمدن السويسرية المحيطة بالمكان، ولقنتني أجمل دروس حياتي، طلبت منها، على طريقة الرجل الشرقي، أن أتزوجها، لكنها سألتني أن أتذرع بالصبر، وفي أثناء هذه الفترة قامت علاقة عقلانية أخرى بالشاعرة مارينا كينازفا،

التي تنتمي إلى النبلاء الروس، وصرت بين امرأتين تتكلمان الفرنسية، أحدهما أودها، والثانية تودني، وتعرف تمامًا أنني متعلق بميليسا، وهناك انتهيت من كتابة "آخر أيام الاسكندرية"، وتبعًا لهذه المشاعر الغريبة التي امتلكتني ، بدأت في تأليف رواية عن التجربة التي أعيشها، وكان اسمها في البداية هو "حبيب قلبي" الذي اختارته ميليسا، وكانت في تلك الفترة تتعلم اللغة العربية، باعتبار أنها ترجمت العديد من روايات كاتبات فرنسيات من أصل عربي إلى اللغة الإنجليزية، فصار عليها أن تتعلم المفرد العربي، إلا أنني عندما عدت إلى القاهرة سجلت كافة الوقائع التي عشتها في بيت الكتاب بأسمائها الحقيقية، تحت عنوان "أفعال الحب"، les verbes de l, amour، وسوف تنشر مع بداية العام الجديد.

كان ميليسا وراء احتفال ضخم بعيد ميلادي الواحد والخمسين، وعشت في التاسع من يوليو الماضى أسعد يوم في حياتي على الإطلاق، كنت قريبًا من امرأتين، وجاءت جزيلا من ألمانيا لتراني لمدة ساعتين لا أكثر، وأحاطتني د.هـ. ملحم، الشاعرة الأمريكية ذات الجذور اللبنانية، وليسلى ميلا الشاعرة الأمريكية، بكل المودة مع الآخرين، وبعد يومين توجهنا إلى جنيف من أجل قضاء اليوم الأخير إلى جوار ميليسا، حتى حانت لحظة الوداع، فانهارت، وبكت بحرقة، فاهتززت، وتصورت أنها عبرت بالبكاء عن الحب، وما إن عدت إلى القاهرة، حتى اتصلت بي في الهاتف، وتركت لي رسالة صوتية راحت تجهش فيها، مما دفعني أن أكتب لها رسائل حب مطولة بالفرنسية، ثم اتصلت بي أكثر من مرة وتوجهت إلى فرنسا، وهناك التقت بباحث من كيبيك، فسقطت في هواه

بكل سرعة، وأرسلت لي تكتب، أنها لم تقع في هواي، وأن كل الأمر يعد إعجابًا، أو رغبة، وأدعت أنني الذي اختلقت معها قصة حب، مما دفعني أن أكتب لها رسالة غاضبة، وقررت أن أقطع صفحتها تمامًا، وبكل كبرياء.. لكنها أرسلت لي ردًا غاضبًا، وقالت إنني متوهم، وفي حاجة أن أتعلم الكثير، وأنها امرأة غربية، تريد لنفسها رجل من نفس ثقافتها، وقد أثارت بكلماتها شفقتي، فهي دائمة التردد على الطبيب النفسي، وتم إغلاق الصفحة تمامًا، رغم أنها العلاقة الأهم في كل حياتي، كانت بمثابة حاستي السادسة، تسكن في داخلي، لا يمكن أن أذكر منها أي سوء، بل أرثى لحالها بشدة، وقد تعاملت معها بكبرياء، فهناك أشخاص من أعضاء النادي يعرفونها يتصلون بها ويهددونها بعدم الحضور إلى النادي، ونصحوها أن تعود إلى بيتها مباشرة، بعد توصيل أبنائها إلى المدرسة فبدأ الخوف يركبها، وخفت جذوتها، وصار تستجيب للتهديدات.

لم أود أن أثقل على تحية، وكنت قد بدأت أكتشف نقائص حادة فيها، وعرفت أنها مطلقة، وأن أهل زوجها يريدون إعادتها إليه، ورغم كل ذلك فإنها الشخص الذي فهمني واقترب منى أكثر من كل الذين عرفتهم في حياتي. وبعد أن كنا نلتقى في النادي الاجتماعي لساعات، تجعلني لا أذهب إلى وظيفتي، والآن فأنا لم أرها منذ عشرة أيام، وأحس أن جذوة ما قد خبت، لم أود الاتصال بها، فلعلها تعود إلى زوجها، واحترمت خصوصيتها وبدا اسمها غريبًا بالنسبة، واحترمت اختيارها.

في هذه الفترة، تولدت صداقات أخرى مع فتيات صغيرات، الأولى هي شاعرة جزائرية تدعى هدى، والثانية مع مخرجة تليفزيونية، صرنا صديقين، فعرفت في صحبتها السكينة، والطفولة، لم أكن أرغب أكثر من أن أتناول الغداء مع شخص، أتحدث إليه في أي موضوعات بسيطة، ثم يغادر كل منا المكان إلى بيته.

بلغت دعاء سن السادسة عشر، بدت كأنها تشربت الكثير من صفات أمها، مثل عدم شعورها بالرضاء، كانت أكثر التصاقًا بها، أما أنا فكنت في عوالمي الأخرى، تكبدني ابنتي الكثير من المصاريف، وهي وحيدتي، ورغم كل هذه الطلبات، فإن الله يرزق، ويمنحني ما أريده، صارت فتاة، إنها ملتزمة، جادة، تكون في حال طيب، وخفيفة الظل عندما يكون المنزل في أحسن أحواله، حصلت على مجموع ٩٥% في الصف الثاني الثانوي في الصيف الماضي، وأتقنت الكمبيوتر، لها استقلاليتها ولا تخطط لهدف، لكنها منشغلة بالدراسة، وتحب أفلام الرعب، والمسلسلات المصرية، لا تميل أبدًا إلى القراءة..

أما أبوها، فإنه لا يزال الرجل الخصب، خاصة في الكتب، حيث أواصل نجاحي، في وظيفتي كرئيس تحرير كتب الهلال للأولاد والبنات، حيث تحسن الإصدار، وفي هذا العام أنهيت من تأليف روايتي "آخر أيام الاسكندرية"، وفيها قصة حب عظيمة حين انهارت الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي، وغرقت في البحر، وغرق العاشقان أيضًا، في هذه الرواية إشارة إلى أن المدينة انهارت حين صار حكامها عواجيز، وإشارة

أن البشر قد ماتوا وتلاشوا، وأن الأعمدة الصخرية لا تزال باقية، إنها الفكرة نفسها التي شاهدتها في أسوان، خلود الصخور والأحجار، كما أنني تأثرت بشكل واضح بفيلم "تيتانيك"، وقد تكلمت عن هذه التجربة في يوم الندوة ببيت الكتاب، وأحضرت معي صور الآثار الغارقة، وصفق الحاضرون لي كثيرًا، وأنا أهدى هذه الرواية إلى ميليسا.

كما انتهيت من تأليف رواية "أفعال الحب" حول علاقتي بكل من ميليسا ومارينا، وبقية ما حدث في بيت الأدباء طوال ثلاثة أسابيع، إلى أن ودعت ميليسا عند محطة كورنفان بجينيف، متوجهة إلى ألمانيا.

توجت إصداراتي هذا العام بصدور "موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين"، عن الدار المصرية اللبنانية، وهي موسوعة ضخمة بالغة الأهمية، وليس لها مثيل، كما صدرت لي كتب أطفال أقل عددًا، كما أن هناك سلاسل أخرى تتعثر لدى الناشرين، وسوف يصدر لي في الفترة القادمة "دليل الفيلم العربي" الذي تعسر نشره لضخامته، وأتمنى أن يكف تعثره. نشرت مقالاتي في "الهدف" الكويتية مجددًا، وإن كان توقف "ماجد فيلم" قد ترك أثره الكبير في. لكن نشر قصص علمية في "العربي الصغير" يعوضني ما فقدت.

أحوالي المالية لا بأس بها، نجحت في إقامة أول نادى سينما للأطفال في مصر، اشتريت هذا الأسبوع وحدة كمبيوتر كاملة، وصار لي عنوان اليكتروني، وانبهرت بهذا العالم، وبازدياد عدد القنوات الفضائية.

لم أسافر خارج البلاد إلا رحلة سويسرا التي منحتني رضاء تاما وسعادة، وعشت أسبوعًا جميلًا في فندق باراديس أن بالمعمورة، أثناء مهرجان الاسكندرية السينمائي.

قلت أنشطتي في المحاضرات، وبشكل عام فأنا لا أحب هذا النوع من الثقافة، أنه مضيعة للوقت، والحاضرون فيه قليلون، لكنني ظهرت في برامج التليفزيون، بشكل مكثف كالعادة، الأصدقاء يقلون في حياتي، حتى عدلي عبد السلام لم أشاهده كثيرا، لقد سكن المقطم، أما علاقتي بأخوتي، فهي تتحرك على نفس الوتيرة، وبينما يزداد ارتباطي بالقاهرة.

أعود إلى القراءة من وقت لآخر، وقد شدتني رواية "يا عزيزي هذه لندن"، لصديقتي اللبنانية حنان الشيخ، شاهدت مائة وستة عشر فيلمًا أجنبيًا، شدني منها "وراء رانجون" لمخرجي المفضل جون بورمان، ثم "جان دارك" إخراج لوك بيسون.

بينما تزيد أعراض مرض السكرى، على جسدي، فإنني أتناسي المرض من خلال الكثير من الكتابة، كما أحب سماع الأغنيات الأجنبية، قمت بتسجيل أربعة شرائط (٨ ساعات) في جينيف من أغاني الذكريات تبثها يوميا إذاعة بالفرنسية تسمى "نوستالجى". لا زلت أحب أغنيات الماضي، لكن لا يمنع هذا أن الأغنيات الحديثة تطربني، أحب عبد

الحليم حافظ، باعتبار أنه جزء مني، ونفس أغنيات عبد الوهاب وأم كلثوم.

كما برز اسمى وأنا أتحدث على الهواء مباشرة إلى الرئيس مبارك في سوق الشباب، وأبلغته أن سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات" أكدت إن الدكتور أحمد زويل يستحق جائزة نوبل، قبل أن يحصل عليها فعلًا بعشرة أيام.

أفخر في أعماقي بأنني أتعامل مع الله سبحانه وتعالى على أنه في أعماقي، وقريب مني، ألجأ إليه دومًا، وأجده أمامي يوفقني، ما يدفعني إلى الشكر الدائم لله. فهو يساندني منذ أن كنت الطفل الفقير الطموح. إلى أن صرت الكاتب الذي له باع في كتب السينما، كما أنه ستار حليم على أخطائي.

الاثنين ٣١ ديسمبر ٢٠٠١

أخذت الكراسي معي وأنا عائد إلى الاسكندرية، لأدون فيه وقائع العام الذي يحتضر الآن..

يعني هذا أن أشياء كثيرة تغيرت في حياتي، وأنني رجعت بعض الشيء إلى الاسكندرية، فأنا لم أقض ليلة رأس السنة هنا منذ عدة سنوات.. السبب بالطبع أن دعاء، التحقت بالجامعة في الاسكندرية وصارت طالبة في كلية طب الأسنان، سبب هذا هو المجموع بفارق درجة واحدة، وصار عليها أن تعيش هنا مع جدتها وأمها، ولعل هذا هو السبب الحقيقي، أنها تريد أن تعيش في الاسكندرية في المقام الأول، لذا صار على أن أبقي في القاهرة، وأن آتى بين وقت وآخر أحن لرؤيتها..

نعم، تغيرت أشياء كثيرة، منها أنني انتقلت إلى شقة أخرى، في مكان أكثر رقيًا، بيوت أهالي، وليست تعاونيات، الشقة حوالى ١٦٠ مترًا، أي ضعف مساحة الشقة التي بعتها في أبريل الماضي، وكان ذلك من أجل استكمال شراء الشقة الجديدة التي دفعت ثمنًا لها كل ما دبرته في حياتي، خاصة من مجلة "ماجد" الاماراتية، ورغم سعادتي الفائقة بالشقة، فإنني بمجرد انتقالي إليها حتى بدأت مواردي الأدبية والمالية في تناقص ملحوظ، لكنني اشتريت بعد يومين من إقامتي الجديدة، كل دفاتر

الأفلام المصرية القديمة والحديثة بمبلغ ألفي جنيه، في أكبر صفقة عرفتها في حياتي.

تقع هذه الشقة الجديدة في ٩ شارع عماد الدين كامل، بالمنطقة الأولى بمدينة نصر، وقد دفعتني أن أبقى فيها لأطول وقت ممكن، حيث أغلقت أبوابها على طوال أيام العيد الخمسة، وعشت في سحرها.

في عام ٢٠٠١، عدت مرة أخرى إلى جينيف، قضيت هناك شهرًا تقريبًا، من ١٦ يوليو إلى ١٣ أغسطس كان يجب أن أعود كي أنسى تجربتي مع ميليسا، وأن أعاود معايشة تجربة مشابهة، وقد اتفقت مع مارينا أن تلحق بي هناك، ونقضى معًا شهرًا، لكن مارينا عانت من متاعب للحصول على الفيزا، ولم تصل إلا بعد أن غادرت أنا سويسرا، وطوال الشهر، كنت أحاول البحث عن أكثر من علاقة.. خاصة مع فتاة رقيقة هي موربيل، تقوم بدور أستاذتي في تعليم اللغة الفرنسية بجامعة جينيف "دراسة صيفية"، لكن الأمر كان له شكل آخر. فلم أكن عاشقًا، بقدر ما كنت إنسانًا يتواصل بشكل أفضل مع الآخرين، ومع المدينة والحياة الأوروبية التي تبهرني، وكم أتمني لو صرت واحدًا من ثقافتها.

وعندما رجعت، كنت شخصا مختلفًا، سجلت هذه التجربة بكل صدقها في روايتي "الحياة مفرد مؤنث"، وهي بمثابة جزء ثان مكمل لروايتي "أفعال الحب" التي صدرت مع بداية العام، وجاء في جريدة الأهرام أنها حققت مبيعات عالية لدى ناشرها سندباد، مما أثلج صدري،

رغم أنها لم تعرض للبيع لما بها من عبارات شبه مكشوفة، جعلني هذا حريصًا في توزيعها تلافيًا لأي مشاكل.

تروى هذه الرواية قصة رجل يعود إلى جينيف، من أجل أن يشاهد، ويعيش في نفس الأماكن التي شهدت قصة حبه في العام الماضي، فيقابل العديد من النساء، لكن ليس لأى منهن مذاق حبيبته، الغائبة عن المدينة، ويكتشف أن كل شيء جميل في المدينة مؤنث، مثل المرأة، الحياة، الشجرة، البحيرة، وغيرها..

تبقي رحلتي إلى سويسرا هي أجمل ما في حياتي، خاصة هذا العام، كنت أشبه من سافر إلى الفردوس، ثم تركه وعاد، وكانت أسماء مورييل، وكاتارين، من أبرر معالمها، طبعا كان الدكتور محمود على مراد هو رفيقي الأول في هذه الرحلة، وساعدني كثيرًا، واقتربت أكثر منه، وحكى لي عن حياته وأفكاره وعن سنوات شبابه، وزواجه وأيضًا عن سنوات الشيخوخة، وكم كان رائعًا أنه مثقف مصري ثقيل، اختار لنفسه البقاء في جينيف ويسعى دائمًا إلى تحسين مكانته ككاتب.

سافرت إلى الكويت في شهر مارس لمدة أسبوع لحضور مهرجان ثقافة الطفل، وكانت في صحبتي كاتبة انفصلت لتوها عن زوجها، فحولت الرحلة إلى شكوى، لذا كم هربت إلى حمام السباحة، حيث شعرت من جديد بأجواء السفر إلى أوروبا، فرواد الفندق أغلبهم من الأجانب الذين يتصرفون كأنهم في بلادهم.

قضيت مع أسرتي أسبوعًا كاملًا في فندق شيراتون المنتزه، بمناسبة مهرجان الاسكندرية، وأقمت بإحدى الغرف المميزة في الأدوار العليا ،تم ذلك بالمصادفة، بعد أن تلف مفتاح غرفتي الأولى، كما قضيت أسبوعًا في قرية آمون بالساحل الشمالي مع عديلي زكريا، كلها أيام خارج إطار العمل ومع النفس.

كان المفروض أن أسافر إلى هونج كونج لحضور مؤتمر خاص بالأطفال وتضارب موعد السفر مع موعد مهرجان الأطفال بالكويت، ثم تم إلغاء السفر إلى هونج كونج، لأسباب خاصة بالوزارة، كما كان المفروض أن أسافر إلى روسيا بدعوة من مارينا لحضور مؤتمر سنوي عن دوستويفسكي، لكنني خفت بشدة من السفر في جو جليدي، وأحسست أنني لن أستمتع بالطبيعة، كما يجب، أسعدني جدًا أن مارينا أرسلت لي خطابًا وهي في الأرجنتين يا إلهى.. ما كل هذه الصداقة؟

أتقنت الكتابة على الكمبيوتر في وقت قليل، وبدأت كتابة مقالاتي عليه.. ، ومنها كتاب عن أمريكا و ١١ سبتمبر، وآخر عن "الحياة مفرد مؤنث".

بدأت السنة، وانتهت بإصدارات متميزة، في شهر يناير صدرت روايتي "أفعال الحب" وكتاب عن فيلم "ذهب مع الريح"، كما صدر كتابي "الفيلم السياسي في مصر"، وفي منتصف العام صدر لي كتابان للأطفال هما "انتقام البحار النبيل"، و"وحش الجبل"، والأول هو عبارة

عن رحلة عبر الإبداع البشري، حيث يقوم طفلان بدخول صفحات الروايات العالمية، وينتقلون في مغامرات بداخلها، كما صدر لي الأسبوع الماضي، وبعد الكثير من الصعوبات "دليل الفيلم العربي في القرن العشرين"، عن مكتبة مدبولي، وهو أهم كتبي على الإطلاق، وفيه رصد كامل لكل الأفلام العربية حتى عام ٢٠٠٠، وكنت أخشى دومًا أن أموت قبل أن أراه، والآن أحس أنني أعيش في الوقت الضائع بعد أن أمسكته بين يدي، أعرف أنه لن يصدر لي كتاب له نفس الفخامة، أو الأهمية، بل أن المكتبة السينمائية لن تشهد قط مثل هذا الكتاب.

في الإسكندرية صدرت لي "موسوعة جائزة نوبل"، حتى عام ٢٠٠٠، في دار مطابع المستقبل، لصاحبها الدكتور رؤوف سلامة موسى الذي أعزه كثيرًا. وانتهيت من تأليف مسرحية "زيزو ديجيتال" التي ستعرض في مسرح الطفل في بداية العام الجديد، ورفضت الرقابة فيلمي "تمثال من شحم"، لأنه يسئ إلى صورة الشهيد.

استوحيت موضوع هذا الفيلم من الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر عام ١٩٩٧، بمناسبة مرور ٢٥ سنة على هذه المناسبة، لم يتم ذكر الفريق سعد الشاذلي في هذه المناسبة، وأحسست أن هذا الاحتفال ناقص وأن الشاذلي يجب أن يعود، وتصورت أن شهيدًا يعود إلى قريته التي تحتفل به، وما إن ظهر أمام أهله، حتى أنكروه، لأنهم يكسبون من كونه شهيدًا، أفضل مما هو على قيد الحياة، لذا تتم مطاردته في نهاية الفيلم، بينما بقية القرية تلتف حول التمثال الذي أقيم له.

كما أكتب الآن فيلم "الشوارع حواديت"، عن رحلة قمت بها هذا العام من جنيف إلى زيورخ مع صديقي السويسري "كرستيان لانز"، حيث قام بتوزيع أثاث بيت الزوجية على شقق إخواته وأصحابه بعد أن انفصل عن زوجته.

لم تكن لي علاقات نسائية، ومررت بحالة من الجفاف، خاصة وأنا في سويسرا، رجعت إلى "بيت الكتاب" لمدة ساعتين، واسترجعت أماكن الذكريات، أما تحية فقد اختفت تمامًا من حياتي، ولا أعرف أين ذهبت، كانت مشاعري نحو ميليسا قد كسرت كل مشاعري العاطفية تجاه كل نساء الأرض، والأسماء متعددة في أماكن كثيرة أذهب إليها.

أصابني إحساس بالبرود العاطفي، وبعدم الرغبة في النساء، دون أن يكون هناك سبب ملحوظ، صارت دعاء طالبة جامعية، وإن كانت تحتفظ بسلوك الأطفال، سعدت لالتحاقها بكلية طب الأسنان، فأنا لا أحب مهنة الصيدلة، تبدو أكثر تقاربًا منى، ملتزمة، بسيطة، راقية.. كم أتمنى أن تنجح في حياتها.

من وقت لآخر يظهر في حياة المرء أشخاص يملأون عليه تفكيره، مثل صداقتي بالمذيعة منال الحموي، مذيعة بإحدى المحطات، اشتركنا في إعداد وعمل برنامج تليفزيوني، لها نفس ملامح ميليسا، بدت الصداقة بالغة القوة نتحدث لوقت طويل، تبدو مثقفة، خاصة في مجال علم النفس، تتقن عدة لغات، متزوجة.. وملتزمة، وجادة للغاية.

أرافق الكاتب يوسف القعيد دوما، ونذهب إلى دور العرض كي، نستمتع معا برؤية الأفلام الجديدة، أحس معه أنني أرى الفيلم مرتين، فهو مشاهد جيد، ومثقف عميق، تعاطفت معه بقوة، بعد أن اصطدم به رئيس مجلس الإدارة، فترك المؤسسة، ولا يزال الحديث غامضًا عن سبب الصدام بين الرجلين، شاهدت ثمانية وخمسين فيلمًا، من أهمها "الطاحونة الحمراء"، "شريك"، "الذكاء الصناعي"، وعدت بشكل مكثف إلى القراءة، وقرأت المزيد من الكتب، وأسعى إلى الاستفادة من وقت القراءة، صرت بعيدًا عن روايات الهلال، لكن هناك لحظة انتصار تمثلت حين فاز ف.س. نايبول بجائزة نوبل، وكنت قد تنبأت في مقدمة ترجمة رواية "منعطف النهر" التي أصدرناها قبل عشر سنوات بأن نايبول سيحصل يومًا على جائزة نوبل، وكانت لحظة نصر، والغريب أن مصطفى نبيل يصر على أن أظل سكرتيرًا لتحرير روايات الهلال، دون أن يعمل على ترقيتي إلى منصب مدير تحرير، بل إنني صرت نصف سكرتير تحرير عندما أضاف اسما آخر إلى جوار اسمى، وقدمت له طلبًا بحذف اسمى من الترويسة، لكنه لم يستجب، وكان عنيدًا، غريبًا، وبدأت علاقتي به تبرد بشكل ملحوظ، دون أن أعاتبه، أو أجرؤ أن أفعل ذلك.

صحتي ليست في أحسن حال لها، بدأ الجسد ينشرخ تحت وقع السنوات، فقدت الكثير من وزني، وحجمي، لا أعرف ما هو نوع المرض الذي يسكن جسمي، ولا تشخيصه، وما زلت لا أنوى الذهاب إلى الطبيب.

عندما كنت في جينيف، سجلت إحدى عشرة ساعة من أغنيات محطة "توستالجيا"، أهمها أغنية "هناك كلمات"، لميشيل ساردو الذي أحبه كثيرًا.. ورغم عشقي لأغنيات الزمن الماضي، فإنني أحب أيضًا أغنيات سيلين ديون.

على المستوى العملي، فإن الكتاب الذي أرأس تحريره، قد تحسن كثيرًا وارتفعت مبيعاته بشكل ملحوظ، وقامت سناء فتح الله بالإشادة بهذا الإصدار من خلال ثلاث مقالات منشورة في مكان بارز بجريدة الأخبار، لذا، فإنني عندما أخرج من المنزل صباحًا، أتوجه داعيًا إلى الله، وأشكره أنه خلقني على هذه الشاكلة.

الأربعاء أول يناير ٢٠٠٣

هناك شيئان يجب أن أذكرهما هنا، وأنا أكتب عن العام المنصرم ٢٠٠٢، بالأمس لم أكن أتوقع أنني سوف أرى منطقة "مصانع بدوى" للصاج مرة أخرى، كانت الأحلام تطاردني طوال الشهور الماضية بأنني سوف أزور هذه المنطقة الواقعة بين كرموز ومحرم بك، التي شهدت فترة صباي، وأنا أنتقل بين المنطقتين أثناء الرحلة الثانوية، وبالأمس، وأنا في طريقي إلى منزلي، أخذني المخرج التليفوني عصمت خلف بسيارته إلى هناك، ووجدت نفسي أتأمل الماضي وأماكنه غير مصدقًا أن ما رأيته في الحلم قد تحقق.

اليوم، في الاسكندرية، لم أحتمل تصرفات زوجتي، كالعادة، فقررت العودة إلى القاهرة، عقب ليلة رأس السنة، التي قضيتها في الاسكندرية، وركبت سيارتها كي توصلني إلى سيدى جابر، وصارت تلح على في البقاء، وأنا مصر على موقفي، هي تثرثر، وفي المحطة، عادت مرة أخرى إلى، الدموع النادرة في عينيها، ثم فجأة رأيتها تقع على الأرض، بعد أن اختل توازنها، رأيتها ممددة أمامي، ثم سرعان ما قامت، آلمني هذا المشهد وحطم لي أعصابي، وكدت أن أبكي، وقامت لتراني أحبس دموعي، ربت على كتفها وأنا أتذكر واقعة مماثلة، حين جاءت خصيصًا من الاسكندرية لحضور العرض الأول لمسرحيتي "زيزو ديجيتال" في مسرح السلام بالقصر العيني، نزلت من التاكسي، رأيتها أمامي، تقع

فجأة فوق الأرض، بنفس الطريقة، وكانت النتيجة أن ربطت جبيرة لثلاثة أسابيع، أرجعت ذلك إلى عيون الحسد من حولنا.

هكذا كان عام ٢٠٠٢، الفرحة ممزوجة بالحزن، والصدمة، فلا شك أن ليلة افتتاح المسرحية في أوائل مارس الماضي، كنا في عرض مسرحي من تأليفي، حيث امتزجت الفرحة، بوقوع راوية فوق الأرض،

أنه عام انتصارات وانجازات، لكنه أيضًا عام أحزان وصدمات، خاصة عندما تمت التغييرات الصحفية، ما حدث كان في رأيي أشبه بالبله، لا يمكن تصديقه، كأن تعطي لطفل صغير حملًا ثقيلًا ليكون مسئولا عنه، صدمة جعلتني أشعر بالغضب من المسئول عن المؤسسة الذي عليه أن يرسل اختياراته، فقررت أن أقاطعه، وبدا الهرم أمامي مقلوبًا، سمعت أنباء التغييرات الصحفية وأنا في مؤتمر ثقافي بتونس، وما إن عدت إلى القاهرة، حتى اتصلت برئيس تحرير المجلة الجديد، وهنئتها، وفي اليوم التالي ذهبت إليها وكررت التهنئة، ورحت أرقب ما سوف يحدث في مجلة الأطفال، والغريب أن زميلتي تجاهلتني، وقد كنا نحلم أن نتعاون معًا، في كل الظروف، وكونت فريقًا لتجديد المجلة، دون أن تذكرني، وقد حدث أن سافرت إلى سويسرا وفرنسا لمدة ستة عشر يومًا، وعدت إلى مصر يوم صدور المجلة بشكلها الجديد، الذي كان بمثابة صورة باهتة لمطبوعة في الإمكان أن تكون لامعة، وبعد ستة أسابيع، عقد رئيس المؤسسة اجتماعًا لمحاكمة المجلة في شكلها الجديد، بدا غاضبًا، وطلب منى الحضور، وانتقد المجلة بشدة مما

شجعني أن أقول رأيي على الملأ، إنها مطبوعة فارغة، تحتاج أن تكون لها قيمة، أخبرها أنه كيف لا أكون موجودًا، ولا أشترك معهم في العمل، أحسست أن ما يجرى يرضيني، طلب منها أن أتعاون معهم، وأن أكتب في المجلة، وأن أرسل إليه المادة وليس إليها، كتبت في ورقة أمامي أن هذا يوم رائع بالنسبة لي، ثم منحها شهرًا كي تحسن أداء المجلة، لكنها لم تفعل، وظلت على قامتها، وفهمت أن سر عضبه، ليس قلقًا على المجلة، بل لأن معرض الكتاب قد اقترب، وسيكون موقفه محرج أمام سوزان مبارك، لذا فوجئت بوجود مطبوعات ساذجة في المعرض، وبدا الهرم كأنه انقلب أكثر..

كانت هذه هي أولى المتاعب، في الوقت الذي توقفت فيه جريدة "الهدف" عن نشر مقالاتي بشكل حلقات حيث أن إدارة الجريدة قد تغيرت، وليس لدى الإدارة الجديدة حماس لنشر الموضوعات في سلسلة من الحلقات.

أصر مصطفى نبيل على وضع اسمى كسكرتير تحرير روايات الهلال، بل نصف سكرتير تحرير، فتوقفت عن الدخول إلى مكتبه، أنه يتعامل معي على أنني صغير، أو لعله يخشى أن يكبر اسمى فأكون بديلًا له، وفي نهاية العام، تمت مصالحة معه، واتفقنا أن يرفع اسمى عن روايات الهلال.

فشل يعقبه نجاح، ثم إلى إخفاق، وأنا الذي أعتاد النجاح بسبب كثرة العمل، قررت أن أعمل كثيرًا، ومن هنا فكرت في المشاريع الكبيرة، أحسست عندما اشتريت دفاتر الأفلام أنني أجهل الناس بتاريخ السينما، وأن "دليل الفيلم العربي"، ليس أبدًا أهم كتبي، وأن موسوعة الأفلام تحتاج إلى إعداد جذري من جديد، وأن أعمل لكل فيلم بطاقة كاملة البيانات، مأخوذة من هذه الدفاتر، أو من الشاشة مباشرة، فبدأت أكرس وقتى كله، لعمل موسوعة جديدة، تحمل اسمى وحدى، وبها مجهودي أنا، كما بدأت في إعداد موسوعة عن كتاب القصة والرواية في مصر، وهو عمل ليس له مثيل في المكتبة.

لكن الإخفاق يلازم النجاح أحيانًا، فبعد أن اتفقت مع جامعة الدول العربية لعمل موسوعة "كتاب الطفل في العالم العربي"، من خلال الدكتورة عبلة إبراهيم، توقف المشروع، كما لم يتم تنفيذ التعاون مع معهد العالم العربي، لعمل بيانات كاملة عن أدباء مصر من شعراء وروائيين وكتاب مسرح، ونقاد وذلك بسبب النظام الاليكتروني.

إلا أنني نجحت في أشياء أخرى منها: المسلسل الإذاعي "جاره القمر" عن حياة فيروز، المطربة، وأيضًا دراما الطفل في البرنامج العام، كانت سهير شعراوي المخرجة في البرنامج العام وراء هذا النجاح، كما كتبت حلقات درامية للصغار في أكتوبر، ورمضان، بالإضافة إلى حلقات "صندوق الدنيا" من تمثيل عبد الرحمن أبو زهرة، وهناك حلقات رمضانية باسم "المسلمون في عيون العالم"، بالبرنامج الثقافي، إلا أنه سرعان ما

حاولت المطربة فيروز مقاضاة الإذاعة المصرية، والأمر لا يزال مسألة نقاش، وجدل في هذا الشأن.

صدر لي الكتاب الثالث في مكتبة الأسرة، وهو الطبعة الخامسة من كتاب "الاقتباس في السينما"، كما صدر لي في نهاية العام، ومع العام الجديد كتاب "الفيلم التاريخي في مصر"، عن سلسلة "تاريخ المصريين"، وكسبت أرضًا جديدة بالكتابة في مجلة "نصف الدنيا"، و"المحيط الثقافي"، كما استمررت في الكتابة في مجلة الهلال، وأيضًا في "العربي الصغير".

هذا العام سافرت إلى أربعة أوطان: الكويت، تونس، فرنسا، سويسرا، ذهبت إلى الكويت في رحلة سعيدة، ناجحة لعمل ورشة للأطفال، وأهم ما في هذه الرحلة هو عودتي، وقد اشتريت جهاز كمبيوتر محمول "لاب توب"، صار صديقًا مدهشًا لي، فصرنا كالعاشقين، متلازمين وقد أخذته معي إلى أوروبا، كانت مشاعر انبهار عظيمة حين نزلت إلى باريس، هتفت: كم كنت أحلم بهذا اليوم.

احتفلت بعيد ميلادي في باريس، وحضرت وقائع مهرجات السينما بمعهد العالم العربي، ثم توجهت إلى سويسرا حيث استقبلني محمود على مراد عند محطة القطار الذي أقلني من باريس إلى جينيف، كنت في حاجة إلى هذه الرحلة، رغم أنها كانت بلا ذكريات، قياسًا إلى رحلة ميليسا عام ٢٠٠٠، ثم رحلة جامعة جينيف عام ٢٠٠١.

هذه هي زيارتي الأولى إلى فرنسا، وأيضًا إلى تونس، في تونس تعرفت على امرأة بلجيكية، تعمل مدربة سباحة، قالت لي بكل بساطة، وهي تقرأ ما بعيني وبكل جدية: أنا زوجة، وأم، وأعمل في هذا الفندق. شعرت باحترام فائق نحوها، وصرنا صديقين خلال الفترة القصيرة التي قضيتها هناك.

من الأمور التي توقفت أيضًا، أن رقابة التليفزيون وافقت على سيناريو فيلمي "سر الغائب" أو "تمثال من شحم"، وما إن جاءت الموافقة، حتى عرفت أن قطاع الإنتاج توقف عن إنتاج الأفلام.. يا فرحتي!

سيظل عام ٢٠٠٢، بالنسبة لي هو عام نور الحفناوي، هي أيضًا حالة خاصة في حياتي كلها، التقيتها في نهاية أبريل في مبني التليفزيون، إنها تعمل هناك، مولودة في نفس يوم ميلادي، بفارق ملحوظ في السنوات، لدينا نفس الأفكار العقلانية، تلاقينا منذ اللحظة الأولى، دعوتها إلى الدور العاشر للغداء، ثم ذهبت معها إلى أحد المراكز الثقافية، وصار التليفون الليلي هو حديثنا المفضل حتى ساعة متأخرة من الليل، اندفعت نحوى بجنون، وعاملتها بالمثل، إنها جدعة، ومتوترة، ومعقدة، وجميلة، ولا يمكن الإمساك بها بسهولة، خرجنا في سيارتها إلى أماكن عديدة، شهدتنا ونحن نتكلم، صحبة لم أعرف مثيلًا لها، نكاد نكون معًا أغلب ساعات اليوم.

وعدتني أن تصحبني بسيارتها إلى المطار عندما سافرت إلى باريس، فلم تأت، شعرت بالغيظ، فلم أتصل بها طوال رحلتي إلى أوروبا، وعندما عدت لم ترد على هواتفي، حاولت مصالحتها دون جدوى، إلى أن عاودنا اللقاء في أوائل نوفمبر، كنا قد اشتعلنا لهيبًا من الصعب إطفاءه، سمعتني أن علاقتي ببيتي كالجبل لا يمكن تخطية بسهولة، فراحت تتكلم إلى في الهاتف، وهي تبكي بحرقة لم أحتملها، عرفت أنها تزوجت مرتين، وأنها من النوع الذي يفسخ العلاقات سهولة، مما أربكني، لم أسع قط إلى استعادتها، رغم أنني أعرف أنه لن تحبني امرأة بهذا القدر في الجزء القصير الباق لي وأنا على قيد الحياة.

زوجتي لا تتفهم الكاتب أو الفنان الذي بداخلي، لكنها امرأة مخلصة، وأم متميزة، فهي سبب الحال الذي وصلت إليه دعاء، حصلت ابنتي على تقدير جيد جدًا مرتفع في السنة الإعدادي، وقد دار بيننا حوار شائك حول بقائها في جامعة الاسكندرية، خوفًا من الفشل في جامعات القاهرة، وهاهو العام الثاني لها هناك، ذهبت إليها بالأمس لقضاء ليلة رأس السنة معها، بنت عاقلة، مجتهدة، شكرتها لأنها تجاوزت مرحلة المراهقة بدون متاعب، بلغت في الشهر الماضي الثامنة عشر من العمر.

أعيش وحدي في شقة مدينة نصر سعيدًا.. كم أحب اتساعها، من وقت لآخر، أطبع قبلة على الكمبيوتر الذي يسعدني، كما أفعل ذلك على جدران الشقة.

أشاهد الكثير من الأفلام في قاعات السينما بصحبة يوسف القعيد، وأكتب عن الأفلام التي أشاهدها، ومن أجملها "طريق الهلاك"، لسام مندث، ومن ناحية أخرى، فإنني أتولى الإشراف على نادى سينما الأطفال بالمجلس الأعلى للثقافة، وقد نجحت في إدارته.

مات صديقي العزيز سلامة مجاهد، بسبب البلهارسيا، وتأثرت بموته كثيرًا، تفرق الأصدقاء، وتولدت صداقات حميمة جيدة، لعل أقواها علاقتي بالمخرج السينمائي كمال عطية، ما زلت أحب الأغنيات الأجنبية، لم أكف عن سماع محطة "نوستالجي" أثناء زيارتي لأوروبا، هناك بعض الكتب التي أتمنى نشرها في العام الجديد، سوف تصدر طبعة لبنانية من رواية "أفعال الحب"، وقد ترجمت فصول من روايتي "أفعال الحب"، و"الحياة مفرد مؤنث"، في جريدة الأهرام ابدو، وانتهيت من ترجمة رواية "اغتيال" تأليف أمالي نوتومب، وأيضًا رواية "الحائكة الصينية الصغيرة"، تأليف داي سيجي، كما اكتشفت أن ناشرًا قام بطباعة "العاشق"، و"كسالى في الوادي الخصيب" مرتين.

الأربعاء أول يناير ٢٠٠٤

قبل أن ينفصل اليوم إلى عامين متلاحمين، كانت هناك مكالمة هاتفية طويلة مع سميحة أثلجت مشاعري، وملأت على وجداني، بعد انقطاع طويل عن الحديث في الهاتف، كم أحب أن أكسر الملل الذي أعيشه بينما زوجتي تعيش في الاسكندرية.

ظهرت سميحة كي تحل محل نور، ونتواجد عبر المكالمات الهاتفية، بدون أي قدر من التوتر، والتعقيد الذي أعانيه أيضًا من نور التي كانت تظهر في حياتي بقوة لتختفي، وتكون علاقتنا هي فراق أكثر من التواصل، كان الفراق طويلًا، ارسم خريطتها أثناء غيابها، حتى إذا عادت عوضت كل أيام البعاد بحبها لي، ولهفتها، ثم ما تلبث أن تحول إلحاحها لي أن أطلق زوجتي، وبشكوكها غير الصحيحة، ولسبب ما، تذهب بلا عودة حتى فعلت ذلك لآخر مرة منذ عدة أشهر، بالضبط في أوائل سبتمبر، ثم التقينا، وتكلمنا، دون أن تكون هناك بادرة لأي عودة، واعترفت هي بجنونها، وشكوكها، وافتقدت من جديد علاقة ممزوجة بالحب والجنون، واللهفة، والتكامل، وأنا أدرك أنها قد تكون آخر قصة لي مع المرأة، حيث سوف أبلغ الخامسة والخمسين في العام الجديد.

في بداية العام، خاطبتني في الهاتف، في اليوم نفسه التي جاءت فيه ابنتي وأمها لقضاء عطلة نصف العام، وقالت إنها تفتقد صوتي، وعاودنا اللقاء، وصار كل منا ظلًا للآخر، يهبه السعادة المؤقتة، ثم

ذهبت مجددًا في واحدة من لحظات وسوستها كي نلتقي مرة أخرى، وننفصل، في إحدى مرات إحساسي أنها الأخيرة، قررت أن أستعيدها بكتابة رواية جديدة عن علاقتنا باسم "جنون"، وفي اليوم الذي بدأت الكتابة فيه ظهرت امرأة لها نفس ملامحها، وهوسها بشكل مختلف، وصارت تأخذني بسيارتي إلى نفس الأماكن التي شهدتني أنا ونور، وتكلمنا فيها الكلمات نفسها، فوجدت نفسي أكتب عن امرأة وبديلتها، ونفس الأفعال، ثم ظهرت سميحة، وفعلنا نفس الأشياء، ارتياد نفس المطاعم، والحوار الهاتفي الدافئ، فوجدت نفسي أكتب عن ثلاث نساء يمثلن امرأة واحدة، ثم عادت نور للظهور كي أتوقف عن الكتابة لأنني استعدتها فعلا، حتى إذا اختفت من جديد، طارت الرواية للأبد من على سطح الكمبيوتر، عن طريق الخطأ، لتتلاشي قصة "نور"، وتختفى بلا عودة، وهي التي لم تصدق ما حدث، حين أخبرتها به، وهو أيضًا صورة من جنون شكوكها.

مشكلة سميحة أنها في نهاية الحلقة الرابعة من عمرها، انفصلت عن زوجها أكثر من مرة، وكم عادت إليه، وفي إحدى المسافات بين الانفصال والرجوع تعارفنا، سعيت أن أجعلها تعود إليه، فطالت مكالماتنا الهاتفية، وأخذت العلاقة شكلًا مختلفًا، إنها امرأة بالغة الرقي، والسمو، تجيد المحاورة، ولا تذكر الآخرين بأي سوء أو سلبيات، فوافقنا، أحسسنا أننا غريبان في المدينة، ولم تتعد العلاقة حديث الهاتف، لم أعدها بأكثر من أننا نتكلم من أجل أن يشجى كل طرف الآخر.

ترى أين زوجتي وسط كل هذان وهي الأحق أن تكون واحدة منهن، إنها دائمة غائبة في الاسكندرية، وعند حضورها فإن ما بيننا يتحول إلى كتلة من التنافر، مثلما حدث في الصيف، لدرجة أن دعاء قالت كلمة جرحتني بشدة متأثرة بأسلوب أمها، وهي أنى "أحرمها"، رغم أن كل حياتي المادية مكتوبة باسمها، ورغم أنني أعيش حياة البسطاء كي تكون هي سعيدة.

دعاء هي أجمل نقطة ضوء في حياتي على الإطلاق، صارت ناضجة، أكثر طيبة ووضوحًا، بالغة الشعور بالمسئولية، متفاهمة، ليس لديها أي نوع من نزق الشباب، تنكب على دراستها، محبوبة من زميلاتها وزملائها في كلية طب الأسنان بالإسكندرية، حصلت للمرة الثانية على تقدير جيد جدًا، أراها مرات قليلة، لكنها تتصل بي هاتفيًا كل يوم من قبيل أداء الواجب، واجب الابنة تجاه أبيها.

على المستوى المهني، لا تزال آثار عدم تعييني رئيسًا للتحرير في إحدى المجلات، من قبل المجلس الأعلى للصحافة بمثابة صدمة، وبدت المجلات في ظل هذه المستويات باهتة، وقد اندهشت من تعامل رئيس تحرير إحدى هذه المجلات، كنت أتصور أنني قريب منها قد رفضت نشر المواد التي سلمتها إليها وأرسلها إليها عبر رئيس مجلس الإدارة، واندهشت لهذا الرفض، ولا أعرف السبب، فالمنشور في المجلة، لا أستطيع أن أقول سوى أنه ساذج.

أغرب ما في عام ٢٠٠٣، أنني حرمت من السفر تمامًا، حتى الذهاب إلى الاسكندرية لم يدخل في دائرة اهتمامي، كان ذلك بسبب انخفاض سعر الجنيه، وأيضًا بسبب شكل العرب في أوروبا، فقررت البقاء في شقتي التي أحبها، ولم أسافر إلى سويسرا وفرنسا، أو الكويت، حتى سوريا، فإن أحدهم سرق دعوة مهرجان دمشق، حيث كان من المؤكد أنني سوف أسافر، ولم يحدث، كما أنني لم أحب الطريقة التي يتفضلون بها على الضيوف في مهرجان الاسكندرية، بمنحهم كوبونات المطعم، وما شابه، وقررت عدم السفر.

في هذا العام صدرت لي مجموعة من الكتب المهمة، صدرت طبعة ثانية فخمة من روايتي "أفعال الحب"، وقوبلت روايتي "آخر أيام الاسكندرية" باستحسان، وأنا الذي لم أسع قط إلى عمل ندوات عن رواياتي، لم آخذ حقي ككاتب، وصدرت أيضًا روايتي "الحياة مفرد مؤنث"، وصدر كتاب "أمريكا تضرب نفسها"، وأيضًا الفيلم الروائي السوري "في دمشق" وصدرت "ببليوجرافيا كتب الأطفال"، عن جامعة الدول العربية، وتقلص عملي في تأليف كتب للأطفال، إلا من عناوين قليلة صدرت في دار الهلال، وهيئة الاستعلامات.

لدى عدة مشاريع لموسوعات، منها موسوعة كتاب القصة في مصر، وموسوعة كتاب الأطفال، ثم موسوعة رسامي كتب الأطفال، وموسوعة مجلات الأطفال، بالإضافة إلى إعادة طبع روايتي "الثروة" وعمل موسوعة عن "العلماء" للأطفال.

تقص النشر في المجلات العربية، وتبعًا لما حدث في المؤسسة التي أعمل بها، توقفت عن الكتابة في مطبوعاتها، حاول مصطفى نبيل مصالحتي أكثر من مرة، لكنه كان يتصرف أحيانًا ضدي، وبدأت المجلة في فقدان هويتها، وتحولت إلى مجلة تاريخية، بينما تحسنت سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات"، وأصدرت عناوين مهمة، قالت لي سوزان مبارك في معرض كتب الأطفال عندما قدمت لها الكثير من المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات عن السلسلة إن هذه هي دار الهلال، صدر لي كتاب لطيف في السلسلة بعنوان "فيروز والبطل"، وقوبلت "موسوعة أشهر النساء" باستحسان، بالإضافة إلى موسوعة "حكام مصر"، نشرت في النصف الأول من العام العديد من المقالات النقدية في مجلة "نصف الدنيا"، ثم توقفت لأسباب حسابات لدى رئيس التحرير، كما نشرت الأهرام مقالات أثناء شهر رمضان ورواية مسلسلة للأطفال بعنوان "على بابا والكمبيوتر"، ونشرت لي مقالات في "الفنون" بالكويت، ومصر، والرافد.

تقطعت علاقتي بالإذاعة، ومن المتوقع أن تتوقف هذه العلاقة تمامًا في العام الجديد، افتقدت أميمة كامل، التي كانت تراني عبقريًا، ورغم أنني أعددت برنامجًا عن ذاكرة السينما في البرنامج العام، فإن كل شيء توقف مع بداية السنة، لا زلت أظهر كضيف في البرامج الإذاعية، والتليفزيونية بقوة، وهناك إجماع على أنني متحدث جيد.

تزداد علاقتي بشقتي، وأحب البقاء فيها، أمارس عملي، وأشاهد النت، خاصة أن الشارع المصري فقد سحره، ولم يعد يجذبني للخروج إليه، شكل الناس تغير، والغلاء ، أتأمل ما تبقى لدى الكثيرين من براءة، اختفى الجمال من حياتي، فهل هناك أجمل من الاستماع إلى البرنامج الموسيقى، وأغنيات الحنين، وأغنية من طراز "قد ايه حلو الغرام"، التي أغنيها أحيانًا لإحداهن في الهاتف، أو "أجمل إحساس في الكون أنك تعشق بجنون"، وهما من الأغنيات الأجمل بالنسبة لي هذا العام، هناك أغنية غنتها نور من أجلى، وهي "جرح تانى" لشيرين، ولأول مرة أحس بالسعادة لأن هناك أغنية ترددها امرأة من أجلى.أتردد على دور العرض، من أجل مشاهدة الأفلام، في أغلب المرات مع يوسف القعيد، صارت السينما المصرية بالغة السوء، شاهدت قرابة ثمانين فيلمًا، أهمها "عصابات نيويورك" و"شيكاغو" و"الساعات"، وعدت إلى القراءة بقوة، أقرأ المجلات الفرنسية الجديدة بشغف شديد، حتى لا تهتز لغتي التي تعلمتها، لا تزال قراء قليلة نسبيًا، وما زلت أشرف بنجاح على نادى سينما الأطفال، وتم تجديد عضويتي في لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة.أفتقد صديقي الراحل سلامة مجاهد، وانضم عادل عواد إلى قائمة الأصدقاء المقربين،.

الجمعة ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤

ا

انها سنة اوشرا

امرأة تسكن شمال العالم، قطعت مسافات طويلة، كي أقوم بزيارتها، هي أكثر نساء حياتي اللاتي عرفتهن محبة لي، وأكثرهن تعقلًا، يحدث هذا، وأنا قد تجاوزت الخامسة والخمسين، كأنني ما زلت شابًا صغيرًا، نعم، أحس أنها آخر التجارب العاطفية، لقد ذهبت نور بلا عودة، لم أعد أرها إلا عن بعد، لا نتبادل التحية، بدأت أتحاشي الذهاب إلى الأماكن التي تتواجد فيها. مهرجات الاسماعيلية، مهرجان القاهرة، وحين شاهدتها الأسبوع الماضي في مؤتمر عن ثقافة الطفل لم نتبادل الكلمات، وتركت لها المكان وذهبت.

في هذه الأوقات، ظهرت اوشرا، وأيضًا مونيكا، التي تعرفت عليها في مهرجان السينما للأطفال، كنا معًا عضوين في لجنة التحكيم، حاولت إلقاء شباكي عليها، تقاربنا بقوة، وتابعت سلوكها الغريب، قالت لي إن روحها مستنسخة من عهد الفراعنة، هي تشيكية من براج، بعد عودتها إلى بلادها صرنا نتبادل الرسائل الإليكترونية، وأسميتها "الروح الكبيرة"، ذكرتني أنها متزوجة، وأننا فقط صديقان، قررت أن أكتب رواية ""مونيكا"، عن علاقتنا الروحية، وتصرفت معي بجدعنة ملحوظة، حيث سعت أن أكون عضوًا للتحكيم في مهرجان زلن لسينما الأطفال بدولة تشيك، وهناك استقبلتني في المطار، واستضافتني في بيتها الذي يتكلم

الفرنسية، تعرفت على زوجها، وولديها، فإنسان، وسبستيان، وهناك عشت مشاعر أسرية رائعة، خاصة تجاه حماتها، وصارت محرمة على، وقضيت معهم تسعة أيام بين براج وزلن، كنت خلال هذه الفترة عضوا للجنة التحكيم، ورأيت صورة أوشرا لأول مرة في الكاتالوج، لم يجذبني شكلها ولا حجمها عند النظرة الأولى، سعت إلى مصادقتي، لكنني لم أستجب لها، قبل أن تعود إلى بلادها تركت لي رسالة بها بعض عبارات الإعجاب، وبونات الطعام، إنها تراني فرعونيًا فريدا.. وسرعان ما اشتدت العلاقة على النت، وقررت أن أركب طائرة وأطير إليها، ساعدتني في تسهيل الإجراءات، وفي ٧ أكتوبر، نزلت في مطار براج للمرة الثانية خلال أشهر قليلة، ثم إلى فيلينوس. كان أوشرا في انتظاري في المطار لتستضيفني في منزلها لمدة ثلاثة أسابيع.

إنها الرحلة الأجمل أيضًا في حياتي، منذ رحلة سويسرا مع ميليسا عام ٢٠٠٠، تعاملت أوشرا معي بمودة شديدة، كأنني الرجل الوحيد في الدنيا، حاولت حمايتي من الصقيع الذي لا أحبه ، تجولت بي في أنحاء بلادها، قضينا يومين في مدينة ساحلية على بحر البلطيق الذي رأيته لأول مرة، كنت الحبيب، والطفل لاوشرا.. في المدن والميادين، تفخر بي أمام الآخرين، صحبة لم أشهد مثيلًا لها في حياتي، ورأيت في أوشرا جمالا سبق أن نفرت منه، تفعل أي شيء من أجل إرضائي، أدهشتني، ولقبتني بـ "الملك"، وهكذا تكون النساء، وودعتني في المطار، على أمل أن نلتقي بعد عدة أشهر، أحببت هذه البلاد، تخيلت أنني في حلم، وظللنا نتواصل يوميًا من خلال النت، ورأيت أنها تستحق أن أكتب عنها

رواية، وكانت "كل النساء في واحدة"، التي شرعت في كتابتها منذ أسابيع، وصار على أن أمزج ما كتبته عن مونيكا على ما كتبته عن أوشرا.

أنهما امرأتان من ثقافة مختلفة، لكنهما نموذجيتان بالنسبة لي، مونيكا وأوشرا.

الحدث المهم في عام ٢٠٠٤، أنني صرت عضو لجنة تحكيم مهرجان سينمائي دولي، هو مهرجان سينما الأطفال، وكان أحمد رأفت بهجت وراء ذلك، وقد أثبت نجاحي، وفرضت ثقافتي وشخصيتي، ولعل ذلك دفع مونيكا أن تطلب من إدارة مهرجان زلن في أواخر مايو أن أكون عضوًا في لجنة التحكيم، وأثبت مكانة ملحوظة، جعلت رئيس المهرجات يقرر أن يدعوني في العام التالي للعودة إلى المهرجان، وقد فتح لي هذا الباب للتعرف على أوشرا، كما أنني اخترت عضوًا للتحكيم في مهرجان الإذاعة والتليفزيون، في وقت تم فيه التقلص من أعضاء قدامي، وكان معي في اللجنة، عفاف راضي، والملحن عبد العظيم محمد، والإعلامية اللبنانية يمن الأخوي، ونجحت لدرجة أن عفاف راضي أثنت علي.

في هذا المهرجان شاهدت السلوك الرديء لمن يقال إنهم مثقفوا مصر، فقد طلب وزير الإعلام صفوت الشريف أن يلقى كلمة إلى أعضاء لجنة التحكيم، وذهبوا جميعًا عداي أنا وعفاف راضي، وعندما عادوا صرفوا جميعًا مكافآت المشاهدة التي تصرف كل يوم، عن مشاهدة لم

تتم، وشعرت بالتقزز الشديد مم يحدث، خاصة ممن يتصرفون على أنهم صفوة.

ساعدني هذا أن أكون سعيدًا، فقد قضيت أكثر من عشرة أيام في مهرجان الكويت المسرحي، في أبريل، وقد عوضني الله بهذا على ما سق أن ضاع منى في العام الأسبق، ولهذا السبب لم أشا الذهاب إلى الاسماعيلية، أو بالإسكندرية، ولم أشارك في مهرجان القاهرة.

من بين الساعات المشرقة أنني قمت ببيع مجموعة من دفاتر الأفلام التي أملكها إلى مكتبة الكتب النادرة بالجامعة الأمريكية، بواسطة فريدة مرعى، وكانت لحظات سعيدة أنني أحسست بالمزيد من الاستغناء، لكن زوجتي ظلت وراءى بالمرصاد، حتى وافقت على شراء شاليه في قرية آمون بالساحل الشمالي، ولم يتبق معي إلا القليل، لكن لدى إحساس أنني حققت شيئًا.

باستثناء نشر موسوعتي الضخمة عن الممثل في السينما العربية، فإن كافة المشاريع قد تأجلت أو ألغيت، لا زلت أبحث عن ناشر لموسوعة الأفلام في شكلها الجديد، والموضوع متعثر تمامًا، كذلك تعثر مشروع موسوعة مجلات الأطفال، وتركت عبلة ابراهيم منصبها في جامعة الدول العربية، مما أثر على إصدار كتب جديدة في الجامعة، بعد أن ظهرت الطبعة الرابعة من "موسوعة كتاب ورسامي كتب الأطفال"، أيضًا لا تزال هناك مشاريع أخرى مؤجلة، مثل "موسوعة هؤلاء رسموا للأطفال في

مصر"، كما تأخر كتابي عن فيلم "آلام المسيح"، الذي لعله سيظهر مع الأسبوع الأول من العام الجديد.

كل ما أتمناه أن يكون العام الجديد، أفضل على مستوى النشر، نشر الكتب والموسوعات، أذاعت لي إذاعة الكبار مسلسلا في ثلاثين حلقة هو "سميحة ديجيتال"، بطولة سناء يونس، يدور حول امرأة عجوز، تساعد الشباب في تحقيق أمنيات عن طريق العمل، كما أذاع لي البرنامج العام أكثر من دراما مسلسلة ناجحة للأطفال مثل "شقاوة كلام"، وأذاعت لي شبكة الشباب والرياضة بعض القصص، ورغم ذلك فأنا أقل نشاطًا، أكتب في جريدة "عمان"، وقد تحسنت علاقتي بأخي محسن بعد أن زرته في مستشفى مصطفى كامل بالإسكندرية.

نجحت دعاء للمرة الثالثة بتقدير جيد جدًا، هي متدينة بتعقل شديد، حضرت لمدة شهرين إلى القاهرة، وبدوت فخورًا وهي تتحدث مع ضيوف لي من تشيك بثقافة ملحوظة، لكن ما صدمني حقًا، وأصابني بكآبة، هو الزفاف الذين ادعوا أنه ديني، لإحدى بنات العائلة، التي تخرجت من المدرسة الألمانية، فرأيت هرمًا ينهار تحت أسماء جديدة، تركت الفتاة الوظيفة كي تتزوج، وتقضى أول ليلة لها في بلاد الخليج، وانهار مشروع ممتاز في بلد يزداد أهله تطرفًا.

كالعادة، أتواجد بشكل جيد في برامج الإذاعة والتليفزيون، وصرت أرفض الحضور في البرامج أكثر مم أقبل، أتعامل بكرامة وكبرياء، مع مجتمع ومؤسسات ثقافية تزداد تفاهة.

التوتر النفسي يزداد بسبب وظيفتي، وأيضًا من طليق سميحة الذي تصور أن بيني وبينها شيئًا ما في الهاتف، مما جعل نسبة السكرى ترتفع، فصرت أكثر ضمورًا، ودفعني هذا إلى البقاء لأطول مدة ممكنة في شقتي التي أحبها وأحس أنها جنتي، أجلس أمام الكمبيوتر، وأكتب رسائل اليكترونية إلى أوشرا، أو مونيكا، أو بعض الأصدقاء هن وهناك..

ترجمت وأنا في ليتوانيا رواية "يدوم الحب ثلاث سنوات"، تأليف فردريك بيجبيديه، وأقرأ بقدر المستطاع، أشاهد الكثير من الأفلام الأجنبية، أعجبني فيلم "الحالمون"، الذي شاهدته في ليتوانيا، إخراج برتولوتشي، والفيلم الأمريكي "هيا نرقص" بطولة ريتشارد جير.

هذا العام مات محمد صدقي، وبقى أصدقائي محدودي العدد، خاصة المخرج كمال عطية، وسعيت قدر الإمكان إلى عدم الاقتراب من رؤسائي في العمل، وأحسست أن هناك محاولة للنيل منى، أو التقليل من حجمي، وتقزيمي، لكن ليس من السهل أن يفعلوا ذلك، فرغم أنني في هذا السن، وأن الجسم لم تعد له قوته، وحيويته السابقة، فإنني ما زلت هنا.

السبت ٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

لو قرأت الرسائل الاليكترونية التي كتبتها لي اوشرا طوال العام، خاصة في الفترة الأخيرة، لاكتشفت هذه القصة الرائعة التي تربطنا معًا، صحيح أننا لم نلتق خلال العام مثلما كان يجب أن يحدث في يونيه الماضي في تشيك، لكن سعالًا مزمنًا أصابها، مم جعلها تحجم عن لقائي، وافتقدتها، لا تزال أوشرا هي أكثر النساء اللاتي أحببتني، دون أي نوع من التوتر، امرأة جدعة، حبوبة، تحافظ على الرجل، امتلأت رسائلها بالدفء، والذكاء الحاد، والاتزان، من الواضح أنها عانت كثيرًا من هذا السعال المزمن، فسبب لها الألم، بالإضافة إلى الوحدة التي تعيش فيها، لقد اتفقنا أن نلتقى في فبراير القادم في مهرجان برلين، رغم أن هذه الرحلة قد تكون مكلفة.

في رحلتي الثانية إلى تشيك، قابلت مونيكا مجددًا، زرت بيتها، وعشت سعيدًا مع أسرتها، وعرفت أن زوجها قرر أن ينفصل عنها، ثم أخبرتني في رسائلها الاليكترونية، أنهما انفصلا بالفعل، توطدت صلتي بولديها فإنسان وكرستيان، ولا أدعى أنني أمتلك عاطفة نحوها ولا أريد أن أستغل حكاية انفصالها، بل إنني سوف أرسل لها نقودًا كنوع من المساندة، من النادر أن نقابل مثل هذه الشخصيات في حياتي، ولذا فإنها دفء مهم بالنسبة لي.

في زلن قابلت بوزنا للمرة الثانية، كان اللقاء الأول عام ٢٠٠٤، كانت تعمل "نادل" لدى إحدى الشركات، داعبتها، وتقاربنا، وعدت لأقابلها هذا العام، بالغة الجمال، والأنوثة، تناولنا الغداء معًا، قامت بإهدائي بعض الهدايا الصغيرة اللطيفة، وأحسست أنها من طراز مونيكا، قليل أن تقابل مثلها. تكذب على وتدعى أنها غير متزوجة، لا تعرف أي لغة يمكن أن نتكلم بها، ومع ذلك نتبادل الكتابة، لا أعرف معاني ما تكتبه لي، لكن الرسائل تتواصل بيننا، كانت المشكلة أنه في بداية المهرجان أصابني ورم في وجهي بسبب ضرسى، وخلعته وأنا هناك، فلم أستمتع إلا في اليوم الأخير قبل سفري حيث قررت أن أعود قبل موعدي، حتى لا أتألم أكثر في الغربة.

رحلتي إلى تونس، مدينة صفاقس، في مارس الماضي، لحضور معرض كتب الأطفال، فتحت لي أبوابًا عديدة للبهجة، علمني السفر، أن الرحلة التي تخلو من النساء هي تقريبًا بلا ذكريات، أي أنه لا معنى لها، تعرفت في العبارة، التي توجهت بنا إلى الجزيرة على فتيحة، وصارت معي لمدة يومين، جنون واندفاع غريب بكل منا تجاه الآخر، علاقة مليئة بالهوس، والشقاوة، هي أيضًا امرأة دافئة، مريحة للغاية، عانت كثيرًا في ظروفها الحياتية، بالغة الأنوثة، ولم أنتبه أنني كان يجب أن أمنحها بعض النقود، شهدتنا شوارع المدينة معًا، وعندما عدت إلى القاهرة، كتبت لها العديد من الرسائل على عنوان وسيط.. إلا أنها لم ترد علي.

لو كان العمر أيام، فهو يقاس باليومين الذين تعرفت فيهما على فتيحة هذه، وهي من البشر الذين قل أن نلتقيهم مرتين.

في أواخر الصيف، استوقفتني أسرة، بناتها جميلات، وبدينات، أعطيت لإحداهن كارت هوية، فاتصلت بي بعد أسابيع، قالت إن اسمها ناني، في الثالثة والأربعين من العمر، متزوجة ولديها ثلاثة من الأبناء والبنات، قابلتها مع أسرتها، لم أستسغ الخروج مع امرأة متزوجة، وسعيت إلى عدم لقائها مجددًا، وقد حدث ذلك بالفعل طوال شهرين، إلا أنها عادت وتواصلت معي، خابرتني هاتفيًا بعد أن نجح الإخوان المسلمون في البرلمان، وحصلوا على الكثير من المقاعد، أحسست بالاستياء أن امرأة تكلمني في هاتف سيدفع زوجها ثمن الفاتورة، جاءت لزيارتي مجددًا مع أولادها، ثم اختفت مثلما ظهرت.

سافرت إلى تشيك، وتونس، وسلوفاكيا، وكان أبرز ما في العام هو الشاليه الذي قضت فيه دعاء أغلب أجازتها، كانت سعيدة، ذهبت إلى هناك لقضاء أسبوع، وفي هذه الفترة جاء لدعاء أول عريس رسمي، وأحسست كم صارت ناضجة، لكنني أرجأت مسألة زواجها إلى ما بعد التخرج.

بلغت دعاء الحادية والعشرين، أي أنها صارت قويمة على نفسها، وقد أسعدني هذا كثيرًا، بما يعني أنها صارت صاحبة كل ما أملكه، كتبت لها ما لدى في البنوك، والشاليه، وشقة القاهرة، وشقة الاسكندرية،

حصلت على تقدير جيد جدًا للعام الرابع على التوالي، وأتمنى أن تحصل على نفس التقدير في العام الجديد، ورغم المسافة التي بيننا، فإننا تقاربنا معًا عندما جاءت إلى القاهرة، ثم عندما سافرت إليها في قرية آمون، أتمنى لو تزوجت وعاشت في الغرب، وليس في مجتمع يزداد تطرفًا.

أهم ما في هذا العام، هو التغييرات الصحفية، لا أعرف لماذا تغيرت مواقف رئيسي في الإدارة بلا سبب، واختار أسماء أخرى دوني لإدارة بعض المجلات، شعرت بارتياح مع وجود عبد القادر شهيب، صارت الأمور أفضل وأهدأ، اتضح ذلك في معرض كتب الأطفال، فقد أبدت سوزان مبارك إعجابًا بإصدار كتب الهلال للأولاد والبنات، وساعد ذلك في لفت الأنظار إلى حقيقة إصداراتي، وبدأت أستعيد مكانة كان قد تقلصت شكليًا، وفي اجتماع عقد منذ أسبوعين عرفت أن توزيع المطبوعات قد قل بشكل ملحوظ في المؤسسة.

ظلمني مصطفى نبيل كثيرًا، فرغم أن روايات الهلال كانت في أحسن عهودها، وأنا أعمل معه ، إلا أنه ضن على كثيرًا بأن أكون مدير تحرير، وحذف اسمى بناء على اقتراحي، بدلًا من أن يحاول إرضائي، حسب قوة تاريخه معي، وقد انهارت السلسلة بشكل ملحوظ بعد أن تركتها، أصدر قرارًا بتعيين شخص آخر كمدير تحرير، وهو المنصب الذي حرمني منه رغم كفاءتي، ورغم ذلك، فبعد شهرين من تركه منصبه، ذهبت إليه، وسلمت عليه، وفي اليوم التالي، رددت في نهاية صلاتي:

اللهم سامح الذين أساءوا إلى، وتخلصت من شعور كأن جبلًا يجثم فوق صدري.

أسعدني نجاح مسلسل "شقاوة كلام" أدبيًا وماديًا من إخراج سهير شعراوي، وقد توقف اليوم بعد إذاعة الحلقة ٤٥٠، رغم حصوله على الجائزة الذهبية في مهرجان الإذاعة والتليفزيون ٢٠٠٥، وقد رفع هذا من قيمتي أمام نفسي، ومن أعرف، كما أنني كتبت ٢٥٠ حلقة لإذاعة قطر عن طريق يمن الأخوي، وبدت حياتي العملية ككاتب جيدة، فرغم تعثر نشر الموسوعة، إلا أن نهاية العام شهدت نشاطًا، حيث سوف أدفع بها إلى هيئة الكتاب، صدرت لي كتب كثيرة هذا العام، صدرت لي "موسوعة مجلات الأطفال في العالم العربي"، عن المجلس العربي للطفولة، وقد قوبلت باستحسان ملحوظ، كما صدرت طبعة جديدة من رواية "اللا أخلاقي" لأندريه جيد، عن الدار المصرية اللبنانية، كما أتوقع صدور موسوعة "هؤلاء رسموا للأطفال"، و"موسوعة العلماء للأطفال"، ورواية "يدوم الحب ثلاث سنوات" لفردريك بيجبيديه التي ترجمتها وأنا في بيت أوشرا العام الماضي.

صدمت حين قام أحد الشباب الذين أرعاهم بإخلاص بسرقة موبايل بالغ الفخامة، حصلت عليه كهدية، سرقه من مكتبي، وأنا الذي كم ساعدته، فذهب بالموبايل ليضاف إلى مجموعة الشباب الذين راعيتهم دومًا فخذلوني، وأفكر أن أكتب عنهم "كلهم أو غادى".

تضاف أسماء جديدة إلى قائمة أصدقاء نقابلهم، ونقترب منهم.. أشرف سليم، عادل عواد، عبير، منتصر السبكي، بينما يتحول اللاب توب إلى أهم شيء في حياتي، وقد تعطل مرتين فلم أتحمل فراقه، أصاحب من خلاله العالم كله، وأتواصل مع أصدقاء لي في أنحاء متفرقة من العالم.

وجدت نفسي أدخل في معركة نقدية مع كاتب يتعامل معنا على أنه ناظر مدرسة النقد، تمت المعركة على صفحات جريدة القاهرة، عندما نشرت مقالًا انتقدته بشدة فيما أصدر من أربعة كتب حول السينما الأوروبية، وأوجعته كتابتي، وجاء رده هزيلًا، وبدا كأنه خرج من دائرة الاهتمام أو المنافسة، وأنه ليس أبدًا ناظر المدرسة النقدية، قرأت عددًا قليلًا من الكتب، لكنني لا أكف عن القراءة كلما أتيح لي ذلك، شاهدت مائة فيلمًا في قاعات العرض، وفي القنوات التليفزيونية والمهرجانات، من أجمل ما قرأت "شفرة دافنيشي"، ومن أجمل الأفلام "حمام السباحة" الفرنسي، و"راى".. و"فريرا".

الأحد ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦

هذا عام ابنتي دعاء، رغم أنها كانت بعيدة طوال العام، لكن لا شك أن حصولها على بكالوريوس طب الأسنان بتقدير عام جيد جدًا لكل السنوات، قد أسعدني، فضلًا أنها لا تزال الفتاة العاقلة الجادة، وقد كنا قريبين أثناء قضاء أسبوع في الشاليه بقرية آمون، ثم أثناء وجودها معي، قبل أن تبدأ فترة الامتياز، والآن هي معي في القاهرة لمدة ثلاثة أيام بمناسبة عيد الأضحى، عشنا معًا تجربة أن يتقدم شخص لخطبتها، فيبدو مناسبًا أم لا، ومسألة اللاتجربة، والتوتر العاطفي، ثم أن يتم اتخاذ القرار الحاسم، في الوقت الذي بدت فيه وهي تحب مهنتها، وقد أعجب بها أساتذتها، وكنت قد أهديتها موسوعتي الأخيرة التي طبعت قبل الأسبوع.

التقيت أوشرا في مهرجان برلين، بدت منشغلة بعملها، أنهم يحترمون العمل كثيرًا، وصار من الصعب أن نكون في برلين مثلما كنا في فيلنوس، لذا فإنني لم أسع إلى مقابلتها كثيرًا، بدت العلاقة باردة، رغم سخونتها في الرسائل، لذا قاطعتها عدة أشهر على النت، لدرجة أنها تصورت أنني ارتبطت بامرأة أخرى، فعاتبتني، واتهمتني في إحدى الرسائل أنني أناني، وقد كتبت لها يومًا أنني لا زلت على مشاعري نحوها. وعاودنا التواصل، لكنها بدت كأنها امرأة شاخت، رغم ما تقوله إنها لا تزال تحبني، وإنني فقدت الكثير من حماسي، وبدت كتاباتي لها على النت أشبه بعمل واجب يومي، لدرجة أنني لن أذهب ثانية إلى

برلين، وكنت قد سافرت المرة الأولى هذا العام من أجل أوشرا، فهي تعرفني، وتحبني، وأنا لم أجد غيرها.

يسرا، مذيعة في إحدى القنوات الفضائية المصرية، جاءت لتسجل معي برنامجًا في المنزل، حدث انجذاب من اللحظة الأولى، جميلة العينين، والشخصية، حاولت أن تمنحني هدايا فرفضت، أعارتني الموبايل الخاص بها أبان سرقة جهازي البالغ الفخامة، ثم اختفت لتتصل بي، وتطلب مني أن أعد لها برنامجًا تليفزيونيًا، تنتمي لإحدى الأسر الميسورة، تتولى رعاية أبناء شقيقها الذي يعيش في أوروبا، تصغرني سنا بأكثر من عشرين عاما، هي آنسة لديها مشاكلها مع الزواج، عانت كثيرًا من مشاكل أسرية، وهي ترفض كل من يتقدم لخطبتها، خرجنا سويًا أكثر من مرة، تبدو لي كأنها نسخة جديدة من نور، إلا أنها أفضل وأذكي، وأكثر براءة، خفت أن يحدث بيننا أي تعاطف، سافرت إلى أوروبا، ومن هناك اتصلت بي، وتركت لي أكثر من رسالة، تصورت في بداية السنة الدراسية أنها قد عادت دون أن تتصل بي، فتجاهلتها ونسيتها، إلى أن خابرتني في أول ديسمبر، وعرفت أنها عادت لتوها، وخرجنا معًا من جديد، نحن متقاربين تمامًا، لكنني أرفض أن أدخل معها في أي مشاعر عاطفية، هي مثقفة، وتسعى إلى أن تتعلم، لكنها تختفي، وتعاود الظهور، ولا أعتقد أنها ستكون كيانًا في حياتي، فأنا لا أريد أن أرتبط مع من له مثل هذه الظروف بأي مشاعر عاطفية.

اختفت أسماء كثيرة من الماضي، تعاني مونيكا من مشاكل مع زوجها، وتمر بظروف اجتماعية ومالية سيئة، أرسلت لها بعض النقود كنوع من المساعدة، أتعاطف معها، وأريد لها الاستقرار العائلي، قلت الرسائل بيننا، لكن المودة باقية، وأتمنى أن تكون في أحسن حال، فهي شخص نادر في حياتي.

كان هذا عام الانهيار في الصحة بشكل ملحوظ، فقد ازدادت سطوة السكرى، وضعف جسدي، وتألمت عضلاتي، وتنميل في أطراف أصابع القدم، وأنا لا أحب الألم والمرض، لكن التنميل أثر على حيويتي، لذا فلن أتكلم قط عن نفسي كمريض، وأنا الذي كنت دومًا رفيقًا للحيوية.

صارت راوية أيضًا امرأة مريضة، تعمل ألف حساب للموت، تحس بضربات في القلب، وتدرك أنها صارت أكبر سنًا، تأتى إلى في أيام أقل من الأعوام السابقة، لم تتغير كثيرًا رغم كل هذه السنوات التي عشناها معًا..

اعتدت في حياتي أن أخسر أرضًا، لأكتسب أرضًا أخرى، هذا العام بدوت كأنني خسرت مجلة "ماجد" التي كانت مصدرًا جيدًا للدخل، وأيضًا لوجودي ككاتب أطفال، ولكنني لم أتأثر كثيرًا، فما زلت موجودًا في مجلة "العربي الصغير"، كما خسرت الإذاعة، حيث توقف التعامل مع كافة المحطات، بسبب ترشيد الإنفاق الذي فرضته الإذاعة،

بعدم التعامل مع كتاب من الخارج، ورغم ذلك فأنا ضيف في العشرات من برامج الإذاعة والتليفزيون، وكالعادة فإن ما أقبله أقل بكثير مما يعرض على، وقد كنت ضيفًا في قنوات خاصة عديدة، كما أنني لا زلت أكتب في "الجازيت"، وجريدة "القاهرة"، و"المحيط الثقافي"، ومجلة "دبي الثقافية"، وجريدة "المسائية" التي أكتب بها عمود أسبوعين وهي ظاهرة جديدة في حياتي، حيث لا أميل إلى كتابة الأعمدة.

سافرت هذا العام إلى مهرجان برلين لأول مرة، في صحبة ايريس نظمي، ونبيهة لطفى، وقد كانت صحبة رائعة، وانشغلت معهما عن التواصل مع أوشرا، التي بدت جامدة، بررت الأمر أنه السعال اللعين، وأنها تخاف من أصاب بالعدوى منه، واحترمت ذلك، وقضيت في برلين عشرة أيام، وسط البرد، ودفء الناس والأفلام، ولم تكن لي هناك ذكريات عاطفية، خرجت للعشاء مع مخرجة ألمانية من أصل فرنسي، وكان عشاء لا أكثر، وعدت من برلين ومعي الكثير من المطبوعات، والقليل من الذكريات، حيث أنه لا لذة بدون امرأة في الرحلة.

الرحلة الثانية كانت إلى سلوفاكيا، رحلة قصيرة، كان الجو أدفأ، وكان معي محمد غزالة وسعدت وأنا أتجول وحدى في العاصمة براتسلافا، حضرت مهرجان السينما الكومكس والرسوم المتحركة، أحس بنفسي مبتهجًا وأنا في أوروبا، ودائمًا أحاول البحث عن ذكريات، لكن في هذه الرحلة عدت أيضًا بدون ذكريات رغم وجود أشخاص كثيرين قابلتهم.

شخص مختلف، لا أعرفه تقريبًا، ذلك الذى عشت من خلاله هذا العام، يخلو من الشقاوة، وتخلو دروبه من البحث عن تجربة، يبدو عزوفًا عن أشياء عديدة، حتى على المستوى الأدبي والثقافي، طوال أشهر العام، أعمل كثيرًا بدون نتيجة، أحاول قدر الإمكان، وبكل صعوبة العثور على ناشر لمشروع العمر وهو "موسوعة الأفلام الروائية" وبدا المشروع منحوسًا، حين ضاعت بعض ملفاته من على الكمبيوتر، كي أكرس وقتي لإعادة كتابه ما ضاع، وسط رفض الناشرين، خاصة مدبولي، إلى أن وافقت هيئة الكتاب، وسلمت الأصول في حذر، إلى أن استلمت الجزء الأول من الموسوعة مطبوعًا قبل أسبوعين، فكنت أسعد البشر، وأنا أنتظر استلام الجزء الثاني خلال أيام، وأكون بذلك قد أنجزت ما كنت أحلم به، ولا أعتقد أن في مقدوري تقديم مثل هذا المشروع مجددًا.

في عام ٢٠٠٦ نشرت لي "موسوعة هؤلاء رسموا للأطفال"، التي تم تأجيل نشرها أكثر من مرة، ثم رواية "الحائكة الصينية الصغيرة"، التي تعثرت كثيرا لدى الناشرين، خاصة في دار الهلال، وصدرت لي في طبعة فخمة "موسوعة العلماء للأطفال"، إنها مجموعة من الإنجازات الكبرى، وأحلام مؤجلة، تتحقق، وصدرت لي في مكتبة الأسرة طبعة جديدة من كتاب "الخيال العلمي، أدب القرن العشرين".

كما صدر لي كتاب "أفيش السينما المصرية" عن دار الشروق، وقد كان مثار نقاش، وكتابة في الصحف والمجلات.

فقدت إنسانًا عزيزًا على لدرجة التقديس، إنه محمود على مراد الذي توفي في جينيف عن ثمانين عامًا، كان إنسانًا نبيلًا، شديد الكرم معي، هو الذي فتح لي باب الذهاب إلى أوروبا، كان حنونًا على، وقد أثرت وفاته كثيرًا على، وجزعت لفقده، كذلك فإن رؤوف سلامة موسى أصابته جلطة في المخ، منذ أشهر، وصار بين الحياة والموت، كما فقدت الدكتور بهاء حلى، رئيس بنك مصر، وقد كان قريبًا كثيرًا إلى قلبي.

زادت عزلتي أكثر في البيت، الشوارع ازدادت زحامًا، والوجود في الشارع هو الجحيم بعينه، وأنا أحاول أن أهيئ ظروفي لنفسي، فعلاقتي مع الكمبيوتر بالغة القوة، أقضى أمامه وقتًا أطول مما أفعل مع أي شيء، لدرجة أنه يؤثر على في الكتابة، لكنه رائع.

قامت معركة نقدية للمرة الثانية مع ناظر نقاد السينما في مصر، وقد أصابه جنون الهجوم على في اللجان والمناسبات، وبدا فاقد الحجة، وهاجمته بضراوة ممزوجة بالسخرية في مجلة "صباح الخير"، ولا تزال المواجهة قائمة، ما زلت أشاهد الكثير من الأفلام، ومن بين أربعة وثمانين فيلمًا، ليس هناك عمل يمكن أن نقول إنه الأجمل، كذلك الأمر بالنسبة للكتب.

الاثنين ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧

قبل البدء في كتابة الصفحات الخاصة بحصاد العام، كنت أشاهد على الكمبيوتر مجموعة صور خاصة بحفل تخرج دعاء أمس الأول في كلية طب الأسنان بالإسكندرية، وقد سعدت كثيرًا بهذا الحفل، وأن ما رأيته هو حصاد مجهود بذلته في تربيتها، كانت دعاء هنا معي، منذ أسبوع، في أجازه عيد الأضحى، شيء جميل يستحق أن أفخر به.

خطبت دعاء هذا العام لزميلها في الكلية محمد عاطف، تركت لابنتي أن تختار من تشاء، لقد تخرجت وصارت طبيبة، واستلمت بطاقة النقابة، وكنت قد دفعت لها قبل أشهر لتشتري سيارة شبه جديدة، فرحت بها كثيرًا، وقضيت وقتًا طيبًا معها في أجازه العيد، في الشاليه بالساحل الشمالي، كانت في أغلب الأوقات بعيدة في الاسكندرية، لم تحب القاهرة، في مسألة اختيار العريس، اختلفنا، ثم قالت لي إن علاقتي بها هي الأساس، قبلت في سعادة حين عرفت أن خطيبها قد درس في سان مارك، وهي المدارس التي كم حلمت أن أدرس بها، أما أنا فقد رأيت التشدد يزحف على أبناء العائلة المعتدلة، وقد آلمني هذا، فانعزلت عنهم في القاهرة، حيث مملكتي التي أحبها، لقد عوضني الله بها عن عالم ملئ بالزحام، وكان الكمبيوتر الذي اشتريته من باسل الذي جاء لزيارتي قادما من أمريكا سببًا آخر لسعادتي، فقد صار صديقي الوحيد البديل عن هذا العالم.

أبعدتني حالتي الصحية، وإحساسي بالسن أيضًا، عن العالم، لم تعد في حياتي نساء جديدات، لقد جاءت أوشرا إلى القاهرة في مارس الماضي، لتكون عضوًا في لجنة التحكيم بمهرجان سينما الأطفال، بدت شديدة التحفظ، مثلما فعلت في مهرجان برلين العام الماضي، ورغم ذلك خرجنا إلى خان الخليلي، إن العبارات التي تكتبها في الرسائل الاليكترونية، لم تقلها لي امرأة أخرى، مؤمنة بي، وبشخصي، وتسميني الملك، ورغم ذلك لم أصدقها، رغم أنها شخص صادق، أنا رجل حياتها، وأراها الآن آخر امرأة في حياتي، لم تعد هناك نساء.

لا أحب العلاقات الشمعية، وعندما قابلت سميحة، بدت في عيني امرأة مرت مع الزمن، فلم أحب هذا النوع من العلاقات، أما يسرا المذيعة، فقد اختفت تمامًا، وانكسرت قدمها، تعمدت إغلاق هاتفها أمام الجميع، حتى لا يسمعونها تتألم، من الواضح أنها حالة خاصة من الناحية النفسية، أما تجربتي الإنسانية الحقيقية، فكانت مع الأطفال الموهوبين الذين التقيتهم وأسرهم في أنشطة ثقافية متعددة، وقد ساعدني هذا على أن أحتفظ ببكارتي، هناك آية إبراهيم، وفاطمة طلعت، وتامر، وإيمان صبحي، وقد جمعتنا المناسبات السعيدة، مثل نادى سينما الأطفال الذي نقلته من المجلس الأعلى للثقافة، عقب استقالتي، إلى قصر الطفل، وأيضًا حفل أقمته بدار الهلال بمناسبة حصول سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات" على جائزة الدولة التشجيعية، ولا تزال هذه الأنشطة مستمر.

كان عام ٢٠٠٧، جيدًا على مستوى الكتابة، والنشر، أنه عام "موسوعة الأفلام الروائية"، التي صدرت في جزئين عن هيئة الكتاب، حققت الموسوعة نجاحًا، وتواجدًا، وفي نهاية العام وعدني منيب الشافعي، رئيس غرفة صناعة السينما، بإصدار طبعة جديدة، فخمة مصورة، فقمت بإحداث المزيد من الإضافات، واليوم انتهيت من هذا الإعداد، كما انتهيت من تأليف مسلسل لي، يحمل اسم "وحش الجبل" استوحيته من روايتي للأطفال بنفس الاسم، عن أم أنقذت ابنتها الرضيعة في الجبل من السلعوة وقتلتها، وعندما سألوها: هل أنت قوية لهذه الدرجة، أجابت بكل بساطة:

كنت أنقذ ابنتي..

وتمت الموافقة على المسلسل، وبدأت في كتابة حلقاته، الحلقة تلو الأخرى، عديد من الكتب صدرت لي هذا العام، ابتداء من كتاب "السينما والفانتازيا في مصر"، عن هيئة قصور الثقافة، وكتاب "سينما الأطفال" عن مهرجات سينما الأطفال، لكن النصر الحقيقي هو إعادة طبع "موسوعة العلماء للأطفال" أكثر من مرة، وبأعداد كبيرة، وقد فاز الكتاب بجائزة أكاديمية البحث العلمي في تبسيط العلوم، لتكون الجائزة الخامسة المهمة في حياتي، وذلك بالإضافة إلى فوز السلسلة التي أترأس تحريرها بجائزة الدولة في أدب الأطفال، هذه النجاحات المتوالية صعدت بي إلى جبل السعادة، واعتبرت أن ٢٠٠٧، من أهم أعوام حياتي على الإطلاق بعد عام ٢٠٠٠، أو عام ميليسا.

انتهيت من إعداد كتب، لا زلت أعانى في البحث عن ناشر لها مثل روايتي "الركض فوق الماء"، وأيضًا كتابي الضخم عن الأفيشات الذي تعثر، وكتاب "كتب وأفلام" الذي سحبته من دار الشروق، بعد أن اختلفت مع مدير النشر، لأنه نسب لنفسه إعداد كتاب "أفيش السينما المصرية"، وهناك كتاب سوف أبدأ في إعداده عن المخرجين في السينما العربية.

هو عام رائع، حين حققت أعلى الأصوات في انتخابات مجلس إدارة جمعية كتاب ونقاد السينما، هي انتخابات لم آخذها مأخذ الجد، فأنا لا أميل أبدًا إلى مسألة الانتخابات، منذ تجربتي في الجامعة التي كتبت عنها روايتي "القائمة"، فإذا بي أتفوق على كل الحرس القديم في الجمعية، كما أنني تقدمت هذا العام باستقالتي من لجنة ثقافة الطفل، عقب تعيين أمين عام جديد للمجلس الأعلى للثقافة، وهذه مفخرة لي، كما أنني لأول مرة يتم انتدابي للتدريس في الجامعة، حيث أقوم الآن بتدريس مادة التذوق السينمائي في كلية الفنون الجميلة بجامعة المينا، قسم الرسوم المتحركة، رشحني لهذا العمل محمد غزالة الذي توطدت علاقتي به وبأبيه، الدكتور محمود غزالة، وهو رجل فاضل ومصري نادر.

على مستوى الكتابة، فقد تواجدت بقوة في جريدة "القاهرة"، واستمرت المعارك الصحفية، ضد ناظر مدرسة النقد السينمائي، وكتبه، ومحاولات عمل احتفالية سينمائية، كما نشرت في مجلة "الشاشة"، التي ما لبثت أن أغلقت، وما زلت موجودا، إلا قليلا في مجلة "العربي"،

و"العربى الصغير"، وفي جريدة "الفنون"، الكويتية، و"الجازيت"، وقد كانت مراسلاتي مع الأديبة الشابة ميس العثمان، سببا لسعادتي، فهي صاحبة أسلوب متفرد جدًا، لم أقرأ له مثيلًا في اللغة العربية، كما نشرت في جريدة "الدستور"، وجرائد أخرى، لكن هناك أماكن عديدة تركتني، أو تركتها.

سافرت هذا العام إلى أربعة دول، إلى تونس، للمرة الثالثة، وكانت الرحلة إلى صفاقس، مليئة بأجواء السعادة، وسط الأطفال، أحسست كم أنني طفل برئ، ملئ بالحيوية، ثم جاءت رحلة سريعة إلى قطر، لأكون ضيفًا في قناة الجزيرة للأطفال، رحلة مليئة بالفخامة، والتكاليف الباهظة، ثم سافت أثناء شهر رمضان لقضاء ثمانية أيام في باريس لتكريم مديحة يسرى، ولحضور مهرجان سينما المرأة، وكان أسبوعًا رائعًا تواصلت فيه مع ثقافة أعشقها، وتجولت في أغلب أحياء باريس، اشتريت الكتب المهمة، كما قضيت اثنى عشر يومًا في دمشق، في أوائل شهر نوفمبر، في مهرجان السينما، كانت فرصة للتواصل مع الناس، ولعمل اتفاقات للنشر، ولم أعرف أي علاقة نسائية خلال هذه الرحلات، ولم أسع قط إلى هذا، كما سافرت في رحلات داخلية قصيرة إلى بحيرة المنزلة، وبورسعيد والمنيا، ورفضت الذهاب إلى مهرجان الاسكندرية، كما تواجدت في مدينتي أكثر من مرة، بسبب اعداد "موسوعة أعلام مصر"، التي توقفت مثل أي مشروع يبدأ مليئًا بالروتين، ثم يذبل، قبل أن يتوقف.

قل حضوري في البرامج التليفزيونية، الذي لا يدفع مكافآت للضيوف، إلا أنني ظهرت في قنوات أخرى منها الأوربت، والمحور، الساعة، دريم، بالإضافة إلى الكثير من القنوات المحلية، وقد كتبت العديد من الدراما الإذاعية مع سهير شعراوي، إلا أنني لم أفز بجائزة مهرجان الإذاعة والتليفزيون عن حلقات "اقرأ.. بداية المشوار"،

تغيرت أسماء الأصدقاء، وقد انشغل عادل عواد بمنصبه الجديد كمدير للاستيراد، فلم يعد يأتي صباح كل يوم إلى مكتبي، فصارت لي علاقات قوية مع الدكتور شهاب، ومحسن عثمان، أما عدلي عبد السلام، فقد انشغل بأنشطته الخاصة، أما الصديق الأقرب إلى، رغم سفره، فهو المنسي قنديل، بكل ما به من جدعنة.

على المستوى العلمي، فكم أشعر بالغصة أنني لم آخذ ما أستحق، وإن آخرين نالوا ما كنت مؤهل له، كما أن النشر في سلسلة "كتب الهلال للأولاد والبنات"، لم يعد مزدهرًا، والسبب في أزمة الورق، ورأيت المؤسسة التي أحبها تنهار من بين أيدينا، وبدأ هذا الانهيار كأنه يهدد مستقبلها، وأنا الآن في طريقي إلى سن التاسعة والخمسين، أي أن أمامي الآن ثمانية عشر شهرًا، وأحال إلى الاستيداع.

لم أعد أخرج لمشاهدة الأفلام الأوربية في دور العرض، ولم تعد تجذبني حفلات افتتاح الأفلام، لشدة الزحام، ولذا فإن أغلب الأفلام التي رأيتها كانت عن طريق الكمبيوتر، ولا أعتقد أن هناك فيلمًا بعينه قد

جذبني، وأيضًا لم يشدني كتاب بعينه.. حتى "ساحر الصحراء" التي أعدت قراءتها لاكتشف عبقريتها، فلم أتوصل إلى ذلك.

الثلاثاء ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨

بعد ساعات سوف يحل عام ٢٠٠٩، أنه العام الذي سوف أبلغ فيه سن الستين، على أن أترك الدار إلى الأبد، وأن أجد البديل الأفضل للسنوات القليلة الباقية في حياتي، سوف يشهد العام المنتظر، الكثير من التغيرات، وأنا أستعد لها.

كان عام ٢٠٠٨، هو السنة الوحيدة التي لم أركب فيها طائرة، ولم أغادر فيها مصر، بل أنني لم أغادر القاهرة إلا قليلا، مرات للعمل في جامعة المنيا، وأحيانًا إلى الاسكندرية، في الاسكندرية تزوجت دعاء في شقة لوران، تركت لها المكان، ولم أعد إليه قط بعد ذلك، كنت إذا ذهبت، أنام في الفنادق الكبرى التي تتم دعوتي إليها، تأثرت كثيرًا بتجربة زفاف دعاء، مر كل شيء بسهولة، وكما رسمنا، تزوجت يوم ٨ يونيه، في فندق باراديس إن الذي نزلت فيه عدة مرات، منذ عشر سنوات من خلال مهرجان الاسكندرية، أحسست بالضيق لأن دعاء نفذت ما خططت له، وهو أن تعيش في مدينتها التي تحبها، مما يعنى أن كل ما لدى من ثروة ثقافية، سوف يضيع بعد أيام من رحيلي، وأنها فعلت ذلك عن عمد، فتوظف في أحد مراكز طب الأسنان، وتزوجت في الشقة، ثم صار لها عمل رسمي، مما يعني أن حضورها إلى القاهرة لن يتم أبدًا، قاطعتها لعدة أسابيع، ثم عادت العلاقات فاترة وأنا أحس بألم خاص.

فترت أيضًا علاقتي بأوشرا عبر النت، وبدت منشغلة بوظيفتها الجديدة، التي تدفعها إلى السفر الدائم خارج بلادها، لدرجة أن الرسائل توقفت فيما بيننا طوال الشهور الأخيرة، وظهرت سميحة بشكل باهت واختفت..

لا نساء في حياتي، ملهمات في المقام الأول، أحسست أن لهذا علاقة ببلوغي هذا السن، وأيضًا بمرض السكرى، الذي يستشرى في جسدي، هذا الجسد المتوقد المليء بالحيوية، لقد ترك السكرى أثره في، ولم أعد أرغب في المزيد من العلاقات، أحيانًا نشعر أن هناك من يحبنا، لكننا لا نترك أنفسنا نلعب بمشاعر الآخرين، فهناك أشخاص تحس في أعينهم، وملاحقتهم لك، أنهم يحملون مشاعر خاصة بك، ولا يمكن فتح "السيرة" حتى لا يدخل المرء في وعود، وما شابه..

كان عام ٢٠٠٨، هو عام الموت، رحل أعزاء على في مجالات متعددة، دائمًا تأتى الأخبار أن شخصًا عزيزًا قد فارق الحياة، موت كمال عطية ترك فراغًا حقيقيًا، في نفسي، كان قريبا جدا منى، وأيضًا وفاة ابنة خالتي زينب، روحية، التي كانت في مكانة نعمة وأكثر..

كما ماتت الفتاة التي كانت صاحبة أول قبلة في حياتي، وأنا ما زلت صبيًا، مات أيضًا سعيد بدوى، ابن خالي محمد، وقد كنت قريبًا جدًا من خالي وأبنائه، كما مات الحاج مدبولي، وكامل زهيري، ووسط الرحيل، تتولد علاقات قوية للغاية، صداقة مع الدكتور أنور ابراهيم،

بشكل أقوى من العام الماضي.. عندما زارني لأول مرة، جلس يتحدث بلا توقف عن دوستويفسكي، ساعات الليل تمتد وهو يتكلم بطريقة تختلف عن الثرثاريين من حولنا، اكتشفت من خلاله سحر الكلام.

هناك أيضًا من الأصدقاء عدلي عبد السلام، وأحمد رأفت بهجت، ود. شهاب، ومحسن عثمان، في المقابل اهتزت علاقاتي كثيرًا بمن تصورت أنهم أصدقائي، أو تلاميذي، ومنهم أطفال كبروا، وشغلتهم الحياة، أقام لي الأطفال ما يسمى بعيد ميلادي الأخير في الوظيفة يوم ٩ يوليو الماضي، وكان يوما مليئًا بالفرحة، والبهجة، لا زلت أقابل الأطفال كل أسبوع في نادى سينما الأطفال الذي نقيمه في نقابة الصحفيين.

حياتي هي هوايتي، وهي أيضًا عملي، كان نشاطي ملحوظًا في مهرجان الاسكندرية السينمائي، وأيضًا في الأنشطة الموازية للجمعية، أقمنا أنشطة بالتعاون بين الجمعية ونقابة الصحفيين، نجحت التجربة سواء في عروض يوم الأحد للكبار، وصباح السبت للأطفال، وفي مهرجان الاسكندرية توليت مسئولية المطبوعات وكانت أفخم وأهم مطبوعات تم إصدارها في مهرجات سينمائي في مصر، رغم الإمكانات، الكتالوج ملون، وكتاب التكريمات تغلب عليه سمة الثقافة والمعرفة، لكنني لم أذهب إلى المهرجان نفسه، حيث أنني لم أعد أرغب في أن أعيش لعدة أيام وسط مجموعة من البشر، يبتسمون لبعضهم ابتسامات صفراء، ويكن كل منهم للآخر مشاعر أخرى، ولم أندم على عدم ذهابي، أحسست أنني أتصرف "صح"، وأن ما فعلته رفع أسهمي، على الأقل

داخل نفسي، وقد سافرت فيما بعد إلى الاسكندرية، بدعوة من المكتبة، فقضيت ثلاثة أيام في فنادق شيراتون، وفلسطين ومتروبول، في مناسبات أخرى.

شجعتني التجربة أن أقوم بطباعة "موسوعة الأفلام العربية" بشكلها الجديد على نفقتي الخاصة، وذلك بعد أن تعثر نشرها في أكثر من مؤسسة، منها غرفة صناعة السينما التي وعدتني بطبعها، وأيضًا هيئة الاستعلامات، والثقافة الجماهيرية، تعلمت بعضا من حرفية مهنة النشر والطباعة، فدبرت تكاليف الطباعة، وصدرت الموسوعة في طبعة متميزة في جزئين، من ١٢٠٠ صفحة، قطع كبير، ورحت أوزعها بنفسي على الأشخاص والمؤسسات، تمت الكتابة عنها بشكل جيد في الصحف، مما جعلني مغتبطًا، ولدى ما كتب عن الموسوعة في أكثر من صحيفة ومجلة، بينما تعثر نشر كتب أخرى مهمة، تتطلب المزيد من التكاليف، منها "موسوعة ملصقات الأفلام العربية"، كما تعثر نشر كتابي "موسوعة أجمل الكتب"، في هيئة الاستعلامات، وإن كان هذا لم يؤخرني عن العمل الدؤوب، كما تأخر صدور روايتي "الركض فوق الماء"، وصدرت لي طبعة جديدة من رواية "منزل الموت الأكيد"، في مكتبة الأسرة بمناسبة رحيل البير قصيرى..

تعرفت على ناشر لبناني هو عبود فادى، الذي استضفته في بيتي ثلاثة أيام، وهو بصدد طباعة موسوعتين لي، الأولى "جائزة نوبل حتى عام ٢٠٠٩"، والثانية "موسوعة أدباء بداية القرن الواحد والعشرين".

قمت بكتابة العديد من البرامج الإذاعية، لإذاعة قطر، عبر يمن الأخوي اللبنانية، وقد خصصت عائد هذه البرامج لطباعة "موسوعة الأفلام العربية"، كما أنني حصلت على موافقة لمسلسل تليفزيوني من ثلاثين حلقة بعنوان "وحش الجبل"، لكن فجأة تعثرت الإجراءات، بعد أن قمت بتوقيع العقد.

انتهت علاقتي تمامًا بمجلة "العربي الصغير"، بعد أن أرسلت نسخة من كتاب "موسوعة العلماء للأطفال"، إلى رئيس التحرير، وهو الكتاب الذي حصل على جائزة تبسيط العلوم، وقد أرسل مسئول المجلة لي خطابًا، فلم أعتذر إليه، وانقطعت العلاقة، وفي الشهور الأخيرة عادت مجلة "ماجد" للاتصال بي لإعادة إحياء "ماجد فيلم"، وكان تعويضًا سماويًا مشرقًا ومبهجًا، لم تكن أحوال النشر الأخرى في أحسن حالاتها، فالمجلات الثقافية تقلص دورها، واختفى الكثير منها، وازداد ازدحام الكتاب عليها، فصار على المرء أن ينتظر سنوات من أجل النشر في مجلة ما مثل "الفيصل"، لذلك كنت سعيدًا وأنا أكتب في جريدة "القاهرة"، لدرجة أن إحدى المجلات السينمائية قارنت بين ما أكتبه واعتبرتني الناقد الأجود.

تجربتي في جامعة المنيا، بتدريس مواد لها علاقة بالتذوق السينمائي، لأفلام الكارتون كان مميزة للغاية، مشاعر محبة رائعة بيني وبين الطلاب، الذين تغير أسلوبهم في التفكير، وحققوا درجات جيدة جدا.. رغم أن العائد الذي أحصل عليه كان ضعيفًا للغاية، مما دفعني أن

أتوقف عن الذهاب إلى هناك، لكنني لم ألبث ان قررت العودة، كسبت الكثير من المعنويات.

حاول المنسي قنديل مساعدتي في العودة إلى "العربي"، علاقتي به بالغة القوة، سيعود إلى مصر في العام الجديد، ولعله سيسافر إلى كندا مع أسرته، تعلقت كثيرًا بمسكني، ولم أرغب في مغادرته إلى أي مكان آخر.

عاودت الظهور من جديد في التليفزيون، في محطات أرضية وفضائية، قد أظهر أحيانًا على الهواء مرتين في اليوم الواحد، ولم تعد أحوالي الجسمانية تجعلني أوافق على الذهاب كلما طلبني أحد المعدين.

لم أشأ الدخول في معارك ثقافية مع آخرين، حتى أتفرغ لعملي، ولمشاريعي المقبلة، خاصة أن المؤسسة التي أعمل بها لم تعد في أحسن أحوالها، لا إداريا ولا صحفيا.

للعام الثاني على التوالي، لم أعد أذهب كثيرًا إلى دور العرض، شاهدت أكثر من خمسة وأربعين فيلما، كان أجملها فيلم الاوسكار "الحياة الوردية"، وأيضا الفيلم الأمريكي "هوليداي" بطولة كيت وينسلت، وكاميرون دياز، والفيلم الفرنسي "الممثلات"، لا زلت أحب أغنيات فريق "الابا" وشدتني هذا العام أغنيات أديث بياف القديمة، بالإضافة إلى الموسيقى الخفيفة.

آلمني أن يموت شاب صغير مقبل على الحياة، بينما أنا لا زلت على قيد الحياة، مثل أحمد غزالة الشاب الجامعي، وجاءني إحساس أن هناك من يموت نيابة عني.

الخميس ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩

يمر الآن، وينصرم، ثم يموت إلى غير رجعة من أغرب سنوات حياتي، وأكثرهم إثارة للدهشة، لقد ازدادت الصدمات في أغلب شهور السنة، على عدة مستويات، وكثر الأوغاد في حياتي، ورغم ذلك استيقظت من النوم ذات ظهيرة، وأنا في قمة الصدمة، ووجدتني أردد لنفسي بالإنجليزية I'm a strong man، رغم أنني عادة ما أفكر بالفرنسية، وليس بالإنجليزية، ورميت الأحزان من حولي واستكملت مسيرتي، وما زلت في حالة دهشة مم جرى لي على كافة المستويات، وظلت الحياة ضدي حتى الأسابيع الأخيرة من السنة، حيث بدت كأنها تحاول أن تصالحني، فتحركت الأمور نحو الأحسن، وكأنني يجب أن أكتب هنا في آخر العام أنني على ما يرام فيها.

هذا العام، وفي التاسع من يوليو الماضي، بلغت سن الستين، وكان على أن أترك دار الهلال وسط علاقة غير وثيقة مع رئيس مجلس الإدارة، وفوجئت قبل التاريخ بأسبوع أنه تم التجديد لي لمدة عام، بصراحة تقبلت الأمر بكثير من الارتياح، فلا أحب الجلوس في المنزل، كما أنني لا أحتمل أن يكون لي رئيس في أي مكان بالعالم، وقد فشلت محاولات كثيرة في العثور على وظيفة بديلة من أجل الانشغال، خاصة إقامة دار نشر وفشلت بالفعل، وإن كان المشروع على وشك أن يتحقق الآن مع نهاية العام، بالمشاركة مع فنان اقتربت منه كثيرًا هذا العام.

الصدمة الكبرى، جاءت يوم ١٣ مارس الماضي، حين نشرت جريدة "المصري اليوم"، أسماء المرشحين لتولى رئاسة تحرير المجلات والصحف، ورشح اسمى كرئيس لتحرير "الهلال" وفي الصباح جاء زملاء لتهنئتي، لكن عندما تم الإعلان عن أسماء رؤساء التحرير، فإن كل الأسماء المشرحة تم تسكينها عدا اسمى، وكانت مفاجأة، ورغم كل شيء هنأت رئيس التحرير المختار، وطلب منى أن أعود للإشراف على روايات الهلال وأخلصت في أن أجعله يدخل الحقل الثقافي، الذي لم يكن قريبا منه.. ثم..

من ناحية أخرى، وعدني أحد العاملين بشركة إعلامية كبرى أن أكون معهم كمستشار للسينما، وتم إعداد العقد، ثم وجدت نفسي أنتظره حتى الآن.. كما تكرر الأمر نفسه حين وعدني ثلاثة من الشباب، سرقوا موسوعاتي ووضعوها على المواقع أن أكون معهم مستشارا في موقعهم، ثم ما لبثوا أن خذلوني، وذهبوا.

كم امتلأت حياتي بمثل هذا السلوك، الذي يمارسه الأوغاد، أنهم كثيرون، وكم اصطدمت بهم في أماكن عديدة، على المستوى العملي استكملت إصدار كتب جديدة في السلسلة، رغم المتاعب المالية نشرت كتابا عن "محمد عبد الوهاب"، كما استكملت بيع نسخة الموسوعة، فلم أخسر ولم أكسب، وحققت ما أريد كتاب أفيشات السينما المصرية سبب لي المزيد من الإرباك النفسي مع هيئة الكتاب، بعد هيئة قصور الثقافة، ثم ذهب إلى مدبولي، وسوف يصدر بالتأكيد

خلال أسابيع، صدرت لي موسوعتان في الأسبوع الماضي: الأولى عن المخرجين، والثانية عن جائزة نوبل، والناشر هو مدبولي، لكن لم يصدر لي أي كتاب عن مكتبة الأسرة، لأول مرة، ولم أهتم، ولم أطارد الآخرين.

على المستوى العاطفي، فالسن قد جعل أشياء كثيرة تجف، رزقنا الله بأول حفيد، ولد في ٢٨ أبريل رأيته بالأمس للمرة الرابعة، هو الآن في الشهر الثامن، شعرت لأول مرة أنني جد، أنا طفل الأمس البعيد، صرت أبًا، ثم جدًا، ولا زلت في حاجة إلى وقت كي أحس بشكل عميق بهذه الأحاسيس.

كنت دومًا ضد العمل العام، أن أشارك في أنشطة مجلس إدارة، وإعداد مهرجان، وعند أول احتكاك لي بهذا النوع من النشاط، صدمت بشدة، لذا قررت أن أترك مهرجان الاسكندرية لأصحابه، وابتعد عن الجمعية وقدمت استقالتي، واشتريت صفائي وأنا أكتشف أن الذين تصورتهم أساتذة، ما هم سوى صغار، أو سطحيين، وإن كنت لا زلت أقيم أنشطة نادى سينما الأطفال، وهو نشاط أحبه وأشعر أنه يكتمل معي.

تم انتدابي بشكل بالغ الرقي للمرة الثالثة للتدريس في كلية الفنون الجميلة جامعة المنيا، وقامت علاقات مودة عميقة بيني وبين طلابي، وأبليت معهم بشكل حسن، لدرجة أن طالبة مالت نحوي بعد المحاضرة، ودعت لي بالتوفيق لهذا الإخلاص الذي أتعامل به مع الطلاب.

صديقي العزيز، أنور ابراهيم، قدمني منذ أسابيع إلى حسام نصار، الرئيس الجديد للعلاقات الثقافية الخارجية، فلما زارني في البيت، تأثر كثيرًا لوجود هذا الكنز الثقافي المهمل، وحتى الآن، هو معي قلبا وقالبا، وسوف تتحقق مشاريع جديدة معا، من الواضح أن الصداقات تقلصت، فأنا قليل الخروج، وجسمي يؤلمني أكثر، لكنني لا زلت أهوى المشي، وأعاني كثيرا من السكرى، خاصة ذلك التنميل في أطراف قدمي.

افتقدت رسائل أوشرا، لكن أجمل ما حدث أن إذاعة سلطنة عمان، طلبت منى تأليف مسلسل إذاعي، وأرسل لهم الحلقات الثلاث الأولى، ووافقوا عليها بالأمس، وأتمنى إنجاز هذا المشروع مع العام الجديد.

أكتب بانتظام في مجلة "ماجد"، وجريدة "القاهرة"، وفى "المسائية"، بالإضافة إلى كتابات عديدة في صحف ومجلات، لكن الكتب هي نشاطي الأساسي، وأحلم أن أنجز المزيد من الكتب، نعم، ما زلت أحلم.

سافر محمد المنسي إلى كندا في صحبة أسرته، بعد إصابته بمرض خطير، تم شفاءه منه، رأيته مرتين عندما جاء إلى القاهرة، قبل سفره إلى كندا، مهاجرا، وأنا أتواصل معه على النت، هو صديقي الذي خرجت به من السنوات الأخيرة.

بدأت أرى في الظهور في التليفزيون لعبة عبثية أشبه بما كان يفعله سيزيف، وإن كنت قد نجحت من خلال برنامج تليفزيوني باسم "الأفيش يعيش" قدمته فاطمة فؤاد، وعادل معاطى، ونال استحسانا ثم توقف، أرى الناس يقابلونني في الشارع، يتكلمون معي باحترام ومحبة، وأحس بالسعادة لهذا الأمر، فأحس أن للتليفزيون فوائده.

استكملت العمل في موسوعة أعلام مصر، مما أتاح لي السفر إلى الاسكندرية، ست مرات وهي فرصة لأكون مع أسماء مصرية بارزة مثل صلاح فضل، الغزالي حرب، يحيى الجمل، حسن حنفي، محمد الشرنوبي، قدري حفني، أحمد شوقي، وغيرهم، وقد تمكنت من مقابلة دعاء في هذه الأيام.

صارت شرائط واسطوانات الأفلام، والأفلام التي يتم تحميلها هي البديل الأفضل من الذهاب إلى السينما، لم أعد أذهب إلى دور العرض، وشاهدت عددا لا بأس به من الأفلام وصلت إلى ٨٧ فيلما، أغلبهم من السينما الأمريكية، وقد شدني كثيرا فيلم "الحالة الغريبة لبنيامين بوتن"، و"ترنيمة عيد الميلاد"، ثم "آفاتار".

المشكلة أنني لم أسافر خارج مصر منذ عامين، منذ رحلتي إلى فرنسا، ثم سوريا عام ٢٠٠٧، هذا الأمر لا يسعدني، فأنا أحب ركوب الطائرات، ورؤية العالم، لكن تكاليف السفر صارت كبيرة، كما أنه لم تعد هناك دعوات للسفر.

كدت أموت بشكل محقق مرتين هذا العام، مرة عندما كادت سيارة ميكروباص، أن تدهسني، وكان بيني وبين الموت ٤ سم تقريبا، والمرة الثانية حين استيقظت من النوم أشهق بشدة دون أن أحاول معرفة السبب..

لا تزال في العمر بقية.

الجمعة ٣١ ديسمبر ٢٠١٠

ها هو رجل في الواحد والستين يكتب رافضًا أن يكون شيخًا، رغم علامات الزمن التي ظهرت على ملامحه وجسده، خاصة تميل الأطراف مما يجبره أن يمتثل لسنه، وما يأتي به.

مع هذا السن، يجب أن أتوج ما تصرفت على غراره في كل حياتي، بما يتناسب مع كبريائي، ورومانسيتي والابتعاد عن التصرفات الصغيرة، وتصرفات الصغار، فقد قدمت استقالتي أخيرًا من مجلس إدارة جمعية كتاب ونقاد السينما، وظلت معلقة، ولم تقبل رغم أنني توقفت عن ممارسة كل نشاط يخص الجمعية، منها حضور جلسات مجلس الإدارة، كما أننى تركت لجنة التحكيم في مهرجان الإذاعة والتليفزيون، لأنني اكتشفت أن هناك عملًا فنيًا لي داخل المسابقة التي أقوم بالتحكيم فيها، وهو المسلسل الإذاعي العماني "طريق الحرير" الذي سافرت من أجله إلى سلطنة عمان لمدة خمسة أيام، فخرجت من مصر لأول مرة منذ سنوات، وسعدت بهذه الرحلة ولرؤية أوطان أخرى، أجمل وأنظف، والناس أقل عددًا، وأطيب قلبًا، واحترامًا للآخر، إنها أيام قليلة، لكنها بأيام العمر، وتم بث المسلسل في إذاعة عمان في نوفمبر الماضي، هذا المسلسل شارك في مهرجان الإعلام العربي.

أما المرة الثانية في السفر، فقد كانت إلى دبى، حيث التقيت مجددًا بصديقتي الرائعة القديمة منى سعيد، التي جاءت من أبو ظبى،

ورافقتني في رحلة ليوم كامل، انتهت بأن جاءت ابنتها وأسرتها، كان ذلك في إطار مهرجان الخليج السينمائي، وكانت الرحلة أكثر من رائعة، ورأيت من جديد بلادًا أفضل من وطني عشرات المرات، بعيدًا عن النعرة، وهناك اكتسبت صداقات جديدة، وأحسست أن هناك فارقًا في السن بيني وبين أجيال جديدة.

هذا الإحساس بالأنفة، والشبع، والاستغناء، وأحيانًا بالتنميل، جعلني أقل خروجًا إلى الأنشطة الثقافية والحياة العامة، وأقل قبولًا للتصوير في برامج التليفزيون، رغم أن مقالاتي لا تزال تنشر في "القاهرة"، و"ماجد"، وأيضًا في "المسائية"، ومجلة "الرواية" و"الثقافة الجديدة"، لكن إحساسي بوجود الأوغاد في الأماكن التي أذهب إليها، ولا جدوى من حضور أي أنشطة في مهرجانات السينما المحلية، وأيضًا احتفاليات مكتبة الاسكندرية التي يتهافت عليها المثقفون بقوة، جعلني أقطع علاقاتي بأوغاد نجحوا في أن يتصرفوا ضدي، فتركت لهم الجمال كي يعبثوا فيها ما بقى لهم..

ويبقي لي التدريس في جامعة المنيا، قسم الرسوم المتحركة، هناك محبة ملحوظة بين الطلاب وبيني، وذات يوم غضبت، فلمست الحب في توسلاتهم، وبقيت رغم أن المكافأة زهيدة للغاية، وأجد نفسى أستهلك ساعات السفر من أجل أن أقابلهم، حصل الكثيرون على الامتياز، وصار بعضهم أصدقاء لي مثل محمد سعيد الذي تخرج عام ٢٠٠٩.

ويبقى أيضًا نادى سينما الأطفال الذي يتم كل سبت في نقابة الصحفيين، وفيه التقى بالجديد والقديم من الأصدقاء، ومنهم عبير وفاطمة وهويدا، المشاعر الجميلة الجديدة أن تكون جدًا لطفل ذكى، يقفز ويتعلم الأشياء لأول مرة، هو حفيدي يوسف محمد. الذي أزوره بالإسكندرية من وقت لآخر، والذي يلعب حولي الآن الكرة في شقتي، لقد جاء إلى هنا، للمرة الثانية بعد عوده أمه من كندا لقضاء بضعة أشهر في مصر، وتركت زوجها هناك يبحث عن فرصة عمل، بدا لي أنها لم تعد تحتمل المعيشة في الغربة بعيدًا عن جدتها، وقد صدمتني هذه العودة رغم قسوة سفرها، حيث أنني أعرف أن حياتها في كندا ستكون مختلفة تمامًا، وأفضل، لكنها لا تحب الغربة.

ساعدتني ظروف حياتي، وميلي إلى الوحدة أن أكون كاتبًا، فأنا إنسان يجد نفسه في الكتابة، وأشعر بالضياع حين تخلو حياتي من مشروع جديد، لذا ففي عام ٢٠١٠، مثلما كنت دومًا، كنت في حالة تنفيذ مشروع أجتهد لاستكمال موسوعة "الممثل"، التي تتضخم يومًا وراء آخر، وقد نشرت لي كتب متميزة خلال هذا العام، ابتداء من "قدوتي العلمية" بجزئية، إلى موسوعة "الأفيشات"، إلى "أفلام وأفلام"، و"الأدب العربي المكتوب بالفرنسية"، والانتهاء من تأليف كتاب نجيب محفوظ بين الفيلم والرواية، الذي أتمنى أن ينشر في العام الجديد، وقد بعت قرابة عشرين كتابًا للأطفال إلى سعدون بطيخ في ليبيا، أتمنى نشرها في العام الجديد، وفي انتظار أن تنشر لي مع العام الجديد رواية "أناقة القنفذ" المترجمة من الفرنسية، وكتاب "من الأدب النسائي"، في سلسلة

اقرأ، وكان قد نشر لي في مهرجان الإسكندرية كتاب عن "سينما تاء التأنيث"، كما أنتظر نشر موسوعة الحضارات المبسطة.

بالإضافة إلى كتابة برنامج إذاعي يومي لمدة ثلاثة شهور بعنوان "أحلامنا" والكثير من الحلقات لإذاعة قطر من خلال يمن الأخوي، التي تعمل كوسيط، وهي لبنانية أعمل معها للعام السادس على التوالي.

الكتابة هي دوائي الذي أتعاطاه، إنها تتناسب مع عزلتي التي اخترتها لنفسي منذ شبابي المبكر، وقد زادت مع إحساسي بوغدنة الآخرين، وبالإحساس بالاستغناء الذي يزداد يومًا وراء يومً وأنا أرى العبث من حولي يزداد، وأشخاص غير مؤهلين يتولون مناصب ثقافية وصحفية ويدلون في هذه الأماكن بدلوهم البديع.

تم تجديد العمل بدار الهلال لمدة عام ثان، وسط استعدادي للمغادرة، فأنا لا أحب أن أطلب شيئًا من أحد، سواء كان لنفسي أو للآخرين، وقد جعلني أشعر بارتياح، وتأجل اهتمامي بمشروع للنشر لفترة قادمة، وقد عانيت في إصدارات السلسلة التي أتولاها، بسبب ظروف مالية وإدارية تمر بها المؤسسة التي لم تعد في أحسن حالاتها، وحاولت عمل إصدارات جديدة على نفقة المؤلفين، وسط أوامر إدارية بعدم طبع كتب جديدة، وتوزيع القديم.

أصدقائي كانوا عاطف عدلي، وأنور إبراهيم، وعدلي عبد السلام، ومحمد محمد قاسم، كما أشعر بالسعادة لصداقاتي مع الأطفال الأبرياء،

تحسنت أمورى المالية، عندما تمكنت من بيع النسخ المهداة لي من كتبي من مكتبة مدبولي، فأنا لا أتقاضى أجرًا عن كتبي، بما في ذلك العلاقات الثقافية الخارجية مقابل إصدار كتابين عن "أقلام وأقلام" و"الأدب العربي المكتوب بالفرنسية" إلا أنني سعيد حين وافق حسام نصار على إصدار الجزء الثاني من كتاب "أقلام وأقلام".

ما زال مشروع "موسوعة إعلام مصر" بمكتبة الاسكندرية عملًا مثمرًا، وقد أنجزت فيه الكثير، واكتشفت مجددًا كم أن علاقات الناس تربطها المصالح في المقام الأول، وصدمت في مثقفين كبار رأيتهم يتهافتون على المال، أشياء تجعل المرء يتقزز، وأمام ما يحدث من حولي، أصبح غير قادر على مواجهة الآخرين.

أشاهد الأفلام كثيرًا خاصة من أجل كتابة "ماجد فيلم"، وقد شاهدت حوالى ستين فيلمًا ليس من بينها فيلم يمكن أن نقول إنه الأجمل، والغريب أن أغلب ما شاهدته من أفلام التحريك، وإن كان الفيلم الذي أعجبني هو "قلب مجنون" الأمريكي، و"اسمى خان" الهندي، الذي عرضته في نقابة الصحفيين.

منحت جزءًا من أرشيفي الضخم الذي كونته طوال سنوات إلى مكتبة الكتب النادرة بالجامعة الأمريكية، ومن المتوقع أن تحصل المكتبة على بقية الأرشيف في العام الجديد.

اشتركت في إحدى الشركات، كلا من "موسوعة الأفلام"، وموسوعة "الأفيش" الكترونيًا، وقد أعطاني هذا إحساسًا بالتعويض عن مصاريف باهظة دفعتها لإعداد هذه الموسوعات، أما المدهش فهو أنني لم أشارك في كتابة عن المكرمين في مهرجان القاهرة، عقابًا لي لأنني في العام الماضي حين كتبت عن تكريم نادية الجندي لم أشأ أن تكون كتاباتي مزيفة.

أعددت للتليفزيون هذا العام حلقات برنامج "نجوم وأغلفة"، عن وجود نجوم السينما على المجلات، من إخراج آمال المرسى، وقد تعثر إنتاج خمسة عشر فيلمًا عن تاريخ السينما المصرية، والأمر لا يزال معطلًا حتى الآن.

ويبدو أنه لا يزال في العمر أقل من البقية.

السبت ٩ يوليو ٢٠١١

نظرت حولي، وتساءلت أين أيام المجد في هذا المكان، وكيف وصل الحال هنا إلى المستوى الذي نراه عليه، أنا اليوم قد بلغت الثانية والستين؟.

ودون أي تردد كتبت خطاب شكر على استضافتي في هذا المكان، تركته في مكتب المسئول الكبير، وغادرت المكان إلى الأبد، غير مأسوف على ما فعلته.

في بداية كل عام، أتعمد أن يكون كل اسم أول فيلم أراه له معنى متفاءل، وذلك حتى يمر العام كله مرتبطًا بالفرحة والإنجاز، ودائمًا ما يكون الفيلم الأول الذي أسجله في دفتر الأفلام التي أشاهدها تباعًا هو اسم يشرح الصدر، إلا أن الفيلم الذي عرضته إحدى القنوات الفضائية قد فرض نفسه على الأحداث، أنه الطبعة الأخيرة من فيلم "ثورة على السفينة بونتى" بطولة ميل جيبسون، كتبت الاسم وأنا أعرف تمامًا أنه لن تكون هناك ثورة، فالأمن المركزي الذي ينتشر في شوارع المدن منذ سنوات، عند أى بادرة اعتراض، كفيل أن يحطم عظام المعارضين.. وبدأ العام بعد عشرين دقيقة مليئًا بالدماء عندما انفجرت كنيسة بالإسكندرية في أولى دقائق العام الجديد.

وقامت ثورة الشباب ابتداء من ٢٥ يناير، حدث لا يمكن للعقل أن يصدق أنه يحدث في دولة بوليسية كرست كل مواردها لحماية

الحاكم وأسرته، وكرس هذا الحاكم وزوجته كل الوقت والجهد من أجل توصيل الابن جمال للمنصب الأعلي ، وقد بدت الدولة، خاصة رئيس الدولة، مع انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر الماضي كأنها صارت "مخوخة" تمامًا، ومهدت الأحداث لقيام الثورة، لكن أنا من الذين كانوا يرون أنه من العسير تحطيم أيا من جدران هذه الدولة البوليسية.

ولن أدعى البطولة بأنني نزلت إلى ميدان التحرير، لكنني كتبت مقالات كثيرة، سبب لي بعضها المتاعب، عن السلبيات الشديدة التي حدثت في زمن الخصخصة، مثل بيع شركة الغزل الأهلية بالإسكندرية، وأيضًا مسألة الرشاوى، التي كانت تقدم للصحفيين جميعًا، وأنا منهم في مواسم انتخابات النقابة، كما كتبت عن التغييرات السيئة في التيارات الصحفية منذ عام ٢٠٠٢ وحتى الآن، وانهيار المؤسسات، حدث ذلك من خلال عمود أكتبه أسبوعيًا في جريدة المسائية، هو عمودا أعبر فيه عن رأيي فيما يحدث على المستوى الاجتماعي والثقافي، وقد جعلت وزارة الثقافة هي منبع كتاباتي، مثل إنتاج فيلم "المسافر" بـ ٢٢ مليون جنيه، وفشله في المهرجانات وأيضًا تأخر عرضه، وأيضًا تحويل وزارة الثقافة إلى وزارة للمهرجانات والمؤتمرات الثقافية، أي أن نقود الوزارة تذهب إلى وزارة السياحة، من خلال تكاليف الطيران والفنادق والإقامة، وقد سارت الوزارة على هذا المنهاج منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن ما بعد الثورة.

أقول أنني لن أدعى أنني ذهبت إلى ميدان التحرير، وإن كنت أعرف مثقفين ساروا وراء سوزان مبارك وزوجها أمام عيني، ثم ألفوا كتبا عن عظمة الثورة، وكتبوا المقالات، وفعلوا ذلك بحرفية.

أنا لما أذهب إلى أي تجمعات إنسانية، ولم أسع إلى أداء مراسم الحج أو العمرة لسبب بسيط، أنني في عام ١٩٥٨، قد خرجت مع أصدقاء الطفولة لنستقبل جمال عبد الناصر، ووجدت جسدي الصغير تدفعه جموع الذين جاءوا لتحية عبد الناصر، وتوقعني تحت أقدامها، يومها رأيت أول موت في حياتي، ولا أعرف كيف تم إنقاذي، وأصابتني عقدة تجعلني أشعر بالاختناق كلما وجدت نفسي في ازدحام بسيط، مثل محطات المترو أو القطارات، أو بعض الأسواق.

لذا، فقد تابعت ما يحدث وأنا في بيتي، كنت وحدى أغلب الوقت، وقد شاركتني في هذه الأمسيات شاعرة شابة، كنا نعلق على ما نراه من خلال هاتف يظل معلقًا بيننا طوال ساعات، في بعض الأحيان أشعر أن بعضهم سوف يحطم باب شقتي كي يقتلنا، أو يسرقني، إلى أن تم عزل مبارك من الحكم، فشعرت بالامتنان الشديد، أن نظامًا بأكمله قد انهار، يتمثل في أحمد عز، وجمال مبارك، وأسماء كثيرة، لم تكن بيني وبينها أي علاقة مباشرة، إلا أنني رأيت زملائي الصحفيين ينقلبون في كتاباتهم من النقيض إلى النقيض، وإن كان بعضهم قد ظل على موقفه عن تأييد النظام السابق.

وبعد أسبوعين من البقاء في المنزل وحيدًا عدنا إلى العمل، عقب تنحى مبارك، وبدت البلاد أشبه بكيان متصدع، يجب بنائه من جديد، وظهرت عناوين مختلفة في الصحف والحياة، وبرزت أسماء كانت وراء الجدران، وبدا أن ما يحدث أكثر اتساعا من أن يحتمله العقل، صحيح أن الثورة سليمة، وأن الجيش لعب دورًا مهمًا في أن تظل كذلك، لكن هذه التغييرات الحادة التي لا ترضى أحدًا جعلنا نتساءل إلى أين، وإلى متى؟ وحتى اليوم لا أحد يعرف، ماذا سيكون عليه الغد، ومن هنا تأتى الحيرة.

رغم الهم العام الذي أحمله على رأسي، فإنني منذ عام ١٩٦٦ لم أعمل بالسياسية، منذ أن تمنيت أن أصبر واحدًا من الشباب الاشتراكي، لأنني رأيتهم يمنحون التلاميذ بدل جاهزة جميلة، لكنني عندما حضرت أول اجتماع لهؤلاء الشباب، هربت من الباب الخلفي، وابتعدت دوما عن السياسة وأهلها، وعن الذين يتعاملون مع أي أيديولوجية، وخاصة الذين وضعوا العقيدة في إطار أيديولوجي، ورغم أنني رأيت في السنوات الأخيرة، كيف صعد زملاء أصغر منى سنًا، انضموا إلى لجنة السياسات، وحصلوا على أعلى المناصب في الوزارات والصحف، فإنني ما زلت مدينًا بأفكاري إلى رجال فكر من طراز كامي، وسارتر، وبوذا، وعمر الخيام، وغيرهم، لذا فقد كنت أختار الجانب الذي تعلمته منهم، ومن يرى مصائر بعض أعضاء لجنة السياسات سيعرف أنني اتخذت الموقف الأفضل، ورغم ذلك فإن هناك الكثيرين من رؤساء هذه اللجنة، موجودون في مناصبهم، ولم يلتفت إليهم أحد.. حتى كتابة هذه السطور، وقد

ساعد هذا في أن أبتعد أكثر عن السياسة، وأنا أرى أكثر من تيار الآن يحاول القفز على البلاد كي يستولى عليها.

هذه الأحداث أوقفت أشياء كثيرة، وغيرت أيضًا أمورًا لم يكن لأحد أن يتصور أنها ستتغير، وقد تركت أثرها في أمورى الشخصية، وككاتب أولها أن أغلب الكتب التي كنت أنتظر صدورها قد توقفت، بعد أن تم إلغاء معرض الكتاب الدولي، وتأخر صدور بعض الكتب، وإن كانت كتب أخرى، قد ظهرت فيما بعد أشهر مثل كتاب "نجيب محفوظ بين الفيلم والرواية"، ومثل كتاب "إبداع المرأة"، أما ما حدث في وزارة الثقافة، فقد أجل ظهور كتب أخرى منها الجزء الثاني من "أقلام وأفلام"، الذي يتناول بالمقارنة مائة فيلم مصري مقتبس من روايات ونصوص أدبية عالمية، كما تأخر صدور "موسوعة الحضارات المبسطة"، لأسباب خاصة بالطباعة والتوزيع.

أول صدمة أثناء الثورة هو أنني اختلفت مع صديقي الذي شاركني دار النشر، وقررت أن أنفصل عنه تمامًا وألا أكرر التجربة، لكنني أحسست أنني في حاجة أن يكون لي مكتب خاص أتردد عليه، وذلك حتى لا ألجأ إلى أحد أعمل تحت رئاسته، وقد شجعني العثور على مثل هذا المكتب أن أسرع بكتابة خطاب الشكر لأنهي علاقتي بمؤسسة ظللت أعمل بها لأكثر من ربع قرن، وبالفعل عملت في النشر بالمشاركة وأصدرت كتب ذات شكل مختلف عن الكتب التقليدية. بالأمس

وجدت نفسي أتصل هاتفيًا بمصطفى نبيل، وقلت له: فقط أردت أن أسمع صوتك.

صارت كتاباتي في جريدة "القاهرة" متقطعة، ورغم أن نجوم ٢٠١١ في مصر هم المحللون السياسيون، في كل المحطات والصحف، إلا أن أبواب مجلة "العربي"، و"العربى الصغير"، قد فتحت لي من جديد، من خلال صديقي أشرف أبو اليزيد، كما ساعدتني كتاباتي في مجلة "ماجد"، على أن شاهد المزيد من الأفلام، واشتركت في ندوة عن سينما نجيب محفوظ حضرها عزت العلايلي، وبدأت مشاريعي الجديدة قليلة، فقررت أن أرصد علاقة المسلمين بالأقباط في الأفلام المصرية، كما شغلت وقتي بموسوعة الممثل، وهو مشروع فردي أكثر من ضخم، أما العام الدراسي في جامعة المنيا فقد كان قصيرًا للغاية، خاصة الفصل الثاني، وبدا ماسخًا وسط ما يحدث من حولنا.

لا تزال الأحداث في صيرورة، ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث غدًا ولا في السنوات المقبلة، لذا فإنني أحس بارتياح أن دعاء وابنها سافرا إلى كندا لتلحق بزوجها لفترة طويلة، وهكذا اطمأننت أن ابنتي تعيش في وسط ثقافي أحب أن أنتمى إليها.

سنوات السكري

كان من المهم أن استوعب الدرس جيدا ..

إنه درس المرض مع التقدم في السن ، وقد كان خالي محمد بدوي ماثلا دائما أمامي وهو الذي عاني الكثير من مرض السكري، وكم زرناه من عملية الي أخري، وعندما رأيت تلك البثرة الأولي التي انبثقت في قدمي اليسري أدركت للوهلة الأولي انني سوف أمر بالمراجل نفسها ، وعز علي أن أكون الشخص الراكض دوما الذي اشتهر بأنه يهرول أكثر مافعل أي شئ في حياته ، ولقد اسلمت قدمي للطبيب في مستشفي المنيرة ، ولم أنتبه الي خطورة الجملة التي قالتها الممرضة" انها الحمرة" ، وذلك لأنني شعرت بارتياح حقيقي الي الطبيبة وأنا اتكلم معها ، وقد عرفت أنها سألت عني بعد ذلك ، لكنني لم أطأ هذا المكان قط بعد ذلك ، والسبب أنه سرعان ما صرت مريضا واجريت لي أول عملية فدم سكري وباعتبار أن هذا الاسم الجديد في حياتي يعني أشياء كثيرة ، منها أن علي أن اتوقف تماما عن استكمال مشاريعي في النشر التي أردت بها أن أحقق وجودا بعد المعاش، وصار كل الهم هو اجراء التغيرات علي الجرح ، وضع قدمي علي شئ عال ، ولم يعد لي الاختيار، أن امشي علي قدم طلب مني أن اريحها والا انهكها

وتغير ايقاع حياتي مع ماريناسب التحول الجديد، لم يعد باب المنزل الذي أسكنه يراني افتح في السابعة إلا ربع صباحا لاخترق

القاهرة ، واذهب الي المكتب، لاكون أول من يستمع الي البرنامج الموسيقي، وان اقرأ الفاتحة يوميا علي كافة من عرفتهم ، وسبقوني إلى هناك: أمي ،أبي، أختي فتحية ، جدي أحمد بدوي. جدتي مريم دبدوب، أعمامي ، أخوالي، أصدقائي، وصرت الأن أفتقد هذا التقليد الجميل ، باعتبار أنه لم تعد هناك ضرورة للاستيقاظ المبكر، وصرت بالتقادم مثل أمي في شهورها الأخيرة ، تنام بشكل متقطع ، ولانعرف متى هي نائمة ، ولا متي استيقظت ،

وارتبكت الأمور ، وبدأت الأحبال تنقطع مع الأشياء، المؤسسات التي انشر فيها ، والمجلات ، والسفر خارج مصر، والكتب، والأفلام ، لم أفقد شهيتي تجاه شئ، لكنني بدأت افقد القدرة علي فعل امور كانت مهمة ، لعل أبرزها هي تصفح الملفات ، وعمل إضافات وتحديث، وعندما سألني طبيب أشعة القلب في المرة الثانية التي دخلت فيها المستشفي من العملية رقم اثنين باسم القدم السكري:" هل تتعب عندما تبذل مجهودا؟

قلت بكل بساطة: لم أختبر نفسي

صار علي أن أبحث عن الراحة ، وان أجلس أمام الكومبيوتر، أكتشف كنوز اليوتيوب في الأغاني والأفلام ، وبدأت الدائرة تضيق، زملائي الأكبر مني سنا أصابتهم الشيخوخة ، وجلسوا في البيوت و منهم أحمد رأفت بهجت ، وصديقي العزيز عدلي عبد السلام يصيبه المرض

فلا أستطيع زيارته ، نتبادل المواجع في الهاتف حتى اذا مات وجدت نفسي غير قادرا علي الذهاب الي العزاء، وكل ماأفعله هو تعزية ابن أحيه في الهاتف، بالطبع لم يكن أحدنا يصدق أن هذا يمكن أن يحدث، ونحن الاثنان ذهبنا معا فقط إلى دمنهور في صحبة جثمان الأستاذ محمد صدقي لنودعه هناك ونحضر العزاء، ونعود في الليل، هنا تماثلت صورة خالي محمد أمام عيني..

وبدأ الاصدقاء يرحلون ، انه سن الرحيل ، علي كل منا أن ينتظر دوره' وليس هناك أحد يعرف متي الحين ، وكم انتابني الاحساس بالرضاء ، وأنني رغم كل هذا فأنا افضل من الكثيرين ، مازلت أتحرك علي قدمي حتي وان كان ذلك في داخل الشقة ، و ورغم احساسي أنني في مرحلة حساسة ، إلا أن قصة ما ولدت من حولي، وقفت منذ اللحظة الأولى أمام الأمر رافضا شكل القصة ، وإن كنت أحس بأن الأمر على مايرام ، وأنني لم افقد شهيتي للحياة ، وفي الكثير من الأحيان كنت أتصرف بمنطقي الدائم فلا لعب علي مشاعر أحد ، ومن المهم الاحتفاظ بالحواجز الزجاجية بيني وبين أشخاص قد تربطهم بي مشاعر عاطفية ، وكان العدد لابأس به، ولم أكن أعرف متى تكون آخر قصة عاطفية أعيشها طالما أنني اتنفس، لكنني افتقدت شيئا مهما وهي القدرة على السفر، وعندما ذهبت إلى دبي في نهاية عام ٢٠١٦وكنت أتحرك في المطارات عن طريق كرسي متحرك، وشاركت في التكريم الذي أعد لي دون أن أزور أيا من المحلات لشراء شئ، وكان عندي الاحساس أنها

المرة الأخيرة لركوب طائرة ، ومن يعلم ، فهذه الأشياءمحببة كثيرة لدي ، التجول في المطارات ، ومشاهدة الجميلات من كافة الأعراق ..

في المرض بالنسبة لشخص مثلي معاناة كبيرة ، بالطبع لأنني لاأحب الانتظار في المستشفيات، لذا لم أذهب حتى الآن الى التأمين الصحي، وكنت أدفع أثمان الأدوية مفضلا ذلك مهما كانت التكلفة ، وقد بدأت احترق بأسعار الأدوية التي ارتفعت بشكل جنوني، وبدأت مصادري المالية في التقلص بشكل ملحوظ ، وصار أكثر مايخيفني أن أعود إلى وضعي القديم قبل أن اكتب في الصحف العربية ، وأعرف طعم العملة الصعبة ، وصار على أن ابحث عن فرص للنشر في ظروف بالغة الصعوبة على كافة المستويات، وبدأت المجلات تتقلص، وكان آخر تعاملي مع الاذاعة ككاتب دراما للأطفال في عام ٢٠١٧وتقلصت المطبوعات الورقية..

نعم لقد تغيرت الأمور تماما ، ليس فقط علي المستوى الشخصي بل علي المستوى العام ، والوطن ,، ورحت أرقب مايجري فيما يشبه العجز ، وكانت المشكلة أنني لاأحتمل الرقاد و ولاأطيق أن أكون بلا عمل، كما أن الكاتب سرعان مايتم نسيانه لو خرج من الدائرة ، وعليه فكان يجب أن أكتب، وألا اتوقف عن الكتابة ، وهنا بدأت الأمور تعتدل وبدأت أقبل بسهولة شديدة ماكنت أتعامل معه بالكثير من التشدد من قبل ، ومنها مثلا التعامل مع النشر الاليكتروني، فكم رأيت أن مشاريعة وقتية قصيرة العمر. وظللت أرفض التعامل إلا بما يسمي بجدية

التعامل ، ثم صار علي أن أقبل بمنطق مكتبة مدبولي، الذي نشر لي العديد من الكتب والموسوعات دون أن أحصل على مليم ، وقبلت الحصول علي نسخ ، وعليه فعندما اتصل بي الصديق خالد غازي وطلب مقابلتي، ترددت في البداية ، ثم تعاملت بحذر شديد ، ثم أقبلت على التجربة بحماس كان من حصادها إعادة طباعة بعض كتبي القديمة ورقيا بشكل محدود ، وخاصة رواياتي الأولى التي ضاعت مني، وعلى رأسها " لماذا" و" الثروة" وأيضا الروايات الثلاث التي اطلقت عليها اسم :" ثلاثية الحنين" وهي: "وقائع سنوات الصبا"، و" زمن عبد الحليم حافظ"،و" أيام الشارلستون" بالاضافة إلى كتب تعسر نشرها لأسباب خارجة عن ارادتي منها " أفلام مثيرة للجدل" التي وعدني بنشره محمد الشاذلي في الأهرام ثم تخلى عن وعده ، وسرعان ما توقف المشروع نفسه، وأيضا كتاب" الاسلام والمسلمون في الأدب العالمي" الذي كان من المفروض أن ينشر في دار المعارف، وأيضا هذا الكتاب المسمى" والسنوات أيضا تموت" الذي اعتبره بمثابة وقائع للسنوات التي عشتها ، وقد كنت أكتب عن العام وهو ينصرم ، ويكون قد مات بكل مابه من أحداث ، وكانت الاسطوانة الأليكترونية قد ضاعت فأعدنا كتابتها ، والحقيقة أنني أعرف خالد منذ بداياته ، وقد نجح في مشاريعه الصحفية ، وقد انقطعنا عن التواصل فلما عاودني ، صارت هناك علاقة محترمة بيننا ، وزارني مع أسرته خاصة ابنه عمر الذي عاملته بكل الاعجاب مثل الكثير من الصغار الذين مروا بحياتي، كما تولدت صداقة مع زوجته الدكتورة لنا عبد الرحمن التي رأيت فيها نموذجا مثاليا كأديبة موهوبة،

وأم، وصحفية ، وزوجة ، وقد قرأت بعض أعمالها ، ومنعتني الشبكية من الاستمتاع بتكملة القراءة .

في عام ٢٠١٧، عدت مجددا للكتابة في مجلة "العربي" الكويتية التي أحمل لها كل الاعجاب والمودة ، وأيضا في مجلة الهلال بعد توقف استمر ثلاث سنوات إبان رئيس التحرير الأسبق، وهو صديق لي فضل التعامل معي بما رأيته أنه قام برفدي من عالمي الذي أحبه ، كما انقطعت لأسباب عديدة عن الكتابة في جريدة القاهرة ، وبالنسبة لمجلات وزارة الثقافة فقد أصابتها مذابح دون أي اعتراض، وقد كنت أكتب في أغلبها بشكل منتظم ، ومنها"المجلة" و"أبيض واسود" و"الخيال" وغيرها، وقد قمت بتجميع مقالاتي المنشورة فيي هذه المجلة عن السينما والفن التشكيلي في كتاب نشر عام ٢٠١٧ باسم" اللوحة والشاشة" في هيئة الكتاب..

استطعت أن أملأ وقتي، واستطعت نشر الكتاب نفسه في أكثر من مكان، وسط متاعب النشر، وتعثر بعض دور النشر، تمكنت من نشر موسوعة الافلام العربية إصدار ٢٠١٨ في لندن ، وكان الجزء الأول منها قد صدر في وقت مقارب بعد ثلاث سنوات من الانتظار والترقب، والقلق.

هذه هي حياتي التي احبها ، الكتابة ، والموسيقي، والبحث عن ناشر ،موضوعات ، وتوقف التعاون مع الاذاعة بعد ثلاثين عام من العمل

المتواصل ، فقد خرجت المخرجات اللاتي كتبت لهن إلى المعاش، ولم يتم تبديلهن أو ايجاد بدائل، وعليه فإن الأمور انكمشت معنويا وماليا ، وبدأت أعاني من أسعار الدواء الضروري، مع انهيار كل شئ من حولي، وصرت أخاف من الغد وساعدني هذا علي البحث عن أماكن جديدة للكتابة ..

الحياة تضيق بجدرانها عندما نصير أكبر سنا ، ويخف من حولك من كانوا معك لأسباب متباينة ، منها عدم الخروج، أو المرض، وقد عز علي كثيرا أن أقرب أصدقائي قلل من زياراته بعد أن دخلت المستشفي، وصرت شبه عاجز ، ولما سافر إلى كندا قبل عامين لم يعد يتواصل معي بالمرة كأننا في حالة خصام ..

في هذه الفترة رحل محمد فاسم ، ابن عم لي ، الذي عاش في لندن قرابة العشرين عاما ثم عاد إلى الأسكندرية وحاول التواصل مع أهله وتلاقينا ، كان يعاني من مرض القلب، وقد حقق ثروات جيدة ، وكان معي بالغ البساطة ، والمحبة ، كنا متفاهمين بقوة ، نتكلم هاتقيا لأوقات طويلة ، وقد عز علي أنني لم اتمكن من حضور جنازته ، تكرر الأمر نفسه الذي حدث بيني وبين زكرياخليل عديلي الذي كنت متفاهما معه كثيرا ، ولم نختلف معا أبدا ، لقد أصابه مرض سريع ، ومات دون أن أتمكن من زيارته ، واتكأت على مرضي ونزلت الأسكندرية ليلة وفاته فلم أحضر جنازنه ،وعدت إلى القاهرة في صباح اليوم التالي.

علمني مرض السكري أن الأصدقاء سيقل إطارهم بشكل ملحوظ، وأنا الذي لم تكن لي شلة التقيها علي فترات متقاربة، أو مقهي نتواعد عندها : كما أنني أنفر بشكل ملحوظ من حضور الندوات واللقاءات الثقافية ، مدركا تماما أنها لن تضيف لي، وغير مجدية ، لكنني في زمن الفيس تأكدت أن الرابحين هم الذين يملأون علينا الصفحات بتواجدهم الهش، وعلية فقد صار اصدقائي أقل عددا ..

عرفت بعد وفاة أحد الذين كانوا يتربصون لي دوما أنني امتلك من القوة الخارقة أن حققت ماوصلت اليه ككاتب، وهو صاحب المناصب المتعددة ، لم يكن له من شاغل سوى التشهير بي وتمكنت من الافلات من شروره رغم كل مكائده، ولم أحتمل نفسي، وأنا نتظر الدخول اليه في مكتبه وقلت لسكرتيرته : هو وكيل وزارة لاأكثر ، مستعينا بما قاله بيتهوفن وهو يتناول الطعام مع الأمراء، وكانوا أن منحوه ملعقة أقل من الامراء، أن الدنيا مليئة بالأمراء، وليس بها سوى بيتهوفن واحد ..

ولاحظت أن دائرتي تضيق، ومطالبي لم تنكمش، وأنني في مجال الكتابة أمتلك طموحا طاغيا، ولم يعد يبهجني أن يصدر لي كتاب كل أسبوع أو شهر ، ربما أقل من هذا ، ولم يعد الأصدقاء يزورنني، كثيرا أو أن نلتقي، ومنهم من له مكانة كبيرة مثل الدكتور أنور ابراهيم، ويوسف القعيد، بالاضافة الي اللواء فاروق، وهو كانب موهوب جدا وجرئ بما يستحق أن تكون له مكانته ، لكن السن لم يكتب له مايستحق .

في هذا الإطار فإن علاقاتي بأخي مصطفي هي في احسن الحالات دوما بالاضافة إلى هبة ، ورانيا ابنتي أختي نعمة..

علي ناحية أخري فقد صار الفيس بوك هو الوسيلة الأساسية للتواصل مع العالم ، لم تعجبني تجربة العودة إلى لجنة ثقافة الطفل، ورغم نجاح عودة نادي سينما الطفل ، فان التجربة أيضا لم تكتمل. في حياتي الخاصة صارت علاقتي بأرشيفي تحتاج إلى قوة خاصة كنت امتلكها فيما قبل للاضافة ، والتجديد ، وصارت عبئا علي، واحتفظت بدفاتر الأفلام ، ورفضت عرضا كبيرا لبيعها في الخليج أحسست أنني سوف أنفق المال ، لكن هذه الكنوز يجب أن تظل معي حتى اللحظة الأخيرة ، وفي هذا الصدد بدأ مواسم لتكريمي ابتداء من دبي، إلى جمعية الفيلم إلى كلية الزراعة جامعة الأسكندرية بمناسبة اليوبيل الماسي،ورغم أنني طلبت من أخي مصطفي أن يحضر التكريم، فإنني كت بالغ السعادة ، ورحت أفكر في الفارق بين الشاب الفقير جدا الذي تخرج في الكلية عام ١٩٧٢، وبين الكاتب الذي يتم تكريمه مع أسماء بارزة منها الممثل الراحل محمود عبد العزيز، والمخرج محمد فاضل .

لايمكن لأب مثلي سوي أن يحمد الله كثيرا أن وهبني ابنة مثل دعاء ،لاأنسى أنني اتصلت بها هاتفيا من القاهرة يوم أن انتهت من سن المراهقة، وشكرتها لأنها مرت بهذه المرحلة ذون أن تسبب لي أي معاناة، على الأقل، لقد مر كل شئ بسلاسة وسلام بالنسبة لها، في التعليم، ثم في الزواج، الهجرة والحصول علي الجنسية، والتربية، كنت

بالغ السعادة يوم أن ودعتها لتسافر إلى زوجها في كندا ، فهي تعيش في وطن طارد للمواهب، والدليل أن زوجها لم يأخذ حقه في الكلية، هذه الكلية التي تعين أبناء الأساتذة الأقل موهبة ، وعلى عينك ياتاجر، ومن حق الدول المحترمة ألا تعترف بالشهادات العليا التي يحصلون عليها في مثل بلادنا وقد اجتهد محمد عاطف بقوة وحصل علي المعادلة بتفوق مقترضا الكثير من المال، وما لبث أن حصل على عمل ، وتجاوز المرحلة الحرجة بدأت تنعكس علي أسرته ، وبدت دعاء كأنها لانميل الي العيش بعيدا عن وطنها ، تعلن عن رغبتها في الرجوع ، لكنني كنت أحدثها أن الحياة التي تعيشها يتمناها الملايين من الشباب، وبدا ذلك واضحا على أسلوب الحياة التي يعيشها يوسف وليلي، وصرت اغبط نفسي أن لي مثل هذه الآسرة ، وتمنيت لو طال بي العمر لتكون أسرة ابنتي ظلا لي واشعاعا مضيئا ، وأن أكون هناك ، لو كان بيدي لسافرت إلى هناك لكن ، إنها دودة الأدب واللغة العربية ، وفي ذاكرتي المصائر التي آل إليها الكثير من الأدباء الذين سافروا إلى ابنائهم ، ومنهم توفيق حنا قبل عشرين عاما وبدأت ابنتي تهتم بنفسها لتعلم اللغة الفرنسية كما ينبغي ، وكما تمنيت دوما لنفسي ولها ، صار التعويض الواضح هو أن تأتي مع الأسرة كل صيف لتكون معنا قرابة الشهر والنصف ، فيصير الجميع بالغ السعادة، ونذهب الي الاسكندرية التي لم أعد اشتاق اليها كثيرا و لقد تغيرت أشكال الاشياء في عائلة زوجتي بعد وفاة زكريا وحماتي العظيمة الحاجة عايدة قطيط ، وهاجرت رشا مع اسرتها إلى كندا ، وكريم الي النرويج، وصارت ايات في حالة عدم توازن بدون زوجها ،

وكم شعرت بالرثاء لها ، في الوقت الذي اكتسبت فيه شكلا جديدا من المحبة مع ليلي ويوسف، الصبي في التاسعة، الذي يتصرف معي بمودة وحنان شديدين ما جعلني في منتهى الرضاء

كان يوم تكريمي في جمعية الفيلم حدثا مهما ، في فبراير ٢٠١٧وقد جاء في حيثيات التكريم ، أنه بسبب مؤلفاتي في مجال السينما، ولهذا السبب خرجت من المنزل، عاقدا النية ألا اصعد إلى المنصة لمصافحة الوزير، لا أعرف ما الضعف الذي تملكني ، وصعدت، ووقفت الي جوار من هم أكثر شهرة مثل محمود حميدة ، وعبد العزيز مخيون، وسهير المرشدي، كما عشت تجربة تكريم جديد مشترك بين هيئة قصور الثقافة ، واذاعة البرنامج الثقافي،قي مارس٢٠١٨ وأيضا أكون عضو لجنة تحكيم في مهرجان كربلاء بالعراق في شهر ابريل..

كل مايحضرني الآن اغنية تغني بها المطرب الفرنسي ميشيل دلبيش في آخر أيامه عن نهاية حياته، كان يركب سيارة يتطلع من نافذتها الي الطبيعة الجميلة التي كم خلبته، بكلمات مؤثرة، انه مريض بالسرطان، وسرعان ما رحت استمع إلى أغنية أخري شهيرة له باسم" من الغزل" إنه ملئ بالحيوية والتدفق، وكما عاش أيام لبهجة ، صار عليه أن يعيش أيام المرض وانتظار النهاية ، وأنا أفعل ذلك بالكثير من الرضاء، أملا أن يتم هذا بأقل قدر من المعاناة الجسمية ، والروحية

٢٥مارس ٢٠١٨